
دفاعاً عن الثورة
ريجي دوبريه
ترجمة
نزيه الحكيم
دار الآداب

حسن يوسف الملوشي

دفاعاً عن الثورية

ريجي دوبريه

دفاعاً عن الثورة !

تعريب : نزيه الحكيم

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الثالثة
شباط (فبراير) ١٩٧٩

القسم الأول

المحاكمة

الوثائق الكاملة

مع مقدمة بقلم : جان بول سارتر



الجريمة الشنعاء

بقلم : جان بول سارتر

ما الذي فعله « ريجي دوبريه » ؟ أية جريمة شنعاء ارتكب ؟ وما الذي يمكن أن تأخذه عليه الحكومة البوليفية ؟ إنه قد وضع كتاباً حول الثورة . صحيحٌ ان هذا الكتاب لم يولد من العدم : فهو فيه يلخّص تجارب رحلته الطويلة في أمريكا اللاتينية ، ويؤكد تضامنه مع الثورة الكوبية . ولكنه على وجه الخصوص ينتهي فيه إلى استخلاص ما يسميه نتائجَ الدرس للمستقبل . وسنرى ان هذا بالذات هو ما هو الآن معتقَلٌ من أجله ، وربما تحت التعذيب .

هذه النتائج ، ها هي ذي : في ظروف معينة ، أي في إطار أمريكا اللاتينية ، لا تستقلّ القيادة السياسية عن القيادة العسكرية ، بل تؤلفان كُلاً عضوياً واحداً . وهذا الكلّ العضوي المنظم هو الجيش الشعبي ، الذي تتألف نواته من جيش العصابات . وبالتالي يمكن أن يوجد الحزب الطليعي على شكل نواة عصابة المقاومة ، وتكون حرب الأنصار هي الحزب في مخاض ولادته . « ولذلك — يضيف ريجي دوبريه — ينبغي

تصعيد حرب الأنصار كشرط لتنمية الطليعة السياسية . ولذلك كان العمل الثوري اليوم هو « العمل السياسي رقم ١ » .

وهذا أمرٌ يضايق الطبقات المالكة في أمريكا اللاتينية، ويضايق الولايات المتحدة بصورة خاصة . فبلدان أمريكا اللاتينية ، حيث لا يعدو الجيش أن يكون قوة قمع ضد الطبقات المستغلّة ، كانت دائماً قادرةً على تدبر أمورها مع أحزابها اليسارية : يكفيها لذلك أن تلجأ بين الحين والحين الى اعتقال زعمائها وإلى تعذيبهم . اليسارُ في هذه البلدان ، كحزبٍ سياسي ، عاجزٌ مشلول . وبروليتاريا المدن فيها لم تبلغ من الصلابة ما يجعل منها قوة فعلية : هذا ما رأيناه بالتجربة في بوليفيا أيام الاضراب العام سنة ١٩٦٥ . كان الجيش النظامي يحاصر المناجم، والطيران يضربها بالقنابل ، والجنود يقتحمون البيوت ويبيدون الأسَرَ بالرشاشات . ثم ساد النظام من جديد . ذلك أن هؤلاء الرجال الحَضَريين، الملتصقين بمكان عملهم ، كانوا منذ البداية تحت رحمة أشد الأخطار ، لا حول لهم في مواجهتها ، وكان من الممكن دائماً إبادتهم برغم ما أعدّوه من قوى دفاعية . أما ما يخشاه حكّام أمريكا اللاتينية بالدرجة الأولى فهو قوى العصابات ، تلك القوى التي لا يراها أحد ، الدائمة الحركة ، التي تَضرب وتختفي ، والتي لا تنال منها الطائرات ، والتي تقوم في الوقت ذاته بالتوعية السياسية بين جماهير الفلاحين ، الجماهير التي تؤلف الأكثرية . ولكن يظل في وسع هؤلاء الحكام أحياناً (كما أثبت تاريخ الأعوام الأخيرة) أن يستفيدوا من الشقاق بين رجال العصابات وبين أحزاب اليسار السياسية . فهذه الأخيرة تظل أحزاباً علنية ، غير محلولة، وأكثر منهم نزوعاً الى التسويات . والحكومات القائمة تعرف أنها تسود بالتفريق ، وتعرف بالتالي أن اليسار – اذ تتيح له تمثيلاً شكلياً في المجلس أو في العمل السياسي – سيكبح هو نفسه نضال عصابات الكفاح المسلح .

وكتاب « دوبريه » ، الذي تُرجم إلى الاسبانية وطبعت منه في كوبا مئتا الف نسخة ، أحدث أثراً ضخماً في أمريكا اللاتينيـــة ، وبصورة خاصة قرأته ووعته عناصر البرجوازية الصغيرة ، الطلاب مثلاً ، هذه العناصر التي يخرج منها هناك روّاد الكفاح المسلح .

بالضبط ، ماذا يقول هذا الكتاب ؟ يقول ان على قوى العصابات أن تضع هي نفسها سياستها ، فلا تكون لها علاقات بالأحزاب السياسية ، أو لا تكون لها بها على الأقل علاقات تبعية ، ولا يكون لهذه الأحزاب لديها مفوضٌ سياسي ، بل تتألف العصابة من رجال هم في الوقت نفسه مقاتلون وسياسيون . تلك هي الفكرة التي كانت محور كتاب « ثورة في الثورة ؟ » . والرجل الذي قال بهذه الفكرة ودافع عنها ، الرجل الذي أراد تحرير رجال المقاومة من كل القيود وإفهامهم أن تجارب القتال الفعلية قد أثبتت أنه لا ينبغي أن تكون هنـــاك سلطتان بل سلطة واحدة فحسب ، هذا الرجل نفسه هو الذي اعتقلوه ، ومن أجل ذلك بالذات .

وإلاّ ، فما هي الاتهامات التي يستطاع توجيهها اليه ؟ أيتهمونه بأنه حمل السلاح ؟ انهـــم لم يعودوا يفكـــرون حتى في أن يزعموا ذلك . أيتهمونه بأنه قام بدور المفوض السياسي ؟ إن كتابه كله دعوة إلى ألا يكون هناك أي عنصر خارجي ، أي مفوض سياسي ، وأن يتشكـــل رجال المقاومة أنفسهم ، جميعاً ومن دون تدخل خارجي ، كقوة سياسية ، كسياسة للكفاح المسلح . أيستطيعون اتهامه بأنه حاول فرض توجيهات بلد أجنبي — كوبا مثلاً ؟ دعوى سخيفة ، لأن الكتاب نفسه يرفض أن يكون هناك أي توجيه خارجي . يقول : « ان الكاستروية ليست إلا إعادة توليد الماركسية اللينينية ، في الواقع المحسوس ، انطلاقاً من الظروف القائمة في أمريكا اللاتينية وانطلاقاً من سابق الأوضاع في كل

بلد . لهذا لن نشهد لها أبداً نفس الوجه مرتين في بلدين . بل عسى أن يختفي اسمها ذاته » . كان اذن يدعو إلى التنوع في حركات المقاومة ، ويدعو كلاً منها إلى أن تستمد أصولها من ظروف بلدها ذاته .

إذن ، ماذا ذهب يفعل في بوليفيا ؟ في وسعنا أن ندعوه صحافياً ، بل في وسعنا على وجه خاص أن نسميه ُمنَظِّراً . لقد دعا في كتابه إلى الكفاح من أجل الفاعلية ، من أجل النضال الناجع المجدي ، وأضاف : « الناجع ليس نقيض النظري ، بل نقيض التناقض بين النظر والممارسة » . إن فهمه للنظرية ، ولارتباطها الحميم بالسياسة ، ولتأثر احداهما بالأخرى ، كان يدعوه اذن بوصفه ُمنَظِّراً أن يظل على اتصال مستمر بحقائق الواقع في أمريكا اللاتينية ، لا ليعمل هو نفسه ، بل ليتحقق من صحة آرائه ، أعني لينأى بالنظرية الصحيحة ، بعد كتابتها ، عن أن تتخثر ، فتنقلب مغلوطة بتجاوز الأحداث لها . وتلك هي جريمته . صحيح انه ذهب الى بوليفيا يحمل معه أفكاره الثورية ، ولكنه لم يذهب اليها بوصفه ثورياً بوليفياً ليحمل السلاح ويشترك في حركة المقاومة . ذهب ليكون على مقربة من وقائع هذه المقاومة . لِمَ إذن أوقفوه ؟ لسبب واحد فحسب : هو أن أي ثوري ينظّر للثورة في أمريكا اللاتينية ، من أنى أتى وأياً كان عمله ، هو العدو الأول لكل حكومة في أمريكا اللاتينية . محظور عليه أن يعطي الثورة المتمخضة في كل مكان ايديولوجية أو نظرية . وهذا ما اعتقلوه من أجله .

هذا الاعتقال لا يجوز السكوت عليه ، لأنه عقاب على ما لا يعدو أن يكون جريمة رأي . من الواضح بالطبع أن « دوبريه » كان يعتقد وكان يقول عن نفسه انه ماركسي لينيني ، بل كان فعلاً كذلك . فهل في هذا ما يبرر اعتقاله واغلاق باب السجن عليه ؟ في بلدنا ما تزال لنا حرية الرأي ، وباسم حرية الرأي هذه علينا أن نضغط على

حكومتنا ، التي بذلت بعض وساطتها حتى الآن لدى الحكومة البوليفية ولكن بكثير من الرخاوة ، كيما تطالبها باطلاق سراح « ريجي دوبريه » اطلاقاً غير مشروط[1] .

جان بول سارتر

---

[1] كتب هذا النص في تموز ١٩٦٧ ، وهو منقول عن كراسة « الحرية لريجي دوبريه » التي أصدرتها « لجنة الدفاع عن ريجي دوبريه » .

ايضاح من الناشر الفرنسي

الوثائق الثلاث التي ننشرها في ما يلي نصوص كتبها « ريجي دوبريه» في سجنه . وهي التصريحات السياسية الوحيدة التي يصح القول حقاً بأنها تؤلف دفاعه ، إذ أنها أُعدّتْ لهذه الغاية بالذات .

ونحن – عن قصد – لا نقدم لهذه النصوص بأية تعليقات طويلة ولا نرى ضرورةً لإرفاقها بأية هوامش . أولاً لأن ما يسمى « قضية دوبريه » (التي سنلخص تسلسل أحداثها هنا في ايجاز بالغ) ما يزال ماثلاً في كل الأذهان . وثانياً ، وعلى وجه الخصوص ، لأن الكثيرَ الكثير قد قيل وكتب من حول هذه القضية ، بحيث آن لنا أن نترك الكلام لريجي دوبريه نفسه ، وهو المؤهَّلُ أكثر من أيّ آخر ليقول انه ليس الشخصية الرئيسية في هذه القضية ، بل ان هذه الشخصية هي شعب أمريكا اللاتينية كله ، المكافح كله بكل الوسائل من أجل حريته: شعب يضم أكثر من ٢٥٠ مليوناً من السكان ، ٧٠٪ منهم أميّون ولا يحصلون لطعامهم على واحد من ثلاثين من الوحدات الحرارية التي يغتذي بها الفرنسي . شعب يعيش تحت نير الاستغلال « الأمبريالي » ويرى قادته الثوريين كل عام يُعتقلون ويعدمون بعد محاكمات عاجلة لا تحفل بأية ضمانات ، سواءٌ أسميتهم « غلييرمو لوباتون » أم « فابريسيو أوخيدا »

أم « كاميلو توريس » . شعب لا يعطى ، في الأيام العاديـة ، أيّ مكان ذي شأن في الصحافة البرجوازية .

في ٢٠ نيسان ١٩٦٧ كانت الأنباء الصحفية تعلن،استناداً الى تصريحات مسؤولين بوليفيين،ان « رجلاً فرنسياً قُتل في صفوف رجال العصابات المؤيدين لفيديل كاسترو ، خلال معركة مع القوات الحكومية ، ويبدو أنه يدعى دوبريه أو لوبريه ، وانه متخصص في حرب العصابات، وانه واحد من الشيوعيين العشرة الرئيسيين مستشاري فيديل كاسترو». وسرعان ما عُرف أن هذا الرجل الفرنسي هو ريجي دوبريه ، خريج دار المعلمين العليا البالغ ستاً وعشرين سنة ، ومؤلف عدد من الدراسات عن أمريكا اللاتينية (ولا سيما مقالـة « الكاستروية : المسيرة الطويلـة في أمريكا اللاتينية » المنشورة عام ١٩٦٥ في مجلـة « الأزمنة الحديثة » ، وكتاب « ثورة في الثورة ؟ » الذي يعالج آراء كاسترو والذي نشر مؤخراً).

وكان هذا النبأ قد جاء بعد قليل من الاعلان عن معارك تدور بين الجيش البوليفي وبين جماعة من رجال العصابات كانت قبـل ذلك بشهر قد بدأت نشاطها بكمين نصبته في « نانكاهواسو » قتَل عدداً من الجنود وكان من المستحيل التحقق من صحة الأنباء المنشورة لأن المنطقـة المشار اليها كانت « منطقة عسكرية » لا يسمح بدخولها لرجال الصحافة .

وفوراً انطلقت من العالم كله أصواتٌ تطلب المزيد من الايضاح، فلم تنقض خمسةُ أيام حتى عُرف أن ريجي دوبريه لم يقتل ، وانمـا اعتقل برفقة صحافيين آخرين همـا الانكليزي « أندرو روث » والأرجنتيني « بوستوس قروكتورسو » . وقررت أمُّ ريجي دوبريه (وهي شخصية معروفة جداً في السياسة الفرنسية) أن تذهب بنفسها الى «لاباز». ولكن السلطات البوليفية ظلت تمنع الاتصال بريجي دوبريه حتى آخر حزيران ، أي حوالي شهرين . وفيما بعد روى هو نفسه أنهم عذّبوه (وهذا مـا

أيدته شهادات أندرو روث والضابط البوليفي « الماجور سانشز » الذي نجح في وقف عمليات التعذيب الجسدي) وأنهم أطلعوه على نبأ موته المنشور في الصحافة لاقناعه بأن أية نجدة لن تأتيه من العالم الخارجي .

وخلال ذلك تأكد موقفان متناقضان : فمن جهة ظلت السلطات البوليفية تصرّ على القول بأن ريجي دوبريه سفّاح من رجال العصابات ، ومن جهة أخرى تبين أنه كان قد دخل بوليفيا بصورة طبيعية وبجواز سفر قانوني ، وانه كان يحمل رسائل اعتماد مختلفة ، ولا سيما من المجلة المكسيكية « الحوادث » (٨٠ ألف نسخة) ، ومن دار نشر فرنسية ، وان جان بول سارتر كان قد كلّفه بكتابة تحقيق صحفي عن أمريكا اللاتينية ، كما ان اعتقاله تمّ في قرية « موجوم بامبا » خلال عملية تفتيش عادية ، وهو في ثياب مدنية ولا يحمل أي سلاح . وهكذا ، بينما كانت السلطات البوليفية ترفض اثبات دعواها بأية أدلة كما ترفض إباحة الاتصال مع المتهم أو حتى محاكمته أمام القضاء المختص ، وبينما كان رئيس الجمهورية الجنرال « بارينتوس » يعلن « ان مغامرات ريجي دوبريه ستشهد نهايتها في بوليفيا » (٨ أيار) ؛ كان الاتحاد الوطني لنقابات الصحافيين ، في باريس ، يرسل الى هذا الجنرال نفسه برقية يعرب فيها عن « القلق على مصير الزميل ريجي دوبريه » .

وأثارت قضية ريجيه دوبريه حملة عالمية : انطلق كثيرون من الصحافيين والمثقفين ورجال السياسة ، التزاماً بأبسط مبادىء العدالة وبالحقوق التي تمنحه اياها صفته الصحفية ، يطالبون بالكشف عن حقيقة مصيره . وفي ١١ أيار بعث الجنرال دوغول الى الرئيس بارينتوس برسالة شخصية (ولكن السفير الفرنسي السيد « بونشارديه » لم يستطع قط أن يقابل ريجي دوبريه ، وهو مواطن فرنسي) . وفي الوقت نفسه قامت مظاهرات أمام السفارات البوليفية ، كما حدث في روما ومكسيكو ، وطالبت الجريدة

الكوبية « غرانما » بقيام « حملة عالمية لانقاذ حياة ريجي دوبريه » ، بينما نشرت جريدة « نان دان » في فييتنام الشمالية افتتاحية تطالب باطلاق سراحه ، وبينما كانت جريدة « الأومانيته » تقول : « ان ما يبدو هنا للعيان هو هذا العناد الوحشي ضد الحق ، العناد الذي تتصف به اليوم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية » .

وفي باريس ، في حزيران ، عقد مؤتمر تضامن حضره ج. فورنيال (عن الحزب الشيوعي الفرنسي) ، ودانيال ماير (عن رابطة حقوق الانسان) ، وجان بول سارتر ، ومندوب عن النقابة الوطنية للتعليم العالي، تكونت على أثره « لجنة الدفاع عن ريجي دوبريه» ، وكان في طليعة أعضائها الفرنسيون الحائزون على جائزة نوبل .

ثم كان يوم ٢٢ حزيران حين تقابل ريجي دوبريه مع أول شخص من « الخارج » ، هو « المونسنيور كينلدي » راعي الكنيسة الرسولية (الأمريكية) في « لاباز » ، الذي أعلن أنه كان « في صحة طيبة » . وفي ٢٩ حزيران استطاع أن يقابل المحامي الذي اختارته أمه السيدة الكسندرا دوبريه ، مدى عشر دقائق ، يحيط به عسكريون ذوو نظرات معادية . وأخيراً ، في ١١ تموز ، سمحوا لأمه بأن تراه . وأعلنت السلطات البوليفية أنه قد أحيل الى القضاء العسكري مع ثمانية متهمين آخرين ، بوليفيين باستثناء الأرجنتيني « بوستوس » .

أما الانكليزي «روث» فقد أطلقوا سراحه . ولكن اثنين من ناشري ريجي دوبريه ، كانا قد ذهبا ليشهدا لصالحه — وأحدهما الناشر الايطالي الكبير « جانجاكومو فلترينيلي » — طُردا من بوليفيا .

بذلك انتهت مرحلة أولى . أما الثانية فكان طابعها انتظار موعد افتتاح المحاكمة ، الذي كانوا دائماً يعلنون عن اقترابه، ودائماً يؤجلونه، ودائماً يرفقون الحديث عنه بتصريحات انتقامية تصدرها السلطات البوليفية.

ففي ٢٣ أيلول ، مثلاً ، كان الجنرال بارينتوس يعلن : « من حق مجلس النواب أن يقرر هل يمكن اصدار الحكم بالموت على رجل ارتكب جريمة مساعدة رجال العصابات ... وأنا شخصياً من هذا الرأي » . أما ريجي دوبريه ، في تصريحاته للصحفيين الذين كانوا يستطيعون الوصول الى زنزانته ، فكان يؤكد صفته الصحفية، دون أن ينكر احترامه لحركة المقاومة واتفاقه سياسياً معها . ولكنه كان يضيف : « لو أنني كنت من رجال العصابات لما كنت هنا » ...

في ٢٧ أيلول افتتحت المحاكمة ، في مدينة « كاميري » . وكانوا قبل ذلك قد حاولوا إلباس المتهم ثياب المحكومين بالأشغال الشاقة مع الرقم « ٠٠١ » ، فاعترض هذا على ذلك بالاضراب عن الطعام . وذهل الحضور جميعاً وهم يسمعون المدعي العام يلقي مطالعته منذ البداية، قائلاً : « ليس هذا الا قاطع طريق ، من عصابات السلب والنهب ، فظاً قاسي القلب » . ثم يعرض صوراً يقول ان ريجي دوبريه يظهر فيها وهو يحمل رُشَيشاً ، ولكن هذه الصور نشرت في الصحف فاذا هو فيها لا يحمل الا قصعة ثريد ... وقد طردوا مراسل جريدة «لوموند» من « كاميري » لأنه أشار في مقاله الى أن العربة المصفحة التي وضع فيها دوبريه كانت هدية من الولايات المتحدة في اطار « المعونة الفنية » . وفي يوم ٤ تشرين الأول جاء الدور على المحامي البلجيكي الأستاذ « لالومان » ، مراقب « رابطة حقوق الانسان » ... ثم نال مبعوث « مؤسسة رسل » المصير نفسه .

هذا الى أن المحاكمة ، على أية حال ، لم تعتم أن أوقفت . والواقع أن الرأي العام كان في شغل عنها بأحداث أخرى موازية، هي تطورات حركة المقاومة البوليفية . فمنذ بداية تموز كانت السلطات البوليفية قد أعلنت أن لديها دلائل عديدة على وجود « القومندان تشي غيفارا » .

وبعد قليل قال ريجي دوبريه هو نفسه انه كان قد جاء لاجراء حديث صحفي مع « تشي » ، وانه التقى به ، وانه لم يعد لديه دواع لكتمان الأمر ما دامت السلطات البوليفية قد توصلت الى معرفته بوسائلها الخاصة، بالاضافة الى أن المهلة التي كان « القومندان تشي » هو نفسه قد حددها له للكشف عن هذه الواقعة قد فاتت منذ أيام كثيرة. أما حركة المقاومة فقد سجلت انتصارات عديدة . وفي ١٠ تموز احتلت مدينة « سايماباتا » الصغيرة ، وخطب رجالها في سكانها،وشهد كثيرون بأنهم تعرفوا بينهم على « تشي » .

ولكن الجيش البوليفي تلقّى نجدات كثيفة — سلاحاً ومدرّبين— من الولايات المتحدة الأمريكية . وفي ١٥ تموز ، « ليلة القديس يوحنا » ، قام هذا الجيش بهجوم كثيف على المناطق السكنية المحيطة بالمناجم ، قيل ان هدفه « وقائي » ، للحيلولة دون احتمال قيام عمال المناجم بأي تمرد ، فأنافت ضحاياه على ١٥٠ بين قتيل وجريح . وفي ١٠ تشرين الأول أعلن عن موت « القومندان تشي غيفارا » خلال معركة في « فاليه غراندي » (الوادي الكبير) .

ولقد نُسبَ إلى ريجي دوبريه أنه قال ، حين تلقى النبأ: « وددت لو أنني متُّ معه » . ولكن الثابت على الأقل هو أنه بعد ذلك غيّر صيغة دفاعه ، مع التزامه بحقيقة الأحداث ، أي بكونه لم يشترك في المقاومة ، فأكّد تضامنه مع رجال العصابات وأسفه لأنه لم ينضمّ اليهم.

النص الأول فحسب ، من النصوص الثلاثة التي نقدمها هنا ، والذي كُتب في أيلول ، يعود الى ما قبل مقتل « تشى غيفارا » . وهو عبارة عن رسالة بعث بها الى أصدقائه في « لجنة ريجي دوبريه » ،لا لينشروها، بل ليستخدموها أساساً لما قد يكتبونه من مقالات . على أنها نشرت في تشرين الأول ، وأعلن ريجي دوبريه فيما بعد رضاه عن هذا النشر .

أما النص الثاني فهو الرسالة التي وجهها « دوبريه » إلى قضاته في اليوم التالي لوفاة « تشي غيفارا » . وأما الثالث ، أخيراً ، فهو النص الكامل لمرافعته، وهي مرافعة ألقاها في جلسة سرية ، ومع ذلك قاطعوه خلالها سقاطعة عنيفة عدة مرات .

ولقد ألحقنا بهذه النصوص الثلاثة مرافعة محاميه البوليفي المكلف من قبل المحكمة ، « الكابتين راوول نوفيليو » ، ثم نص الحكم عليه (بعد أن حذفنا منه الأجزاء التي لا تتعلق مباشرة بريجي دوبريه) .

صدر الحكم على ريجي دوبريه ، في ١٨ تشرين الثاني ، بالسجن ثلاثين علاماً ، وهي العقوبة القصوى . ومنذ ذلك الحين ظل عملياً ممنوعاً من الاتصال بالآخرين في سجنه في « كاميري » ، دون أن تفكر السلطات أبداً في نقله الى سجن عادي وفق أحكام قانون العقوبات . وقد خصصت لحراسته حامية من الجنود تحت إمرة « الماجور إتشفريا » ، حيث يظل خاضعاً لمزاج سجانيه وارادتهم الكيفية ، بينما تذيع الحكومة أنباء كاذبة عن نقله . وقد استطاع صحافي فرنسي أن يراه مدى ثلاث دقائق فيحكم على مدى ما ضرب عليه من عزلة ، وهي عزلة أيد وصفها في أواخر كانون الأول الاستاذ « كورغي » المحامي الايطالي العضو في الحزب الديمقراطي المسيحي . ونحن الآن ندفع هذا الكتاب للطبع دون أن يكون قد طرأ أي تغير جديد على « قضية دوبريه » ، ما دام لا يزال محروماً من أبسط الضمانات القضائية .

رسالة الى الأصدقاء

على رغم أني لا أنتسب الى أية منظمة شيوعية ، أنتسب بالفكر والواقع الى حركة ثورية عامة تعتمد الكفاح السري المسلح . وأنا اذن ألتزم بمسؤوليات الأعضاء المناضلين ، وبقواعد سلوك جماعية ، كما أن عليّ — بوصفي جزءاً من المجموع — أن أنفذ ما أتلقى من تعليمات وأن أحترم خطة القتال التنظيمية . والأزمة التي أواجهها هي انني ، في قضية انقلبتْ على غير علمي أداةً دعائيةً ضخمة ، لا أملك التصرف على الشكل الذي يصلح لاستخدام هذه الدعاية بصورة ناجعة (كأن أعترف ، مثلاً ، بمسؤولية ما في تنظيم حركة المقاومة) دون أن يتأدى بي ذلك في الوقت نفسه الى أن أُعرّض للخطر أشياء وأشخاصاً أضخم أثراً على حسن مسيرة الثورة من الدعاية ، ودون أن أقع في شباك الدعاية المعادية ، التي تحاول — وفقاً لأفضل التقاليد الرجعية — تصوير حركة المقاومة البوليفية وكأنها مؤامرة حبكها أجانب من خارج البلاد .

لقد تركوني شهرين ممنوعاً من الاتصال كيما يفسحوا أمام « وكالة المخابرات المركزية » الأمريكية (التي يمثلها هنا أناس من بورتوريكو ومن المنفيين الكوبيين أو البانامين ، الذين يحسنون الانكليزية والاسبانية على قدرٍ سواء ولكنهم ماهرون في عدم الكشف أبداً عن هوياتهم ولا

عن جنسياتهم) وقتاً كافياً لأداء مهمتها . فلعل وكالة المخابرات المركزية هي التي أنقذت حياتي (!) حين نُقلت الى « تشوريتي » ، في اليوم الثالث لاعتقالي . كنت اذ ذاك فعلاً على عتبة الموت ، وقد تداعى جَلَدي على المقاومة ، بينما كان الضباط الذين يصبون عليّ جام غضبهم دونما هدف محدد قد بلغوا بحماسهم الذروة ، اذ أخذوا يتلهون باطلاق الرصاص عليّ بين الساقين وفي محاذاة الرأس ، حين جاء هؤلاء السادة موظفو وكالة المخابرات المركزية فأوقفوا ذلك كله واستدعوا طبيباً وأخذوا أول الأمر يعاملونني معاملة مهذبة . جاءوا وبين أيديهم ملفٌ ضخم بشأني ، يحوي تاريخ حياتي ، وتفاصيل تنقلاتي خلال السنتين الأخيرتين ، وقوائم بأسماء أصدقائي ، الخ ... أما عن حركة المقاومة نفسها فقد جاءوا وهم يعرفون تقريباً كل شيء ، وبين أيديهم ثلاثة سجناء منهم اثنان من الهاربين ، ووثائق كانت قد تركت في معسكر مهمل (هي يوميات أحد رجال المقاومة) . بل أنهم ، بعد ثلاثة أسابيع ، أطلعوني على صورتين التقطوهما لـ « تشي » .

ما يبتغونه من استجوابي لم يكن اذن معرفة حقيقة النشاط الذي يقوم به « تشي » ولا التأكد من وجوده اذ ذاك في بوليفيا : فهذه أمور كانوا يعلمون بها منذ زمن بعيد . ما يعنيهم كان سياق أحاديثنا وأسلوبها ، وخطط حركة المقاومة واتصالاتها . أما أنا فلم يكن من شأني ، بوصفي صحافياً ، أن أعرف تنظيم حركة المقاومة ، ولا خطط «تشي» ، ولا الاتصالات المحلية والدولية . لذلك كان لا بد للتحقيق أن يطول ، إذ في تلك المرحلة لم أكن أنا موضع الاتهام ، بل كوبا من خلال شخصي . فعلى مدى الشهرين لم يتهمني المحققون مرة واحدة بأني من رجال العصابات . إنهم يعرفون حق المعرفة ، بما لديهم عن ماضيّ وعن ظروف اعتقالي ، أني كنت متوجهاً الى « لاباز » ، واني – اذا كنتُ مسؤولاً حقاً عن شيء – قد لا أكون مسؤولاً إلا عن كوني مكلفاً

بمهمـــة . ولكن ، بأية مهمة ؟ ولحساب من ؟ لقد تركتني الحكومة البوليفية بين يدي وكالة المخابرات المركزية آملةً أن تحصل مني بواسطتها على هذا الاعتراف الدعائي الضخم : الاعتراف بأني « رسول فيديل » « والجاسوس الدولي في خدمة كوبا » وما يشبه ذلك من لَغْو .

إن مثل هذا الاعتراف ، لو حدث ، لأتاح لهم أن يقومـوا بحملة دعائية ناجحة ضد كوبا، ضد فيديل كاسترو والأجهزة الكوبية . ولذلك ذهبوا حتى غواتيمالا وحتى فنزويلا ليستشهدوا ضدي هـــذا أو ذاك من المساجين ، وليطابقوا بين أقوالهم وأقوالي . ولكن، بلا جدوى ، لم يعثروا على أي دليل . كل شعائر الاستجواب التقليدية التي مارسوهـا معي ، من الصفعة حتى المساومـــة ، ومن التهديد بالموت حتى الاغراء بعلبـــة السجاير ، كانت تنتهي عند تكرارهم صفحات لا آخر لها من تاريـخ حياتي ، وعند تكراري القول بأني صحافي أوفدته دار « ماسبيرو » . وهكذا أخفقت الدعوى ضد كوبا ، فكان لا بد لهم من القناعة بدعوى ضد « دوبريه » ، ما داموا لم يستطيعوا تجميع العناصر المادية الكافيـة للادانة ولا الحصول على « الاعتراف » المأمول .

وليس لكوبا أي شأن في قدومي إلى بوليفيا . كل ما في الأمر هو أني في كوبا استلمت من يد رجلٍ مجهول رسالة من « تشي » يدعوني فيها الى حديث معه ، دون أن يقول لي أين ؛ مكتفياً بالاشارة إلى أن «ماسبيرو» سيكون الوسيط . لذلك أعلمُ أن المدعي العام ، في مطالعته، سيصفني بـأني « فرنسي — كوبـي » وسيتحدث عن « تعليمات سيدي فيديل » . ولكنه (هو أو من سينشىء له مطالعتـه) سيكون مضطراً لاستعارة تعابيره من « مختار الريدرز دايجست » لا من ملف الـدعوى نفسه ، حيث لا يوجد أي شيء بالمرة يمكن أن يؤيـد بالوقائع أقوالاً كهـــذه . وسيكون عليهم أن يكتفوا بجعل دعواهم ضد كوبا دعوى عقائدية فحسب .

ولا يزال « بارينتوس » ، بما يذيعه من إشاعات عن المبادلة على شخصي الضعيف بعدد من السجناء المناهضين لكاسترو (خمسين أو مئة!)، وبما يبذله من جهود في هذا الصدد لدى المنفيين ، يتابع نفس المناورة السياسية . إن ما يسعى اليه هو إقناع الناس بأن كوبا في حرب مع بوليفيا وبأني مبعوث من كوبا . ومن هنا كان إلحاحي مع توكيد صفتي كمواطن فرنسي وعلى المطالبة بحماية السفارة الفرنسية . ذلك أن قضيتي ، حصراً وبصورة رسمية ، هي من اختصاص الحكومة الفرنسية . وهذا ما يزعج « بارينتوس » وسادته الأمريكيين أشد الازعاج : فلو تمت تلك «المبادلة» لكن لهم فيها نصرٌ دعائي ضخم .

على مدى شهرين ، اذن ، لم يستطيعوا أن يثبتوا أني « عميل » . لذلك اتجهوا ، من أجل الرأي العام ، إلى محاولة إثبات أنني « واحد من رجال العصابات » بل واحد من « المسؤولين » فيهم ، واحد من « زعمائهم » . ولقد قام « بارينتوس » في البداية باطلاق هذه المزاعم علناً ، كمناورة موقتة لصرف أنظار الناس عن الحقيقة . كانوا يعرفون كذب ما يقولون ، ولكنهم ينتظرون حلاً أفضل . وأجهزة المباحث التي قامت بالتحقيق تعلم كل العلم أن هذه مزاعم لا جدَّ فيها ، وأني ، لو كنت قد انضممتُ حقاً الى مقاتلي « جيش التحرير الوطني البوليفي» لكنت ما أزال فيه الآن أو لما خرجت منه إلا على قفاي . أما وقد أخفقت هذه الأجهزة في مسعاها فقد أعادتني الى الجهاز الرسمي ،البوليفي ، الذي كان قد عهد بي اليهم لدفعي الى الاعتراف بخطاياي المزعومة .

ولم يكن أمام هذا الجهاز ، وقد فاته الفوز باعترافاتي ، إلا أن يختلق تلك القصة عن « إجرامي » ، عُلالة للاستهلاك العلني . كان ذلك حلاً بديلاً ، وعقاباً لي في الوقت ذاته ، ولكنه لم يمحُ ما في النفوس الخائبة من غِلّ . لذلك ما تزال « الشعبة الثانية » البوليفية حتى اليوم؛

برعاية الأجهزة الأمريكية، تخصّني دون سواي من المتهمين بألوان الإزعاج والمضايقات . مثال ذلك : إلباسي زي المحكومين بالأشغال الشاقة رقم « ١ .. » ، الذي أرادوا اجباري على حضور المحاكمة به ، على ما يقول « إتشيفريّا » و « أورتادو » .

ولقد تساءلت في نهاية حزيران ، وقبل أن يزورني الراهب الأمريكي الدجال ، لماذا لم يقضوا عليّ . ذلك اني كنت أجهل كل ما يجري في الخارج ، كل الجهود التي كانت تُبذل من أجلي وكل الضجة التي أثارتها هذه القضية . أما الآن فأحسب أني أستطيع الجواب : لقد كان من الخطأ أن يفعلوا ذلك يوم اعتقلوني ، اذ كنت لم « أتكلم » بعد . و « الدكتور غونتالز » ، أحد أبطال وكالة الاستخبارات المركزية (وهو دون ريب من بورتوريكو وعلى اتصال يومي مع السفارة الأمريكية ومع بارينتوس) قال لي اذ ذاك : « انك تهمهم حياً أكثر مما تهمهم ميتاً » . أما في النهاية ، حين أضحى من الجلي أني لن أتكلم كما كانوا يأملون ، وحين لم يعد هناك ما يحول دون استغلال الحق الذي يمنحه القانون باطلاق النار على الهاربين ، كان الأوان قد فات ، اذ كان لم يعد مستطاعاً إخماد ما بلغه الرأي العام من تيقظ . هذا الى أن شهوداً كثيرين كانوا ، خلال عمليات نقلي المتكررة من زنزانة الى أخرى ، قد رأوني على قيد الحياة ، كما أن قتلي كان سيقتضي أيضاً تصفية زميليّ في الاعتقال ، « بوستوس » و « روث » بصورة خاصة ، اللذين ما كان أحد يستطيع تبرير موتهما . أما اليوم فقد أصبح اغتيالي بعيد الاحتمال ، وان كان لا ينبغي أن يُستبعد ، بعد نهاية المحاكمة ، أن يقع « قضاءً وقدراً » حادث ما ، تدفع اليه وكالة المخابرات المركزية والشعبة الثانية ، اللتان تعملان — كما هو معروف — في شبكات متوازية مع السلطات العامة والعسكرية ، هذه السلطات التي لن تلبث، كما حدث مع « خورخي فاسكيز » ، أن توفر التغطية اللازمة للحادث وتؤكد

براءة الجميع منه .

هكذا وصلنا الى شهر تموز . وفي هذا الشهر أخرجونا نحن الثلاثة من زنزانتنا ، فاكتشفت إذ ذاك ، ولو بصورة جزئية ، ان هناك قضية تدعى « قضية دوبريه » ، وان الصحفيين معنيّون بها ، واني متّهمٌ لا بكوني أحد رجال العصابات فحسب بل « الفاعل الذهني » لجريمة حرب العصابات ، ثم — أيضاً — واحداً من المنفذين . وكان هذا كله كثيراً على رجل واحد ، بل كان يزيد من عدم امكان تصديقه ان المحققين لم يتحدثوا قط عن هذا الموضوع خلال شهرين من الزمان ، وان العسكريين أنفسهم — على ما كانوا يقولونه لي — يدركون واقع الأمر .

ونفيتُ عن نفسي أن أكون من رجال المقاومة . نفيتُ ذلك بصورة عفوية ، ودون أن أستطيع حمل مثل هذه التهمة على محمل الجد . وكان هذا النفي مزعجاً ، مزعجاً لي بالدرجة الأولى ، وقد تألمت له أعمق الألم . فمنذ عهد بعيد كان الالتحاق بحركة المقاومة يلتقي مع نواياي ومخططاتي . وحتى اليوم ، وما دام العالم كما نعرفه ، أتمنى ألا أموت على فراشي . ولكن « تشي » هو الذي قرر أن الوقت لم يحن بعد ، واني في المرحلة الراهنة أقدر على الخدمة في مجال الاعلام الخارجي . ولذلك شاركت في الحياة اليومية للمعسكر (حياة الخدمة ، بما في ذلك القيام أحياناً بالحراسة) لأن الوضع العسكري تدهور فمنعني من مغادرة هذا المعسكر سريعاً كما كانت النية ، ولكني لم أشارك في أية معركة ، حتى لا يصبح خروجي عسيراً اذا ما لمحني السجناء أو الضباط . هذا إلى أن « جيش التحرير الوطني » لديه مفوّضوه السياسيون (وأحدهم مات : كوكو بيريدو) المعيّنون منذ عهد بعيد ، قبل فترة من قدومي. أما كتابي « ثورة في الثورة ؟ » فقد تُليَ في أحد معسكرات الانتظار ، بغياب هؤلاء المفوضين وغيابي ، بمبادرة شخصية من قادم جديد كان

يحمله في حقيبته . وهذه التلاوة هي التي حضرها الهاربان و «شوكشوك» زميلي في الاعتقال . ولكن ، اذا كان هذا الكتاب صادق التعبير عن آراء « تشي » ، فهو لم يلعب أي دور في تنظيم حركة المقاومة . بل ان « تشي » لم يطّلع عليه ، في صيغته النهائية ، الا في شهر نيسان.

أنا إذن انما أنكرت أن أكون من رجال المقاومة لأني حقاً لم أكن واحداً منهم ، وإن كنت قد أصبحت منهم ببقائي فترة أطول قليلاً . (هناك محضر لأحد اجتماعات الفريق القيادي ، اكتُشف في مستودعات الوثائق وهو الآن في حوزة الجيش، يقول في هذا الشأن انني وبوستوس « اذا لم نستطع الخروج فسنبقى كمقاتلين » . واني لأتساءل هل سيستخدم الاتهام هذه الوثيقة ؟) .

كذلك أنكرت اني كنت مفوضاً سياسياً لأني حقاً لم أكن كذلك ، كما أنكرت للسبب نفسه اني كنت مسؤولاً عسكرياً .

وكل هذا كان الجيش يعرفه حق المعرفة . لذلك كان مضطراً أن يصطنع مهزلة الدعوى ليستطاع إصدار حكم علي ، وأن يزعم كذباً ومخادعة أن هناك صورتين أبدو فيهما حاملاً رشيشاً ومثّي طلقة (صورتين من أصل ألف يملكها الجيش ، على قول بوستوس الذي رآها جميعاً) مع ان هاتين الصورتين دليل على العكس (لأن ما أحمله فيهما كان كيساً ريفياً لحفظ الأمتعة المختلفة ، وحقيبة صغيرة لعدّة الحلاقة ، ودفتراً وقلماً ونظارة وقدح ماء ، علّقتها جميعاً بحزامي طلباً ليُسر الحركة). كذلك كان الجيش مضطراً أن يقدم – كما لا بد له أن يفعل – شهود زور يؤكدون أنهم رأوني في الكمائن . وكل هذا ليبرهن أن دوبريه كان « من رجال العصابات » .

وأنا أعرف أن إنكاري لهذه التهم يمكن أن يثير الالتباس. فالصحافة البرجوازية لا بد لها أن تستغل ما صدر عن أبوي من تصريحات غير

موفقة ، فتقدم أقوالي المتعلقة بالوقائع وكأنها توكيدٌ لحق أو لاستحالة طبيعية : توكيد لحق « رجل القلم » بألا يحمل البندقية ، وإعفاء المثقف الثوري من الخدمة الثورية ، واستحالة أن يوسخ « الكاتب » يديه بحمل السلاح . إن هـــذا أشبه بأن نقول : « ابني ليس قاطع طريق . إنه شاب شريف ... » ، ومثل هذا القول سخف كله : فمن كتب مـــا كتبت لا بـــد له حتماً ، بضرورة نظرية وأخلاقية ، أن يصبح ذات يوم مجرد مقاتل . القلم عاجز بغير السلاح ، والسلاح مُؤذٍ بغير القلم . وإذن فلن يستطاع جعلي روحاً طيّبة من طبيعتها التحويم شردت في الجبل بتأثير سذاجتها . ولئن كنت لم أقاتل ولم ألتحم نهائياً بجيش التحرير فلم يمنعني من ذلك قرار اتخذتـــه بل منعتني منه ضرورات الكفاح والتقسيم الموقت للعمل . إن ما يعنيني هو الواقع وحده ، وليس أي حق مزعوم أعفي به نفسي من القتال .

أفعل ذلك ، على الأقل ، لأنه ما يقتضيه واجب احترامي للمقاتلين أنفسهم : فمنذ متى ، والمعارك ما تزال في بدايتها ، يهجر مقاتل ساحة المعركة ، وفي يده حقيبته وفي جيبه جواز سفره ، حتى دون مسدس يدافع بـــه عن نفسه ؟ إن المقاتل يسقط وسلاحه في يـــده (كما فعل كوكو بيريدو) أو يؤسَر جريحاً عاجزاً عـــن الدفاع (كما حدث مع فاسكيز) . حتى المطرودون من جيش التحرير الوطني لم يكونوا يستطيعون النزول الى المدينة في ثيابهم المدنية . ولو أني كنت أستطيع التكلم باسم جيش التحرير ، كمقاتل أسروه في المعركة ، لفعلت ذلك بفرح واعتزاز . لقد اخترت لحياتي نهجها ، وعلى ضوء هذا النهج ليس من التزام كلي جدير بالاحترام إلا دور المقـــاتل بدمه . ويؤسفني أني لم أكن هذا المقاتل . وأنا اذن لا أستطيع تسهيل مهمة القضاة العسكريين باهدائهم أكذوبة .

هذا لا يعني أبداً أني أزعم لنفسي البراءة ، أو أختفي وراء حصانة

رجل الفكر ، أو أحـــاول غسل يدي من الدم المسفوك . فإذا كانت الكتابة فعـــلاً والتزاماً ، إذا كان « برازيلالك » مسؤولاً عن تبريره التعاون (مع المانيا الهتلرية) ، فأنا مسؤول عن تبريري وعن تمجيدي حرب العصابات ، وهي مسؤولية أقبلها مع الشكر . ولكـني أطلب أن أُدان بجريرتها ، بجريرة التحليل الذي قمت بـه للكفاح المسلح في أمريكا اللاتينية ، هـــذا التحليل الذي يسعدني أن يفيد رجال المقاومة ، وأن يكون قد أسهم بخدمة .

ولكن لما كانت هذه المسؤوليةالأخلاقية التي أقبلها عن طيب خاطر ، لا تقع تحت طائلة قانون الجزاء ، فان هؤلاء السادة يريدون أن يختلقوا لي من العدم تهمة « اللص » و « القاتل » . هؤلاء السادة الذين يُثقل ضميرهم مقتلُ أكثر من طالب وأكثر من عامل منجم، هكذا يُسمّون رجال المقاومة . وهم يزعمون ، دون أن يعبأوا بسخافة أقوالهم ، أن كتابي هو الذي خلق المقاومة البوليفيـــة ، كيما يستطيعوا أن يحكموني وفقاً للقوانين . أما أنا فحين أقول اني لم أرتكب أية جريمة أقع بهـــا تحت طائلة قوانين الجزاء المعمول بها ، وحين أرفض كل الاتهامات التي يوجهونها الآن إليّ ، لا أحاول التملص من مسؤولياتي ، ولا الاستناد الى أية صفة خاصة تنأى بي عن حمل السلاح فتتعارض مع النظرية التي أؤمن بها ومع حياتي نفسها منذ بضع سنوات . كل ما أفعله هو التعبير عن حالة واقعية ، وهي حالة لا أزهى بها ولا أغتبط .

وأنا اليوم ، أكثر من أي وقت آخر ، أرى في « الكاستروية » الستراتيجية الوحيدة الواقعية السليمة ، المنبثقة من ظروف الواقع في أكثر بلدان أمريكا الجنوبية . ولا ريب اني لو استطعت ، على ضوء تجربة رفاقنا البوليفيين وعلى ضوء محادثاتي الأخيرة مع « تشي » ، لغيّرتُ في كتابي « ثورة في الثورة ؟ » بضع نقاط هامة لست فيها على اتفاق

كامل معه ، ولشددتُ على نقاط أخرى آخذ فيها برأيه (مثلاً : إدانة الأحزاب الشيوعية ، التي يرى « تشي » اني كنت فيها رحيماً محترزاً أكثر مما ينبغي) . ولكن سيكون من الواجب أيضاً، في مواجهة المصاعب التي تمر بها حركة المقاومة البوليفية ، أن ندخل في حسباننا العوامل العصية على التقدير ، كآثار الخيانات الشخصية (التي لا يمكن التنبؤ بها) والحزبية (التي يمكن التنبؤ بها ولكن ضمن حدود لا تقتضي افتراض كل هذا المكر) وأيضاً آثار التصلب في وضع فكرة الكفاح الثوري المسلح ذاتها موضع العمل . وهذا التحليل يجب أن يقع على عاتق أولئك الذين عاشوا هذا التاريخ بكل تفاصيله .

أصِلُ الآن إلى النقطة المؤلمة ، نقطة الدعاية المحزنة السافلة التي أحاطت بها وضعي الصحافة البرجوازية والمجلات الواسعة الانتشار، فشوهت هذا الوضع وحجبت معناه الحقيقي ، هذا المعنى الذي يشير الى حالة تاريخية لا شخصية . وأنا بالطبع لم أعرف شيئاً من أمر هذه الدعاية في البدء ، خلال الشهرين اللذين قضيتهما في الزنزانة . وبعد ذلك قضيت وقتاً طويلاً ، أطول مما كان ينبغي ، قبل أن أكتشف حقيقة «السيرك» الذي جعلوني مهرجاً فيه ، اكتشافاً كنت أستزيد منه تدريجياً ، حين سُمح لي أول الأمر أن أقرأ الصحافة البوليفية ، ثم أن أتلقى أخبار أبويّ وتصريحاتهما ومؤتمراتهما الصحفية ، ثم أن أستلم قصاصات الصحف الفرنسية .

لقد كان الأمر « لا يستحق كل هذه الجعجعة » ، كما يقولون بالاسبانية . اذكروا أن باب زنزانتي يفتح من الخارج ، وان الحرس لم يكونوا يسألونني رأيي حين كانوا يفاجئونني بإدخال طغمة من المصورين عليّ ، كانوا دائماً بالمرصاد أيضاً حين أخرج الى المرحاض أو أتمشّى في ساحة السجن أو أستقبل أمي أمامهم للمرة الأولى . كل

هذا كان أكثر من فحش شائن . ولم أكن أتصور أن أبسط جملة ألقي بها دون احتراسٍ الى أحد الصحفيين كانت ستلقى مثل هذا الطحن والعجن والتقليب .

ان هذه العلانية الزائفة المبتذلة ، وهذه المراثي الكريمة التي أثارها اعتقالي فعرضت هذا العرض المُقرف ، مناورة من خصومنا ، لا يهمّ أن تكون عفوية أو مقصودة ، بل يهمّ أن تُكشف وتشجب . إن كل ما تسمح به هي صرف الأذهان عن الصراع الطبقي وعن بوليفيا ، وعما أنا فاعله هنا . كذلك أعرف أن هذه المناورة من سخرية القدر : ان من الظلم الذي لا سبيل الى نكرانه أني استفدت في فرنسا من حركة تضامنية برجوازية قامت استنقاذاً لولد ضائع كانوا يتمنون لو أنه كان شارداً فحسب . وإنه لأمرٌ مخجل لا سبيل الى وقفه أن يكونوا، باشتراك عائلتي التي كانت تحسب الولد الضائع عرضة للموت الجسدي العاجل ، قد استغاثوا بجميع الصداقات الاجتماعية وبألوان الاستعراضات العاطفية والعبرات المسفوحة والفواجع المبتذلة . مخجل ولا سبيل الى وقفه خصوصاً حين يجري وراء ظهر المرء . ومن العسير أن تكبح المواقف السخيفة حين تغتذي بأفضل العواطف وأصعبها قياداً وضبطاً . ولكني أعتقد أن هذا قد تمّ الآن ، من هذا الجانب على الأقل ، وإن تأخر عن موعده ثلاثة أشهر أو أربعة (...)

ما أطلبه من الأصدقاء اذن هو أن يقوّموا اعوجاج الدفّة . إن « قضية دوبريه » ، بدلاً من أن تستخدم مرآةً للضمائر الخيّرة الساخطة أو ينبوع دخل لتجّار الانفعالات الاسبوعية ، يجب أن تستخدم للاسهام في ايقاظ الرأي العام وإثارة اهتمامه بالمشكلات العامة في أمريكا اللاتينية ، وبالكفاح الثوري المسلح ، وبالفاشستية الأمريكية الجديدة ، كما حدث مثلاً في عدد من مجلة « النوفيل أوبسرفاتور » في آخر تموز . فليكفّوا

عن كل هذا الكلام عن دوبريه ، الذي لا يزال حياً حتى الآن والذي تُسلَّط عليه الأضواء وهو على مقعد الاتهام أكثر مما تسلّط على باثعات الهوى ، وليتكلموا عن رجال المقاومة البوليفيين وغيرهم ، عن أولئك الذين قَضوا في المعركة وأولئك الذين لا يزالون أحياء يقاتلون في ظروف بالغة الصعوبة . ليتحدثوا عن حكاية عمال المناجم ، عن تسمُّمهم بالهواء الفاسد وعن مذابحهم . إن تطبيق أفكار فيديل و «تشي» — أكثر من فييتنام واحدة لإنقاذ فييتنام وللقضاء مرةً واحدة على كل خصومها — لا يحتاج إلى أناسٍ فوق البشر بل يقتضي كلاً منا كثيراً من العطاء : يقتضيه بذل كل شيء ، وربما الحياة نفسها ، ويقتضيه الجَلد والعناد ، ومعدةً تحتمل البقاء على الطوى مدى أسابيع .

عن هذا وعن هؤلاء يجب الكلام ، لا عن محكوم بين الف ، مكفول له أن ينام وأن يأكل على هواه سنوات عديدة . ان قضيتي — بالقياس الى يونان الكولونيلات وبوليفيا الجنرالات وفييتنام وستمورلاند — يجب أن تبدو ضئيلة لا تكاد ترى ، كالابرة في جبل من القش . فاذا كانت هناك « لجنة للدفاع عن دوبريه » فان مما يستحق الجهد أن تدق موازين الانتقاء لعضويتها بحيث يتغير طابعها فتتحول الى « لجنة لتأييد الثورة الأمريكية » أو شيء من هذا القبيل . والمهمات الحسية متوفرة ، وسأحاول أن أتحدث عنها في مرة قادمة .

يؤسفني كل الأسف اني لم أستطع التحدث مع «لالومان» و «باديو» ، وانهما لم يستطيعا المساهمة في الدفاع عني كما كانا يأملان . على اني في الواقع أشد أسفاً لعدم استطاعتي الدفاع عن نفسي بنفسي . فلديَّ كل الأسباب التي تجعلني أعتقد ان المحكمة لن تتيح لي مجال اثارة النقاش الأساسي ، ولن تسمح لي بالكلام الا بمناسبة الأقوال الختامية التقليدية . ان هذا الدفاع لا يمكن بالطبع أن يكون شخصياً ولا أن يقف عند

الشكليات الاجرائية، بل يجب أن يكون دفاعاً عن الكفاح المسلح بمجموعه، وعن أعماله الحربية المشروعة والضرورية ، المشروعة لأنها ضرورية . وينبغي لهذا الدفاع أن يتناول التفاصيل ، وذلك ليس بالأمر اليسير. ففي وجه تُهم القتل واللصوصية ، هذه التهم التي لا تعتبر الكمين معركة مشروعة شريفة بل جريمة قتل غادرة — وهي تهمة معكوسة بلهاء، ولكن من الواجب أخذها بمنطوقها الحرفي للبرهان على بلاهتها — ينبغي طرح فلسفة أخلاقية للحرب الثورية ، اليوم ، في أمريكا اللاتينية .

وهذا الدفاع الذي لن يتاح لي إلقاؤه ، أنوي أن أكتبه لنشره في الخارج فيما بعد . فاذا كان في المستطاع كسب معركة الدعاية، فسنكسبها ولو متأخرة .

ريجي دوبريه
(مطلع أيلول ١٩٦٧)

رسالة الى القضاة

الآنَ وقد مات ميتتَه البطوليةَ ذلك الرجلُ الذي سيضعه المستقبل وكلُّ شعوب الأرض في عداد اكبر محرري امريكا ، وفي هذا الوقت الذي يغزو فيه الحِداد قلبَ كل ثوري ، أرى أنه قد آنَ لي أن أحدد عدداً من النقاط المبدئية التي قد تكون موضع اهتمام المحكمة .

وأبدأ بالقول ان موت « تشي غيفارا » لا يعني نهاية الكفاح ضد الامبريالية ، بل يعني بداية هذا الكفاح ويعطيه الراية التي يسير وراءها دونما ارتداد . ذلك لأن « تشي » ليس من أولئك الذين يموتون : إنه ، وهو القدوة والمرشد ، خالدٌ حقاً لأنه سيعيش في كل ثوري . ان « تشي » واحداً هو الذي مات ، ولكن آخرين يوشكون أن يولدوا ، يخلقهم النضال ، وآخرين يناضلون الآن او قد يدخلون الساحة غداً ، هنا وفي نقاط أخرى من القارة . أما « تشي » الذي مات فالتاريخ والثوريون سيتكفّلون بالحكم على اولئك الذين يحملون مسؤولية قتله ، أياً كان الجانب الذي يقفون فيه .

إن تحديداً واضحاً لموقفي أمامكم ، في الوضع الذي آلت اليه الأمور ، لم يعد قادراً على ان يلحق الأذى بأحد او بشيء . ومُحاميَّ الدكتور « نوفيليو » الذي شرّفني بقبوله الدفاعَ عني والذي اعترفُ له علناً ورسمياً بهذه الصفة ، سيعرف كيف يقيم الدليل على أن الجرائم المحددة

التي يعزوها إليّ قرار الاتهام – أعني : التآمر ، وقيادة وتنفيذ الأفعال الجرمية المزعومة التي تستند اليها هذه المحاكمة – لا تستند الى أي أساسٍ من الواقع . أما الآن فأريد أن ادع المسائل القضائية جانباً لأتحدث عن جوهر الأمور ، أعني عن جانبها السياسي والأخلاقي ، وهو لدى الثوريين جانبٌ واحد .

١ – دون الدخول في تفاصيل نشاطي ، أريد الاشارة إلى أنني – بحكم كوني اشارك المناضلين البوليفيين مَثَلَهم الأعلى مشاركةً تامة – قد طلبتُ أنا نفسي ، لدى وصولي الى المعسكر المركزي ، ان اشترك في كل وجائب حياة رجال المقاومة وأعمالها ، فأقوم بالحراسة داخل المعسكر وخارجه ، وأسهم في الطبخ والقنص وكل أعمال الحياة اليومية الأخرى .

وتحقيقاً لهذا الغرض طلبت ان أعطَى كما يعطَى الآخرون ، وثيقة شخصية تسجّل موعدَ وصولي ، لأني – كثوري – لم أكن أستطيع ولا أريد ان اعامل كما لو كنت مجرد زائر مقيم في فندق ، وأن ابقى مكتوفَ الذراعين أنام ملءَ جفوني ورفاقي يعانون المشقة في حمل الطعام لي وفي حماية رقادي . وقد دام هذا الوضع حتى اليوم الذي استطعت فيه ان اتحدث مع « تشي » : يوم ٢٠ آذار . إذ ذاك ، وعلى رغم أني كنت قد جئت كصحافي فحسب ، كنت أنا الذي طلبت اليه ان يستدعي رجلاً آخر يقوم عني بهذه المهمة ، وأن يرفع عني صفة الزائر ، وأن يوافق على ضَمّي الى حركة المقاومة بعد ان يستشير رجال العصابات البوليفيين . ولكنه رفض طلبي ، قائلاً ان مهمتي بنشر الانباء في الخارج عن وجوده هنا وعن اهداف حركة المقاومة كانت ذات اهمية تماثل اهمية الكفاح المسلح . ثم قرر فيما بعد ان من الخير ان اغادر المنطقة بأسرع ما استطيع ، وانه اذا كان من حقي ومن واجبي بانتظار ذلك ان اتابع المشاركة في اعمال المعسكر اليومية فليس من حقي

ولا من واجبي ان اقاتل ولا ان أعتبَر في عداد رجال المقاومـــة .
وهكذا ، بعد بضع محاولات ، ارتحلتُ مع « بوستوس » و« روث »
قاصداً « لاباز » لأعود الى فرنسا ، في الظروف المعروفة . وما كنت
لأحاول ذلك ابداً لو انني كنت قد اصبحت من رجال المقاومة ، كما
لم يفعله حتى الآن أيٌّ من رجال المقاومة يستحق شرف هذا الاسم .

٢ — تيسيراً لمهمة المدعي العام ، سأقول ان مهمتي — وهي القيام
باطْلاع العالم الخارجي على اهداف حركة المقاومة — يؤلف جزءاً من
العمل الثوري . فالرجل الذي لا يشعر انه متضامنٌ تضامنـــاً كلياً مع
اعمال المقاتلين لا يستطيع ان يؤدي مهمة كهذه تقتضي التضامن . وهناك
صورٌ عديدة للقتال . والاعلام والايضاح واحدة من هـــذه الصور لا
تنفي الاخريات إلا مؤقتاً . بهذا المعنى اؤكد أنني معنوياً وسياسياً شريكٌ
في مسؤولية اعمال رفاقي رجال المقاومة ، لاقتناعي بشرعية هذه الاعمال
ولأني كنت سأشترك فيها لو أن « تشي » لم يصدر قراره المعاكس .
وانا اطلب من المحكمة ان تتفضل باضفاء هذه المسؤولية عليّ . فلئن
كنت لا املك مع الاسف ان أطالب لنفسي بشرف تهمة الاشتراك في
القتال ، فأنا على الأقل اطلب شرف اعتباري متضامنـــاً مع رفاقي في
مسؤولية اعمالهم .

لقد وُصفتْ هذه الأعمال — وهي جزء من حرب عادلة لا سبيل
الى تفادي أوضارها — بأنها جنايات وجرائم قتل ، وأُطلقت على رجال
المقاومة أوصاف « الأنذال » و « قطّـــاع الطريق » . وسيكون من
الإهانة لذكرى « تشي غيفارا » أن أضع هذه الشتائم موضع الاعتبار
بعد يومين فحسب من وفاته . لذلك أترك الرد عليه الى مناسبة أخرى
أدحضُها فيها بالحجج والتفاصيل والذكريات الثورية . فما هذه أول مرة
في تاريخ بوليفيا والعالم كله ، ولن تكون الأخيرة ، يعامَل فيـــها
الثوريون معاملة المذنبين والمجرمين من قبل ممثلي النظام المضطرب القائم ،

وما أودّ قوله هنا هو ان هذه الجرائم المزعومـــة ، وان تكن قد سفحت دماً بريئاً يستحق العطف ، كما يحـــدث في كل اعمال الثورة الشعبية ، هي لديّ اعمال مجيدة يتجسد فيها أداء الواجب . إن الثورة الشعبية — وحرب المقاومة مثالٌ لها وواحدة من صورها — هي حقٌ كما أعلن البابا بولس السادس في رسالته الأخيرة ، وهي واجب مقدس على كل فرد يطلب العدالة . فاذا انا لم اسهم في هذه الأعمال ، فما ذلك عن امتيازٍ او حقٍ لرجل الفكر في ألا يسير بأفكاره حتى نتائجها الأخيرة . وانما هي مجرد قضية انضباط وتوزيع للمهمات الثورية . وأنا حين تركت « تشي غيفارا » يوم ٢٠ نيسان قد استشعرت هذا الافتراق كضرورة مؤلمة : ضرورة ان اقوم بواجبي كمناضلٍ ثوري في الخارج وبعيداً عن المعارك ، كما طلب مني هو نفسه . أماً الآن وقد أمسى هذا الافتراق نهائياً لا عودة عنه ، فان مصدر ألمي الأكبر اليوم هو أني لم أمُتْ الى جانبه .

هذا كل ما أردت قوله ، أيها السادة الضباط .

ريجي دوبريه

(١٠ تشرين الأول ١٩٦٧)

الدفاع امام المحكمة العسكرية

يا سيادة الرئيس ،

أستعيرُ الصيغة التي تلَوْتُموها قبل قليل لأقول ان « الحرمة الواجبة للقوانين وللسلطات » هي نفسها التي تجبرني على ان اكون صريحاً امامكم. ان هذه الحرمة لا ينبغي أن تفصل عن تلك المفروضة علينا جميعاً تجاه الحقيقة ، مدنيين وعسكريين ، قضاةً ومتهمين ، ومدّعى عليهم وممثلَ ادعاء . لهذا كان افضل دليل على الاحترام يمكن ان اقدمه لكم ، ايها السادة الضباط ، هو ان اكشف لكم في وجوهكم ، وفوراً ودون مواربة ، عن حقيقة وقائع ما تزال تفتقر الى الوضوح ، وعن حقيقة التُهم الموجهة إليّ في قرار الاتهام ، وعن حقيقة رأيي في هذه الدعوى. ان قول هذه الحقائق امامكم ، وقبل صدور حكمكم ، سيكون افضل من قولها وراء ظهوركم ، بصورة غير مباشرة أو غير صريحة ، صورة لن تكون تعبيراً عن الاحترام بل عبودية وانتهازية . ولأُضِف ايضاً : إذا كان المفروض هو أن يحكَم عليّ هنا بالسجن ثلاثين عاماً كما طلب المدعي العام ، فلن يكون برهاناً على الصلَف — كما تكرر القول هنا — أن أطلب من المحكمة العسكرية الاصغاءَ إليّ ثلاثين دقيقة ، مرةً واحدة على الأقل .

ولأقُل لكم بادىء ذي بدء اني دهشت كل الدهشة ، امس ، من تدخل « المستمع العسكري » [1] ، أعني من مقاطعته . لقد قاطع أحد وكلاء الدفاع بذريعة انه خرج عن الميدان الجزائي ، مع انه في رأيي لم يتطرق للمشكلة السياسية . وإذن يحق لي ان اتساءل لماذا لم يخطر للمستمع العسكري أن يقاطع المدعي العام العسكري خلال مطالعاته الاولى ، في اول جلسات المحكمة ، حين قرأ هذا – حتى قبل الاجراءات التمهيدية – خطاباً من النوع الذي يلقى في الندوات السياسية ، خطاباً يزعم التحدث في العقائد فيهاجمُ ما يسميه « الامبريالية الحمراء » – وهو تعبير لم يرد في قانون الجزاء – ، كما يهاجم فيديل كاسترو – الذي لم يرد اسمه مرةً واحدة خلال الدعوى – ثم يعرض « سياسة السلام والتقدم » التي يقول انها سياسة الحكومة الحاضرة ، مع ان وقائع التحقيق لم تشر ابداً – وعن حق ! – الى هذه السياسة . وهو بعدُ قد هاجمني شفهياً بأسلوبٍ مقذع ليس هناك ما يربط بينه وبين الوقائع (هذه الوقائع التي طُلبَ مني الالتزام بها) حين أطلق عليّ اوصاف « القاتل » و « السفاح المأجور » و « المرتزق الذي باع نفسه لكوبا » ، الخ ... لا تقولوا ان المدعي العام يمثل الدولة والقوانين المرعية ، وانه انما قام بواجبه حين شجب الخروج على القانون . ان تمثيل الدولة شيء وتمجيد سياستها شيء آخر . الدفاع عن القوانين شيء ومهاجمة نظام سياسي وجتماعي كالاشتراكية شيء آخر . وكذلك إدانة جريمة ما ، فهي امر يختلف عن توجيه الشتائم للأشخاص . على انه لا لَوْمَ على المدعي العام : فلقد نجح حقاً منذ البداية في ان يضع الأمور في موضعها، موضع صراع الطبقات والأفكار والمصالح ، او بعبارةٍ أصحّ موضع

١ رجل قانوني تعتمده الحكومة لدى المحاكم العسكرية ليرشدها الى أصول تطبيق القوانين وتفسيرها وليراقب – من حيث الشكل الاجرائي –سلامة قراراتها وسلامة الأعمال والأقوال التي تسبق هذه القرارات .

الصراع بين نوعين مـــن العنف ، العنف الرجعي والعنف الثوري. وهـــذا دون ريب هو السبب في ان « المستمع العسكري » لم يقاطعه ولا هو مقبل على مقاطعتي ، إذ ليس لنا ان نتهمه بالتحيّز أو التواطؤ. ولئن كان وكيلي لم يجب على هذه الشتائم فرعايةً لشرف مهنته ولأنه التزم الجانبَ الحقوقي من القضية ، وهو في ذلك على حق. لقد اكتفى بتهديم قرار الاتهام نقطة بعد نقطة ، وقام بدوره خير قيام. ولكن ، حين يتعرض شخصٌ ما للهجوم فالمألوف ان يكون لـــه حق الرد ، خصوصاً حين يكون الهجوم شتيمة ، ويتكرر بضع مرات. أنا اذن لا أطلب رأفة المحكمة ، كما طلب ذلك آخرون هنـــا ، ولكني أطلب عدالتها. إنها هي نفسها التي ستقرر هل يمكن لدعوى « كاميري » ان تحفل أم لا ببعض العدالة.

على أنني لا انتوي ابداً أن اجيب على الشتيمة بالشتيمة ، وعلى البلاغة المجلجلة ببلاغة مجلجلة ، وعلى فراغها بفراغ مثله. أريد أن أجيب بعرض بسيط ومجرد للوقائع. انكم لا تتوقعون ، من رجل فُرض عليه مدى شهر كامل ، وهو جالسٌ أبكم كما لو كان غائباً كل الغياب عن المناقشات ، الاستماع الى سيل دقيق الحبكة من الدسائس والتلميحات والأكاذيب ، لا تتوقعون من مثل هذا الرجل ألا تراوده رغبة اعلان سخطه بأعلى صوته ، لا سيما بعد كل ما قرأه اضافة الى ذلك في تلك الوريقات السَّبّابة الشتّامة التي لا ادري لماذا يسمونها صحفاً. على اني مع ذلك سأحاول هنا إسكات هذا السخط كله وهذه المرارة المتراكمة لأتحدث حديثاً هادئاً عن الوقائع.

أنا اذن اعتبر « من مصلحة دفاعي » ان اساعد المحكمـــة على تكوين فكرة واضحة ودقيقة عمّا كان عليه نشاط رجال المقاومة في التواريخ التي تتوافـــق مع الاجراءات العسكرية التي ادت الى هذه المحاكمة.

وأعتبر « من مصلحة دفاعي » بالدرجة الثانية ، على الرغم من ان المحكمة لا تعتبر نفسها مسؤولة عن جميع المخالفات التي ارتكبت قبل المرحلة الراهنة من الاجراءات القضائية او بصورة موازيـــة لها ، ان اساعد المحكمة على ان تدرك كل الادراك انه كانت هناك مؤامرة ، قد لاتكون اثرت على موقف المحكمة ، ولكنها بالتأكيـــد قد ادخلت الفساد الكثير على ملفّ الدعوى وأثرت في المناقشات . واقصد بذلك تلك المكيدة التي حاكتها ضدي وكالة المخابرات المركزية التابعـــة للولايات المتحدة ، في الخفاء وعلى الصعيد الدعائي معاً ، ومنذ الأيام الأولى لاعتقالي .

كذلك اعتبر « من مصلحة دفاعي » ان اتناول بالفحص الأدلة التي تراكمت خلال هذه المحاكمة ، واحداً بعد واحد ، لأن ذلك جدير حقاً بمثل هذا العناء . على اني بعد دفاع وكيلي لم يبقَ لي إلا بضعـــة تفاصيل اضيفها ، وبضع ملاحظات حول اساليب الاتّهام .

وكل هذا في هدوء وصفاء ذهن . ذلك اننا بلغنا الآن لحظة اصبح فيها تاريخ حركة المقاومة الثورية البوليفية ، او على الاصح تاريخ هذه المرحلة الاولى منها ، تلك التي كان موت « تشي » ظاهرتها البارزة ، اصبح فيها هذا التاريخ نفسه جزءاً من التاريخ . بلغنا لحظة اصبح كل شيء فيها تقريباً قابلاً للايضاح من اوله الى آخره ، دون اهتمام بأمر هذا او ذاك من عناصره هل يشكل أم لا يشكل جريمة ، وهـــل هو في مصلحة المتهم أم ضده (فمن حسن الحظ ان للتاريخ معايير اخرى للعدالة والظلم لا يعرفها قانون الجزاء) . ونحن على هذا الهدف ، لا هدف انكار اتهامات غير معقولة ، بل هـــدف إلقاء النور على حقيقة تاريخية شُوِّهَت هنا ، دعونا شاهدَين من اولئك الذين يُسمون شهود الدفاع . على ان هذه الناحية من شهادتهما لم تكن تعنينا بالمرة ، بل كان كل ما نريده هو ان يقولا ما يعرفان : فَبِما ان هذا التاريخ قـــد

خُطّ على ارض الواقع من قبل رجال العصابات والجيش النظامي معاً ، فقد دعونا « كامبا » ، رجل المقاومة الوحيد الجديد بهذا الاسم من بين اولئك الذين يأسرهم الجيش اليوم ، وهو رفيقنا في حمل المثـل الأعلى الواحد ، وان كان بحكم مُقامه في السجن لا يستطيع حتى الآن ان يدرك حقيقة ما يجري وما جرى هنا حتى الآن. اما الشهود الآخرون من رجال العصابات فلا يعدون ان يكونوا هاربين ، هاربين تافهين ، بل ان بعضهم لم يستدعوا الى هذه المناقشات لأنهم قد اصبحوا جزءاً من الجيش ...

كذلك دعونا خصماً لحركة المقاومة ، ولكنه خصم شريف وشجاع ، لديه من الشرف والشجاعة ما يكفي ليعترف بشرف رجال العصابات وشجاعتهم : دعونا « الماجور سانتشيز » .

على ان من الواضح ان الوقت لم يحن بعد لظهور الحقيقة كاملةً غير منقوصة ، اذ لا نزال امام الوان من الضغوط والاهواء والتسويات. مثلاً : لقد كان بودي لو ان « الماجور سانتشيز » قال لنا هل يعتبر نصب الكمائن قتلاً ام عملاً حربياً ، وكم من الكمائن نصّب ضد رجال العصابات ، ومن كان اولئك الاجانب الذين اشتركوا في التحقيق مع رجال المقاومة المسجونين ، ولا سيما مع « فاسكيز » و « بوستوس » ومعي انا ، ومن اين اتى هؤلاء الاجانب ، وحول ماذا كان يدور الاستجواب ، الخ ... غير ان هذا لم يكن في الامكان .

اكرر القول بأن هذا كله لم يكن يستهدف تبرئتي ، بل اعادةَ التصوير الصادقة للوقائع التي ادت الى هذه المحاكمة . وأنا حين فعلت ذلك كنت ايضاً اعبّر عن احترامي لظلّ « تشي » العظيم الذي يخيّم ، او كان يجب ان يخيّم ، على هذه المناقشات : ظلّ « تشي » الذي قضى حياته لايضحي ابداً بالحقيقة مراعاةً للظروف او بدوافع انتهازية ،

والذي حاول عبثاً مرات عديدة ان يُيَسّر اطلاع شعب بوليفيا وغيره على صحيفة حركة المقاومة، هذه الصحيفة التي لم تكن في البدء تحوي إلا انباء الحرب ، والتي كان يسرد فيها بالتفصيل الدقيق كل الاحداث سعيدها وتعيسها ، والعدد الصحيح للخسائر على الجانبين ، والانتصارات والهزائم دون اي تغيير . كان عنوان هذه الانباء : « الحقيقة الثورية في وجه الاكاذيب الرجعية » .

ولقد أُعطيَ كلٌ من ثلاثتنا — « روث » و « بوستوس » وأنا — نسختين من هذه الصحيفة قبل تحركنا الى « موجو بامبا » . وهذه النسخ هي التي صودرت منا في هذا الموقع ، او هي على الاصح قد صودرت من « روث » (الذي كنا قد سلمناه نسخنا فوضعها جميعاً في جيبه) لا منّي كما زعم « الملازم رويز » ، احد الشهود . ولكن لما كانت الدعوى كلها تبدو موجهة ضدي شخصياً فليس في هذه الشهادات غير الدقيقة ما يثير العجب . ثم انها تفاصيل لا تؤدي الى نتائج ذات شأن .

بالمقابل ، هناك أمرٌ آخر يؤدي هذه المرة الى نتيجة ذات شأن حقاً : ذلك أنهم لم يقدموا اليكم هنا الا جزءاً من مائة من الوثائق التي صودرت من مستودعات « فانكواسو » بسبب خيانة الملقب « تشينغولو » ، وهو أحد رجال المقاومة السابقين ، وكان « رامون » قد طرده منها في ٢٧ آذار ،وهو الآن منخرط في الجيش . والمفروض أن يكون من بين محتويات هذه الوثائق — عشرٌ على الأقل من يوميات رجال المقاومة ، وسجلٌ لقيود الأشخاص ، ودفاتر جيب ، وكتب ، وجوازات ، وعشرات من اسطوانات الأفلام ، ومخطوط كتبه « تشي » حول الاقتصاد السياسي وأمريكا اللاتينية ، هو آخر مؤلف كامل له . كلُ هذا حُمل الى واشنطن ليطلع عليه السيد دين راسك ، ولكنه لم يرسل اليكم أنتم . وأشدّ ايلاماً أنهم حتى الآن قد حجبوا عن المحكمة مفكرة يوميات « تشي » . من الواضح بالطبع أني لا أقصد الهبوط بهذا الأثر التاريخي الحيّ ،

النموذجي ، الى مستوى مستند بين المستندات في خلاف مسكين كهذا الذي يشغلنا اليوم. ولكننا في هذه الوثيقة ، أكثر من أية أخرى سواها ، نجد كل تاريخ حركة المقاومة من بدايته الى نهايته. وهي الوثيقة الوحيدة التي حوت تسجيلاً دقيقاً لكل موضوعات المناقشات الجادة أو المسامرات الفارغة ، واشارة الى كل منا أهو مقاتل أم زائر ، وهل كان أم لم يكن جاسوساً أو ضابط ارتباط أو مورد خرائط أو مفوضاً سياسياً ، فيها يعرف دور كل منا وما أسهم به من عمل . ان الدهشة لتتحول الى شدة حين يفكر المرء أنه سيكون على المحكمة اتخاذ قرارها واصدار حكمها دون أن تكون قد استطاعت قبل ذلك الاطلاع على هذه الوثيقة التي من شأنها أن تبدد كل شكوكها دون استثناء ، بل وعدداً من الشكوك الأخرى اذا صح القول . وهذا بالضبط هو المحذور الذي حاولوا اتقاءه ، هو السبب الذي من أجله لم تتح لكم قراءتها : فلو قرأتموها لاتضح كل شيء ، ولتهاوى قرار الاتهام واستحال الى رماد ، ولاستعاد كل منا مركزه الحقيقي ، وهو — فيما يتصل بي — لا يأتي في المرتبة العاشرة ولا في المرتبة المائة بعد تلك التي أرادوا رسمياً اخفاءها علي لعوامل سياسية محلية ودولية . لو قرأتموها اذن ، هذه المفكرة ، لانهار كل بناء الدعاية الذي شيدوه ضدي ، ولاكتشفتم — مثلاً — أن « تشي » في مدى أحد عشر شهراً لم يتحدث مرتين عن كتابي « ثورة في الثورة » ، وهذا قليل على من رموه بتهمة « اعداد حرب العصابات وتنظيمها » ، ولكنه كاف لتحديد القيمة الفعلية لهذه الكراسة ، التي لم تكن لدى « تشي » الا واحداً بين مئة كتاب تضمها مكتبته في المعسكر . وكذلك كنتم ستكتشفون أن رحلتي السابقتين الى بوليفيا لم تكونا على أية علاقة باندلاع كفاح المقاومة المسلح هذا العام .

ما فعلوه اذن هو أنهم اتبعوا الطريقة التقليدية ، طريقة نشر السموم المعتادة : يعلنون عن « الكشف » عن وقائع هامة تدور جميعها حصراً

حول « دوبريه » ، كأمر طبيعي . ثم يدسّون في الصحف كذبة أو كذبتين ، فيثيرون جو التوتر اللازم ، واذ ذاك تبدأ آلة التضليل بالدوران بصورة تلقائية ، تدور وتنتهي الى لا شيء . ولكن هذا لا يمنع واحداً من وكلاء الادعاء المدني ، ذا جنانٍ مطمئنٍ راسخ ، من أن يَعتبر أمراً مفروغاً منه أني حملت مالاً الى « تشي غيفارا » لدى وصولي الى المعسكر ، ثم يقول ان دليله هو أن الجريدة ذكرت ذلك . بهـذه الطريقة يثبتون كل يوم في بوليفيا أن الشمس تدور حول الأرض . ولكن تبقى هناك حقيقة جزئية ، من الطبيعي ألا يعبأ بها السيد المذكور ، وهي أنه كذبَ في ما قاله . فأنا لم أحمل قطّ مالاً الى « تشي » ، الذي ليس من أولئك الذين يخلطون بين الأسماء . وكذلك أشار المدعي العام الى جملة أخرى في المفكرة حول مهمة يقول اني كلفت بها ، هي مهمة اقامة علاقات مع الحزب الشيوعي البوليفي نيابةً عن فيديل كاسترو . قال ذلك ليخدم به أغراض مطالعته ، ولكن دونما بيّنة على الاطلاق . فلأسرعْ الى القول بأني أشك كثيراً بورود مثل هذه الجملة ، في هذه الصيغة على الأقل . صحيحٌ أن لي أصدقاء في الحزب الشيوعي البوليفي ، ولكني لم أجتمع قط بأي زعيم من زعماء هذا الحزب في بوليفيا لأناقش معه قضايا سياسية ، لسبب كافٍ وبسيط هو أني لا أحمل أي تفويض بالاتصال بأي حزب سياسي باسمِ أي شخص غير نفسي . وأخيراً ، فان أولئك الذين يزعمون تضليل الرأي العام وتشويه الحقائق بمثل هـذه الأساليب انما يخدعون أنفسهم . انهم على ضلال لانه لا بدّ أن تكون هناك وثائق تحوي قيوداً لمنشأ حرب العصابات البوليفية وبداياتها ، مع تواريخ ووقائع وأسماء ، وثائق لن تستطاع مصادرتها وستنشر في الوقت المناسب دون ريب .

وليس يهمني أن يصدر حكمكم النهائي فيكون فيه أو لا يكون ارضاءً لمطالب المدعي العام . ما يهمني هو أن أُدانَ على أساس من الحقيقة ، أن أُؤخَذ بما أنا وبما فعلت ، لا استناداً الى حقائق مشوهة ، أو الى

شهادات كاذبة (وقد استمعنا هنا، يا سيادة الرئيس، الى خمس منها: ثلاث عسكريات، واثنتين أدلى بهما اثنان من رجال العصابات السابقين)، أو الى ألاعيب مخادعة ككل بيّنات الادعاء التي عرضت عليكم حتى الآن. وأنا أشدد على طلبي هذا لأن لدى الجيش والحكومة كل الوسائل التي تجعلهما قادرين على كشف الحقيقة في بساطتها. إنني، خلافاً لما زعمه المدعي العام، لا أطلب ولم أطلب قط الحصانة تضفيها عليّ صفتي ككاتب أو كرجل فكر. لا أحاول التهرب من العقوبة القصوى، حتى لو أن عقوبة الاعدام كانت لا تزال سارية، وانما أعترض على الأسس التي يراد بها تبرير هذه العقوبة. ان جوهر القضية ليس في العقوبة التي ستحكمون بها، فهذه ليست لها أية أهمية، بل هو في الأسباب التي ستبنون عليها هذا الحكم.

في صراع الحياة والموت القائم اليوم، كما ذكر هنا أحد المحامين، بين الامبريالية الأمريكية وأذنابها وبين الاشتراكية والثورة، من المسلم به ان الشخص الذي اختار طريق الثورة يعرّض نفسه عاجلاً او آجلاً للسجن او للقتل. ولكني لا أرى في هذا امراً شاذاً او غير طبيعي. لستُ أوافق المدعي العام على ما كرر قوله من أن الشخص الذي يستطيع ان يقضي ثلاثين عاماً مُضْنية في السجن أفضل حظاً من ذلك الذي يموت في المعركة. رأيي أن الأمر على العكس. ولكن ما أرفضه بصورة قاطعة، على أية حال، هو أن تُحجب الادانة السياسية للمخالفة العقائدية وراء قناع من الادانة القضائية. هو أن أعطى دوراً في تنظيم حرب العصابات لم يكن لي قط. هو أن يحكم عليّ كقاتل وسارق، كما يقول الاتهام. وهو أخيراً ان يحاول تأويل تصريحي عن اشتراكي في المسؤولية السياسية والمعنوية على انه «اعتراف بالذنب». اي ذنب؟ وبأية معايير؟ إن تكن سياسية فمقبولة، ولكني أرفضها اذا كانت معايير قضائية.

ليُقَل لي : « سنحكم عليك لأنك ماركسي لينيني ؛ ولأنك ألفت « ثورة في الثورة » ، هذا الكتاب الذي قرىء مرة في غيابك على بضعة من رجال المقاومة ؛ سنحكم عليك لأنك أبديت اعجابك الصريح العلني بفيديل كاسترو ولأنك جئت الى بوليفيا لتتحدث مع « تشي » دون أن تسأل السلطات موافقتها المسبقة على ذلك ودون أن تنبئنا بأمره سلفاً وفي الوقت المناسب ؛ ولأنهم أطلقوا عليك لقب « دانتون » ولأنك قمت بمهمة الخفر في المعسكر مرتين أو ثلاثاً كأي زائر آخر » . كل هذا حق ولا اعتراض لي عليه . فما عن عبث يقوم الصراع الطبقي وتنتشر السفارات الأمريكية بجحافل عملائها ودعاتها ، وما عن عبث لا نزال في حاجة الى الثورة .

ولكني سأحتج اذا قيل لي : « سنحكم عليك لأنك جئت مرتين الى البلاد تتجسس عليها ، ولأنك زودت « تشي » بالخرائط ، ولأنك حملت اليه الأموال، ولأنك كنت عضواً في هيئة أركان حرب العصابات، ولأنك أعددت العمليات العسكرية ، ولأنك أعطيت دروساً للمحاربين ، ولأنك كنت مفوضاً سياسياً وفاعلاً ذهنياً للتخريب ومقاتلاً وراء الكمائن » . سأحتج لأن كل هذا لا يعدو أن يكون كومة من أكاذيب مختلقة ، من أضاليل لا تستند الى شيء . وسأحتج بكل الصور الممكنة وفي كل يوم من ايام حبسي .

ولا ينبغي لموقفي هذا أن يثير دهشتكم . فعلى رغم اني أعلنت مئة مرة أسفي لأني لم أكن مذنباً على الصورة التي يتمناها الادّعاء ،وحزني لأني لم أمت الى جانب « تشي » ، فاني لا أعطيكم أي حق قضائي باداني لأن قانون الجزاء يعاقب على الأفعال لا على النوايا . ان حملة التشهير التي قامت بها ضدي كل رجعية أمريكا اللاتينية ، ابتداء من الجنرال « ستروسنر » حتى « جيراس كامارغو » ومروراً بـ « لويس

كونتي آغويرو » وبصحافي مدينة « لاباز » ، تلجأ منذ بعض الوقت الى خدعة ماهرة ، هي الخدعة الحقوقية السياسية . فحين أقول : «الذي حدث هو انني لم أرتكب أية من الجرائم التي اُتهمت بها ، لا بطريقة مباشرة ولا غير مباشرة ، واني بريء كل البراءة من التهم التي تنسب الي » ، يردّون عليّ بقولهم : « أنت اذن تتنكر لأرائك السياسية ، ولا تملك الجرأة على حمل وزرها ، بل تغسل يديك من الدم الذي دفعت الى سفكه بكتابك » . ولكن حين أقول : « انني أعلن مشاركتي في المسؤولية السياسية والمعنوية الناتجة عن أعمال رفاقي التي هي مبرر هذه الدعوى » ، حينئذ تنطلق صيحات الفرح من أفواه هؤلاء الكتّاب المبتدئين فيقولون « ها هو ذا قاطع الطريق يعترف أخيراً بذنبه !... » ولكن ، مرة أخرى ، أي ذنب ؟ الظاهر أن هؤلاء السادة لن يقنعوا ولن يكفوا عن العواء وعن نفث السموم ما داموا لم يسمعوني أعترف بأني كنت عضواً في قيادة حرب العصابات ، واني أنا اخترت منطقة العمليات واستكشفتها ، وأنا أشرفت على الاستعدادات وهيأت الكمائن ، واني كنت مفوضاً سياسياً ومستشاراً لدى تشي ، وان كراستي كانت كتابَ الصلوات لدى رجال المقاومة ، الخ ... أما اذا أعلنت ان هذه الأكاذيب الملفقة صحيحة، فانهم اذ ذاك سيصفونني بالصدق والشجاعة ، وبالثبات على المبدأ ووعي المسؤولية . انهم — ببساطة — ينسون أن من الواجب احترام الوقائع ، ومعرفتها قبل الكلام عنها ، وان هذه الوقائع ليست مطواعة ولا قابلة للتزييف . وأنا لا يسعني تلفيق الأساطير ارضاءً لرغباتهم . هذا هو المأزق الذي يريدون أن يزجّوني فيه : إما أن يستغلوا الترامي السياسي ليصلوا الى القول بمسؤوليتي الجزائية ولو عن طريق اختلاق الأكاذيب ، وإما أن يستغلوا براءتي الحقوقية ليتهموني بأني في واقع الأمر لا التزم أية سياسة أو بأني لم أكن منسجماً مع نفسي .

إن القضية ، أيها السادة ، ليست في مثل هذا اليسر ! هنـا ، في هـذه القاعة ، يبدو أنه لا يدور للسياسة حديث وأن المسألة انما هي تطبيق لقانون الجزاء ، تطبيق للعقوبـة القصوى المخصصة لجرائم القتل والسرقة والتمرد ، على رجل لم يشترك شخصياً ولا بصورة غير مباشرة في أي من الأعمال الحربية موضوع المحاكمة ، وان كان مؤيداً لها كل التأييد .

فما الذي أعنيه اذن بالاشتراك في المسؤولية ؟

بصفتي ثورياً (وإلى المدى الذي أستطيع بلوغه في اطلاق هذه الصفة على نفسي) أشعر وأعلن أني مشترك في مسؤوليـة جميع « الجرائم » التي ارتكبهـا جميع الثوريين في كل أنحاء الأرض ، بدءاً من طباعة المنشورات السرية حتى السطو على المصارف لجمع المال، بدءاً من الاجتماع غير المشروع حتى اعـدام أحد محترفي التعذيب . ذلك لأني لو كنت طليق اليد لأطعت لفوري إذا ناداني زعيم ثوري في أي مكان ليقول لي: « نحن في حاجة اليك . في حاجة اليك من أجل مهمة معينـة لأنك في رأينا الوحيد المؤهل لأداء هذه المهمة خيراً من سواك ، ولأنك اذ تؤديها تخدم القضية المشتركة » .

ولن أستغرب أبـداً أن تكون لديهم الرغبـة في عقابي على هذا الاستعداد . إن عقاب التطلعات والاستعدادات هو بالذات مبرر وجود المحاكمات السياسية .

لو أن « تشي » ، حين رجوته في مطلع نيسان أن يقبـل انخراطي نهائياً وفوراً في صفوف رجاله ، أجـابني : « أنت ذو مزايا جسدية طيبة ، وأنت مؤهل للقتال في الغابات معتادٌ عليه وعلى حياة الريف . وسيأتي آخر فيما بعد فيؤدي مهمتك الصحفية . وهي غير ملحـة . إبق معنا » ، لو فعل ذلك لكنت سعيداً بالبقاء كمقاتل، كواحدٍ من رجال

العصابات ، مستعد للقتال في أي مكان وفي أي عدد من المرات أؤمر به . وهل يستطيع مناضل ملتزم أن يحلم بما يفوق الخدمة تحت إمرة « تشي » ؟ ولكني لسوء حظي أصبت بالمرض في ذلك الحين نتيجة لنقص في التغذية ، كما قلت في إفادتي أمام المستنطق ، فلم يشعر «تشي» بكبير ثقة في قدرتي الجسدية على الاحتمال . وأقول « لسوء حظي » لأني لولا ذلك لما خرجت قط من جيش المقاومة ، ولما وجدت نفسي جالساً هنا أتكلم ، معرضاً نفسي لكل هذه الدعاية السخيفة ، وللدعاية الامبريالية ، ولحقد الأمريكيين وغلّ ضيوف الشرف لديهم ، المنفيين الكوبيين ، هذا الغل المفرط النشاط والتوفّز . ولكن هذه هي قصة دخولي معسكر رجال المقاومة وقصة خروجي منه ، كما يدخل ويخرج أي زائر عادي ، ان كنت قد شاركت في الحياة اليومية للمعسكرات وقتاً أطول مما كنت أتوقع ، لأنهم هناك أيضاً يعيشون حياتهم اليومية .

لِمَ اذن أعلن أني شريك في مسؤولية الأعمال الحربية التي قام بها رفاقي ؟

لأني ، بدلاً من أن أشجب هذه الأعمال،أؤيدها وأعتبرها مشروعة وضرورية .

وأيضاً لأني كنت أرتضي المشاركة في تنفيذها أو في الإعداد لها لو أن « رامون » وافق على ذلك أو لو أني كنت قادراً عليه .

وأخيراً لأن مجرد بقائي في صفوف الثوريين ، واحتفاظي بالقناعة الكاملة بأن الكفاح المسلح هو محور الكفاح التحريري ، ولا سيما في بوليفيا ، دليلٌ على أني لا أتنكر لهذه الجرائم المزعومة بل أظل مستعداً لارتكابها . انني أعلن حمل مسؤوليتها ، وإذ ألتزم النظرة الأخلاقية والسياسية التي أوحت بها ألتزم أيضاً وبصورة محتومة بكل ما هو نتيجة لها .

هل يؤدي هذا الى نفي صفة « الزائر » عني والى جعلي « مقاتلاً »

في صفوف العصابات » ؟ حول هذه النقطة ، التي أكثر الكلام عنها المحامون والادعاء ، الحقيقة في واقعها هي التالية :

حين قابلت « تشي » للمرة الأولى لم تكن المعارك والكمائن قد أصبحت موضع بحث ، ولا كانت متوقعة الحدوث في وقت قريب ، ومع ذلك سارع « تشي » الى ايضاح أني هناك زائر فحسب . صحيح أننا عرضنا لاحتمال انخراطي في حركة المقاومة ، ولكنه كان يريدني أن أقوم الى جانب عملي الصحفي بمهمة أخرى ثانوية ، وكنت في الواقع نفسه راغباً في حل بعض المشكلات الشخصية التي كانت تقلقني كثيراً ، فقررنا بالاتفاق أن أغادر المعسكر على الفور ، وكان من المفهوم في الوقت نفسه أني سأعود فيما بعد الى بوليفيا مرة أخرى ، لأبقى فيها هذه المرة ، وكمقاتل في حركة المقاومة .

على أن الوضع تعقَّد بصورة مباغتة حادة ، وأصبحت الاتصالات مع الخارج عسيرة . وكنا أربعة زائرين في المعسكر ، فقرر « تشي » أن نكون أنا و « بوستوس » أول الراحلين عبر موقع « غويتاريز » ، أما « تشينو » و « تانيا » — اللذان كانا عنصرين أكثر أهمية على الصعيد الثوري — فقد أُعدَّت لهما خطة للمغادرة أكثر احتراساً ودقة . وبعد أن أخفقت محاولتنا إجتيازَ « غوتياريز » عدت الى تذكير «تشي» بموضوع انخراطي في صفوف رجال العصابات ، فأجابني بأني لم أكن ذا دربة كافية على حياة الغابة ، وأن عشرة من مثقفي المدينة هم أدنى شأناً لديه كمقاتلين من فلاح واحدٍ من أهل المنطقة . وقد أقنعني هذا بأني سأكون أنفع كثيراً في الخارج مني في الداخل ، لا سيما فترة العزلة تلك ، وشد من عزيمتي على مغادرة المعسكر كما دخلته : كزائر بسيط .

ولكن « تشي » برغم ذلك لم يشأ دفعنا الى المجازفة بأنفسنا في رحلة شبه مرتجلة . فإذا أردتم دليلاً اضافياً على أننا لم نكن خاضعين لما يطبق

على المقاتلين من انضباط حديدي ، فاعلموا أن « تشي » — على رغم تكراره الاعراب لي عن قناعته بأفضلية الاسراع بمغادرة المنطقة — قد ترك لنا حرية الاختيار بين البقاء وقتاً أطول مع رجال المقاومة وبين المغادرة عبر هذا الطريق أو ذاك وبهذه الوسيلة أو تلك . لم يكن يأمرنا . كان يقول رأيه فحسب ، وكنا أحراراً في عدم الأخذ بهذا الرأي . وكنا قد أثقلنا بما فيه الكفاية ودونما نفع على تحركات المقاتلين ، وقد تكاثر بينهم المرضى ،فألححت من جانبي على المجازفة بالرحيل ، نهائياً وبأسرع ما نستطيع ، لا سيما وأننا لم نكن نتصور قط — حتى لو اعتقلنا في الطريق — أننا سنواجه مثل هذه المعاملة ومثل هذا الصخب الدعائي ومثل هذه الدعوى . كان اعتقادنا اذ ذاك أننا سنستطيع أن نكون أسرع عودة بقدر ما نسرع في المغادرة ؛ واننا هذه المرة لن نعود كزائرين.ولكن، ما جدوى ذلك الآن ؟ ان ما كان يمكن أن يحدث ولم يحدث ، ولا هو مع الأسف ممكن الحدوث بعد الآن ، ليس من اختصاص هذه المحكمة .

اذن،ما الذي يدفع رجلاً غير مقاتل الى اعلان شراكته في مسؤولية ما يرتكبه المقاتلون الثوريون ؟

اسمحوا لي هنا بمقارنة .

في « ليلة القديس يوحنا » سُفك دم عمال المناجم . اقتحم الجيش المناجم على بغتة ، في ظلمة الليل،وفي الصباح كانت على أرض المنجم ٢٧ جثة وثلاثة أضعاف هذا العدد من الجرحى ، على ما تقول الأرقام الرسمية . هنالك أيضاً ، يا سيادة الرئيس ، تجدون ٢٧ أسرة في حداد، ولكن هذه الأسر لا تستطيع اعلان سخطها ولا المطالبة بالثأر لقتلاها ، ولا أن تجعل نفسها طرفاً مدنياً في دعوى،ولا أن تأمر بلصق الاعلانات الضخمة في الشوارع . حداد صامت في ٢٧ أسرة . وكل الذين يلبسون

البزة العسكرية هم في رأيي شركاء في ما شهدته تلك الليلة من جرائم. أنتم أيها السادة الضباط، حتى لو لم تنفذوا هذه الفاجعة ولا أعددتموها ولا خططتم لها، شركاء في مسؤوليتها معنوياً وسياسياً.

أولاً، لأنكم لا تشجبون هذه الأعمال، بل يبدو انكم توافقون عليها كشر ضروري تجتنبون به شراً أكبر يلحق بالنظام الدستوري، أي بالتخريب الرسمي المعمم. ونحن أيضاً، في «نانكاهوا» و«ايريبيتي»، نرى شروراً ضرورية نتفادى بها شراً أكبر يلحق بالشعب، هو شر الاضطهاد المعمم.

ثانياً لأنكم كنتم ستقبلون المشاركة في هذه الأعمال، تقيداً بالنظام، لو أنكم تلقيتم الأمر بذلك.

وأخيراً لأنكم لم تخلعوا بزتكم العسكرية بعد ليلة القديس يوحنا.

ليس هناك أحد، باستثناء المصابين في عقولهم والفاشستيين، يحب أن يرى البشر يصنعون التاريخ بقتل الآخرين. ولكن، اذا أردتم التحدث عن الجرائم، فأين هم الأبرياء؟ كلنا هنا، قضاة ومتهمين، شركاء في جرائم. لا أنتم تمثلون السلام والسعادة ولا نحن في الجانب المقابل نمثل العنف والآلام. بين عنف العسكريين وعنف العصابات، بين عنف القمع وعنف التحرير، كل يختار موقفه. هنا جرائم وهناك جرائم. فأية هذه الجرائم نختار أن نشارك في مسؤوليتها، أو في تنفيذها أو في حمايتها؟ أنتم اخترتم جرائمكم، وأنا اخترت جرائمي. هذا كل ما في الأمر.

ولكن، لننظر الى الوقائع. لنر هل اقترف رفاقي حقاً جرائم قتل، هل كان رفاقي حقاً مجرمين.

لقد طلب المدعي العام من المحكمة في مرافعته الأولى أن تجعل مني «قدوة» ، أن تجعل مني درساً وعبرة . وكان هذا يعني — بعد فشل محاولة اعادة العمل بعقوبة الاعدام في الوقت المناسب برغم الطلب الذي تقدم به الجنرال «بارينتوس» الى «الكونغرس» — أن أُحكم بالعقوبة القصوى المعمول بها اليوم : ثلاثين سنة . ولكن لما كانت هذه العقوبة لا تنطبق إلا على حالات القتل العمد وقتل الوالدين والخيانة ، وكنت لم أخن وطني ولا قتلت أبويّ، فكان لا بد من تلفيق أكذوبة مزدوجة .

أحد طرفي هذه الأكذوبة كان اطلاق صفة «القتل العمد» على كمائن ٢٣ آذار و ١٠ نيسان . وقد استلزمت هذه اللعبة القول بأن الجيش يوم ٢٣ آذار لم يكن عارفاً بوجود رجال العصابات ، وان افراده بوغتوا «بمعاولهم ورفوشهم» بينما كانوا في مهمة عادية في المنطقة . ولهذا نجد المدعي العام لا يصف «المهاجمين» بأنهم رجال مقاومة بل يسميهم قطاع طرق .

أما الطرف الثاني فكان القول بأني شاركت في جرائم «القتل العمد» هذه ، بصورة غير مباشرة على الأقل، إن لم اشارك بصورة مباشرة ، أي كمحرض ، كقطعة أساسية في الجهاز العسكري لحركة المقاومة .

فلننظر في النقطة الأولى ، نقطة الكمائن .

صباح ١١ آذار ، في الساعة السابعة ، غادر المعسكر المركزي لرجال العصابات رجلان من سرية «موسى غيفارا» ، كانا مكلفين بالصيد بموجب أمر توزيع المهمات ، في وقت لم يكن فيه أحد بعد يفكر في القيام بعمليات حربية . ونزل الرجلان نحو النهر ، يحملان كلٌّ بندقيته. ولكنهما بدلاً من أن يتجها يميناً نحو الشرق ، حيث توجد أماكن القنص، ذهبا غرباً وغابا في اتجاه «كاميري» . هذان كانا الهاربين الأولين ، وهما هنا الآن في عداد المتهمين لأن مُخرج المسرحية ذهب في فنّه إلى

حدّ اعطائهما دوراً ثانوياً على مقاعد الاتهام ، وهو أمر ضاقا به بعض الضيق على ما فهمت .

وقبل أن يستطيعا بلوغ « لاباز » حيث كانا يريدان الذهاب ، على ما تقول افادتهما الخطية ، « لتقديم تقريرهما » ، اعتُقلا يوم ١٤ آذار. ولقد أدليا في اليوم نفسه ببيانات بالغة التفصيل ، منها أن أحدهما كشف عن كونه ذا صلات قديمة مع مصلحة المخابرات والرقابة السياسية. وهو في اعترافه يقول حرفياً انه « دخل حركة المقاومـــة بقصد التجسس ، عساه بعد ذلك يجني بعض الربح ثمناً لوشايته » . وتجدون بياناته الخطية، التي أدلى بها يومي ١٤ و ١٥ آذار ، في الصفحة ٣٠ ومـا بعدها من ملف الدعوى . ولما كانت هذه البيانات لم تُتلَ علناً هنا ، فأرجوكم أيها السادة الضباط أن تطالعوها بعنايـه . انـكم واجدون فيهـا وصفاً دقيقاً لحركة المقاومة ، بأفرادها المتواجدين اذ ذاك في المعسكر المركزي (٢٠ رجلاً) ، وبأولئك الذين رافقوا « تشي » الى « فالينغرانـدي » في مهمة استكشافية (٣٠ رجلاً) ، وبجنسية رجال العصابات وأسمائهم ، وخطط عملهم ، وبموقع المعسكر والمسارب اليه ، وباحتوائه على أجهزة لاسلكية ، الخ ... وأنتم بالطبع ستجدون « تشي » في هــذه البيانات يدعى « رامون » ، ولكن أيضاً مع كل التفاصيل عن موعـد وصوله الى بوليفيا ، وعن أسلوب تخفّيه ، وعن عمله ، وعما كان يحمله معه، وكيف كانوا يتوقعون وصوله الى المعسكر بين لحظة وأخرى ، الخ ... كذلك ستجدون أن « انطونيو » الذي كان اذ ذاك آمراً للمعسكر قد عاملهما معاملته لكل الرفاق الآخرين ، دون أي تحفظ ، بل أطلعهما على المجموعة الكاملة للصور التي كانت ما تزال سرية والتي كان منذ تشرين الثاني يلتقطها لـ « تشي » ولمرافقيه . وهما اذن قد غادرا المعسكر دون انتظار وصول « تشي » اليه . ولقد قالا في بياناتهما انهما قاما عــلى الفور بمهمـــة ارشاد الجيش بـراً وجواً ، ثم أُرسلا فيما بعد الى مقر

الأركان العامة للجيش في « لاباز » ، قبـــل يوم ٢٣ آذار ، لإكمال تقريرهما . وبعد هذا، كما لو كان الأمر في حاجة الى أي دليل اضافي، تمّ القاء القبض على «شوكشوك» (وهو أيضاً من سرية موسى غيفارا) يوم ١٧ آذار دون أن يبدي أية مقاومة ، فأيـــد بيانات رفيقيه والتحق فوراً بالجيش مرشداً له ، وشرح كيفية الوصول الى المعسكر وتفاصيل جهازه الدفاعي . ولقد روى « الماجور سانتشيز » ، في هذه القاعة ، كيف كان « شوكشوك » يسير في طليعة القوة التي احتلت المعسكــر المركزي في مطلع نيسان . أما العنصر الثالث من عناصر التجسس، الذي اكتملت بمعلوماته صورة كاملة لدى الجيش عن وضع حركة المقاومــة قبل معركة « نانكاهواسو » ، فهو المرشد « فارغاس » المدنـي الذي يرتدي بزة عسكرية ، والذي سقط في الكمين يوم ٢٣ آذار بينما كان يقود القافلة العسكرية نحو المعسكر . كان « فارغاس » هذا من سكان « فاليغراندي » ، وقد زاره « ماركوس » ، آمر طليعة العصابات ، زيارة طائشة ، ومعه كل رجاله يحملون السلاح ، في مطلــع آذار ، وقدّموا أنفسهم اليه بوصفهم خبراء في «الجيولوجيا» ، غرباء ، ليشتروا منه بعض الطعام ، اذ كان الجوع على أشده بين رجال المقاومة الذين كانوا يستكشفون المنطقة مع «تشي» . وقد ساورت الشكوك «فارغاس» هذا فتتبّعهم خطوة فخطوة من « فاليغراندي » حتى « نانكاهواسو » ، ثم ذهب لتوه يبلغ الأمر الى قيادة الفرقة الرابعة في «كاميري» . وكان طبيعياً ، بعد وشايات « آلفارانات » المتكـررة وظهور « ماركوس » وطليعته فجأة أمام مأجوري هذه القيادة ، ان يتحرك الجيش وينتقل الى الهجوم : في يوم ١٦ آذار احتل الجيش بالقوة منزل « كوكو بيريدو » ذا السقف القصديري وسقط أحد الجنود قتيلاً في هذه العمليـة . وفي الأيام التالية ــ وكان قد اكتشف موقع المعسكر ــ أخذ يبعث بالدوريات الى أماكن متزايدة التقدم ، وكانت طائرات الاستطلاع تحلق فوق المنطقة

طوال النهار . هكذا وجد رجال المعسكر أنفسهم محاصرين ، من غير ما طعام الا القليـــل ، اذ ان الطريق الى « كاميري » كان مسدوداً بالمتاريس . لقد بوغتوا على أقل ما يكونون أهبة ، بالاضافـة الى أنهم كانوا مشتّتين اذ ان « تشي » ورفاقه — الذين كانوا قـد أنبأوا انهم سيصلون معسكر « نانكاهواسو » يوم أول آذار — تأخروا عن موعدهم عشرين يوماً . وقد بعث اليه رجال المقاومـــة يبلغونه أمر هذا الوضع المفاجىء . وخلال ذلك قرر « ماركوس » ، الذي كانت له إمـــرة المعسكر المركزي بمعاونة « أنطونيو » ، أن يُخلي هـذا المعسكر بسبب عدم كفاية قواه لمقاومة ضغط الجيش المتزايد ، وان يتراجع الى وراء . وحين وصل « تشي » أخيراً ، يوم ٢٠ مارس ، وجد رجال المقاومة ينسحبون أمام هجوم الجيش ، فرأى في هذا الانسحاب المتعجل بادرة انهزامية ، وعزل « ماركوس » من منصبه ، وأعاد الجميع الى المعسكر المركزي ، مقرراً الدفاع عنه ضد أي تسلل عسكري . وعلى هذا الهدف ، أرسل مجموعة صغيرة من ستة رجال ليتخـــذوا موقعاً على مسيرة ثلاث ساعات تقريباً من المعسكر في ممرّ « نانكاهواسو » ؛ مهمّتهم الحيلولة دون تقدم الجيش . وكان ذلك كمين ٢٣ آذار .

ان ما حدث في الأيام السابقة لهذا الثالث والعشرين كان ذا تـــأثير حاسم ومميت على كل تطور حركة المقاومة فيما بعد . على أني لم أسرد عليكم هذه القصة الموجزة إلا لأثبت لـكم أن مزاعم المدعي العام ، ولو دعمتها شهادات كاذبة ، سرعان ما تسقط أمام الفحص . فالجيش لم يكن في « نانكاهواسو » من أجل « مهمة اعتيادية » ، ولا كان هدفـــه « شقّ أحد الطرق » . وما كان يحمله لم يكن « معاول ورفوشاً وسكاكين » كما زعم « الماجور بلاتا » ، بل كان رشاشات من عيـار ٣٠ ومدافع هاون من عيار ٦٠ وأجهزة اتصال لاسلكية ، بالاضافة الى دعم القوى الجوية . وكان يعلم الى أين يذهب : الى احتـلال المعسكر المركزي ،

في عملية مشتركة مع فرقة عسكرية أخرى كانت تتقدم من الاتجاه الآخر ، انطلاقاً من « غويتاريز » ، وفقاً لأساليب التطويق التقليدية . كما أن الطيران كان قد تلقى الأمر ، ظُهْرَ يوم ٢٣ آذار ، بالقاء القنابل على المعسكر . وصحيح أن الرأي العام لم يكن على علم بهذه الأنباء بعد (وإن كانت الصحف قد لمحت الى حركة المقاومة منذ الأيام الأولى من آذار) ، ولكن الأعمال الحربية كانت قد بدأت فعلاً بالنسبة لكلا المعسكرين . بدأت لدى رجال المقاومة منذ يوم ١١ آذار ، يوم بدأت أولى عمليات الهروب فجعلت المعسكر كله في حالة تأهب . وبدأت لدى الجيش بعد بضعة أيام ، باحتلاله بالقوة بيت « بيريدو » . بل الواقع أنه ، يوم ٢٣ ، كان الجيش هو الذي يهاجم وكان رجال المقاومة في موقف الدفاع . واذا كان الجيش قد فوجىء على صعيد « التكتيك » ، فالمفاجأة على الصعيد الستراتيجي كانت لرجال المقاومة ، الذين لم تكن لهم مبادرة المعركة بل اجتنبوها في البداية .

لهذه الأسباب كلها لم يكن الكمين « قتلاً عمداً » بل كان عملية حربية ، في حرب معلنة « تكتيكياً » عن سابق تصور وتصميم لدى الجانبين .

بالطبع ، كان الكمين دامياً ، ككل كمين آخر . إنه اسلوب في القتال قديم قِدم العالم ، وجد منذ بدأ الضعيف يكافح ضد القوي ، اسلوب اتسمتْ به كل الحروب الشعبية في كل الأزمنة ، ويلجأ اليه الناس حتى في الحرب النظامية . وصحيح أن أبرياء قد قتلوا ، جنوداً وضباطاً . ان الجنود البوليفيين الذين سقطوا عام ١٩٥٢ فوق مرتفعات « لاباز » برصاص عمال المناجم لم يكونوا ، فردياً ، مسؤولين عن أعمال أصحاب الأراضي الواسعة ولا عن لصوصية « روسكا » ولا عن ضآلة الأجور . وجنود « بيرو العليا » الذين سقطوا وهم يدافعون عن السلطان

الاسباني برصاص الأخوة «لانزا» وأنصار «باديليا» و «آزوردوي» لم يكونوا مسؤولين عن استبداد النظام الملكي ، ولا عن الرق ، ولا عن الاحتكار الاسباني للتجارة . وهم أيضاً كانوا ضحايا النظام الظالم الذي كانوا له أدوات طيعة عمياء . ففي كل هذه الحقب كان الجنود أول ضحايا الاستغلال والقمع اللذين كانوا يدافعون عنهما دون أن يدركوا في الأغلب حقيقة ما يدافعون عنه . كانوا ضحايا واجبهم القانوني ، هذا الواجب الذي لم يلبث أن أمسى غير مشروع وغير منطقي ، وأمسى غير ذي محتوى . وهذا يكفي لكي يستحق الشهداء الاحترام ولكي تثير عائلاتهم العطف . ولكنه لا يكفي لمنح النظام الاجتماعي الذي يستخدمهم حفاظاً على سلطته حق استغلال مأساتهم بالدموع الكاذبة . ان عمليات الحرب الثورية لا تقيم صراعاً بين أفراد — أفراد لكل منهم عائلة وآباء وأبناء وأحبّاء وذكرى طفولة — بل بين محض ممثلين لنظامين لا سبيل بينهما الى الوفاق . هذه العمليات الحربية هي ثمرة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، التي لا شأن لها بارادة الممثلين والموجودة من قبل أن يكونوا . تناقضات لم يخلقها أحد ، ولا أحد بقادر على إلغائها ، وإن كان يستطاع بالفعل تجاوزها وحلّها . والمأساة بالطبع هي أن أولئك الذين يسقطون ، على الجانبين ، ليسوا جمادات ولا أرقاماً ، وليسوا أدوات مجردة وقابلة للتعويض ، بل هم بشر ولا بديل لهم ، أبرياء في الأساس ، ولا شيء يعزي عن فقدهم أولئك الذين أحبّوهم ونشّأوهم وعرفوا قدرهم . تلك هي مأساة التاريخ ، كل تاريخ ، وكل ثورة . المعركة في الأغلب لا تضع وجهاً لوجه أشخاصاً متعارضين ، بل مصالح وأفكاراً متعارضة يمثلونها ، ولكن الذين يسقطون ويموتون هم البشر . ولا سبيل الى اجتناب هذا التناقض ، ولا الى الخلاص من هذا الألم .

واذا كان نصب الكمائن ، في حد ذاته ، قتلاً عمداً ، اذن فأمريكيو « باناما » وحصن «بريغ » أكبر القتلة لأن أهمّ ما يعلّمونه لعسكريي

أمريكا اللاتينية وللجنود البوليفيين ، في تمارينهم في الغابات ، هو نظرية الكمائن ضد رجال العصابات وتكتيكها . اذا كان الكمين في ذاته جريمة قتل لأنه ليس معركة بين أنداد ولا في ظروف خطر متساوية ، اذن فالقتلة كثيرون في الجيش البوليفي الذي لم يتورع عن نصب الكمائن . ثم ان كميني « نانكا هواسو » و « ايريبتي » لم يكونا كميني إبادة ، بدلالة العدد الكبير من الأسرى الذي كان في المستطاع تصفيتهم . كلاهما كان يستهدف الحصول على السلاح ليستطاع تسليح الفلاحين ومنع الوصول الى المعسكر الرئيسي . أما كمين الابادة بلا رحمة فمثاله ذلك الذي نصبه الجيش لمؤخرة احدى فرق العصابات في « فالدو دل جاسو » : فالجيش – على ما روى « الماجور فارغاس » الذي أعدّ العملية وقادها – قد انتظر حتى أصبح كل رجال العصابة في وسط النهر ، وأسلحتهم مرفوعة ، ليمطرهم بالرصاص من الضفتين ومن كل حدب وصوب ، وكان الرجال أحد عشر فقتلوا جميعاً الا واحداً اعتُقل . هنا ، في هذا المثال ، كان القتل هو الهدف ، القتل على أية صورة ، القتل وحده . هنا مات « جواكين » و « تانيا » و « اليخندرو » و « الأسود » و « موسى غيفارا » و « براوليو » و « بابلو » وآخرون ، ماتوا دون أن يستطيعوا دفاعاً عن أنفسهم الا ببضع طلقات غير مسدّدة . فهل أُسمّي هذا قتلاً ؟ لا . كان كميناً فحسب ، كميناً نادر المثال في قسوته ، ولكنه لم يكن قتلاً . كل ما حدث هو أن الجيش أحسن استغلال الغلطة الرهيبة التي وقع فيها رجال المقاومة ، أو استغلال المصادفة ، أو استغلال معرفته الأفضل بطبيعة المنطقة بالممرات اليسيرة العبور في « ريو غراندي » ، تماماً كما أحسن رجال المقاومة قبل ذلك بأشهر في « نانكا هواسو » و « ايريبتي » ، استغلال أخطاء الجيش . ذلك شأنُ حرب العصابات ، وشأنُ كل حرب . فلمَ لا يكون القتل ولا تكون النذالة في « فالدو دل جاسو » ويكونان في « نانكا هواسو » ؟

أيكون هناك مكيالان وميزانان ، واحد للجيش وآخر للعصابات ؟ قد يقال ان رجال المقاومة كانوا هم البادئين وأن لا ذنبَ على الجيش أن اضطر الى الرد عليهم بأسلوبهم ، قد يقـــال إنهم هم المسؤولون عن كل هذه السلسلة من الكمائن لأنهم كانوا البادئين . وفي هذا القول متّسعٌ لحِجاجٍ كثير . ولكن الأمر المؤكد هو أن عمال المناجم القدماء الذين اشتركوا في كمين « نانكا هواسو » كانوا يشعرون ، بل كانوا واثقين ، انهم انما يواصلون حرباً قديمة جداً ضد الجيش ، هذا العدو القديم جداً ، يواصلونها بأساليب مغايرة – هذا صحيح – ولكنها حرب لم يكونوا هم بادئيها بل ابتدأت منذ سنين طويلة ، في « كاتافي » عام ١٩٤٦ ، وربما قبل ذلك .

حقيقةُ الأمر اذن أن الادعاء ، بدلاً من أن يكون صريحاً مباشراً فيشجب فكرةً ثوريّة ، يشجب في رياءٍ شكلي طريقةَ قتالٍ وتكتيكَ حرب ، دون أن يدرك أن هذه الطريقة – طريقة الكمين – عالمية ، وأن العسكريين أيضاً يستخدمونها ضد رجال العصابات ، ولكنهم يسمونها جريمة قتل حين تُوَجَّه ضدهم ، ومأثرة بطولة حين يستخدمونها هم ضد حركة المقاومة الثورية .

بالاضافة الى هذا ، يا سيادة الرئيس ، لنتحدث في صراحة . ان الجيش قد أدار عمليةَ ٢٣ آذار بأسلوب بالغِ الرداءة خلْوٍ من المسؤولية . وهذا لا دخلَ فيه لحركة المقاومة . ان هؤلاء الجنود والضباط قد أجبروا على المجازفة بحياتهم دون أن تتخذ أكثر تدابير الوقاية بدائية . والملازم « سيلفا » نفسه قال ذلك في شهادته . لقد روى لي مقـــاتلو حركة المقاومة أن الجنود تجمعوا أمامهم على أرضٍ خلاء ، قريباً جداً بعضهم من بعض . والناس كلهم يعلمون – وأبسط الكتب العسكرية تقول ذلك – ان من الواجب ، لدى الدخول في منطقة خطرة ، أن يظل كل عضو في الطابور بعيداً ٥٠ متراً عن زميله الذي يسبقه . والجيشُ كان قد جاء

ليستولي على معسكر لعصابة مقاومة . وهو بعدُ يعرف من أي قماشٍ هي هذه العصابة ولأيّ تنظيم محكم تخضع ، ويعرف أن « تشي غيفارا » موجود في المنطقة . فكيف أمكن أن يتصرف بمثل هذه الرعونة ؟ على أية حال ، هذه مسألة أخرى وليس لي أن أخوض فيها .

ولكن ما يجب عليّ تأكيده بالمقابل ، لأني شهدته بنفسي ، هو أن حركة المقـاومة ، في هذا الكفاح القاسي بطبيعته ، وعلى رغم كل المصاعب التي تخبطت فيها منذ البداية ، لم تتخلّ لحظة واحدة عن احترامها البالغ للانسان ، عن انسانيتها الفائقة السمو . فلقد عُولجَ كل الجرحى بكل الوسائل المتوفرة ، وعومِلَ الأسرى بالرعاية ، ووُفِّرَ لهم الغذاء ، والدثارُ ليأمنوا برد الليل . هناك من زعم أن القتلى وبعض الأسرى قد جُرِّدوا من ثيابهم . صحيحٌ أنْ قد نزعت منهم أحذيتهم لأن الحذاء حيوي في الغابة وليس لدى رجال المقاومة مصنعُ أحذية . وصحيحٌ أنهم جُرِّدوا من ثيابهم العسكرية لأنه ليس بين رجال المقاومة خيّاطون ولا عندهم قماش يصنعون منه الثياب ، والجيش عنده . ولكن الأسرى قد تلقّوا بدلاً من ذلك ثياباً مدنية . أما القتلى فلقد قال لي رجال المقاومة ان أياً منهم لم يُعَرَّ من ثيابه . وصحيحٌ أيضاً أنهم لم يدفنوا على الفور ، وقد سمعنا هنا وصفاً متكرراً لمنظر جثثهم المتعفنة وقد نهشَتْها العِقبان والديدان ، كما عُثِرَ عليهم فيما بعد . ولكن ، على من تقع الملامة ؟ ان أول قرارٍ اتخذه « تشي » ، حين ذهب اليه « كوكو بيريدو » في المعسكر ليقدم له التقرير الأول صباح ٢٣ آذار ، كان ارسال الأطباء على الفور ومنح الجيش هدنة ٤٨ ساعة ليأتي جنوده فينقلوا قتلاهم ، لأن مكان « بنكال » الذي كان الجنود مجتمعين فيه كان قريباً جداً من ساحة المعركة . هذا وحده هو السبب الذي من أجله لم يقم رجال المقاومة بدفن الموتى . ولم يعرف هؤلاء الرجال أن أحداً لم يأت لرفع الجثث الا بعد وقت طويل ، حين كان قد فات الأوان لانقاذها .

كما أن أي أسير ، ضابطاً كان أم جندياً ، لم يُهَنْ في جسده أو في كرامته . لقد روى لكم « الماجور سانتشز » هنا أن الأطباء لم يصلوا الى « ايريبتي » لعلاج الجرحى الا بعد ساعة ، حتى ظن أن رجال المقاومة عالجوا جرحاهم أولاً قبل أن يهتموا بأمر العسكريين . ولكن ، فيما عدا « الأشقر » ، الذي جُرحَ في رأسه ومات بعد دقائق ، لم يكن بين رجال العصابة في « ايريبتي » أي جريح . وحتى لو أنه وجد ، فالأمر كان صريحاً بمنح أولوية العلاج للجرحى وفقاً لخطورة الجرح ، لا تفريقَ في ذلك بين جنود ورجال مقاومة . ولكن الذي حدث هو أن المعسكر الذي كان فيه الأطباء يبعد نصف ساعة عن مكان الكمين ، فاذا حسبنا الزمن الذي استغرقه ابلاغهم النبأ أدركنا لماذا لم يصلوا الا بعد ساعة . هذا كل ما في الأمر . بلى ، هناك شيء آخر : لقد كنا ضئيلي الزاد من الأدوية ، ولا سيما المصل . وقد سأل أحد الأطباء ، قبل أن يذهب الى مكان الكمين ، أليسَ من الأفضل الاحتفاظ ببعض المصل المتبقي لرجال العصابة ، الذين لم يكن لديهم أي سبيل للحصول على المزيد منه ، فرفض « تشي » اقتراحه وأمر باستهلاك كل الكمية المتبقية اذا اقتضى الأمر لمحاولة انقاذ العدو الجريح بأي ثمن ، حتى لو كان ميئوساً منه . أما اتهامات السرقة والسلب فأعتقد أنها لا تستحق عناء الرد : انني أعرف حق المعرفة أن أي شيء لم يؤخذ من الأسرى باستثناء غنائم الحرب . ورجال المقاومة لم يأخذوا قط من أي فلاح ولم يصادروا منه قطعةً من لحم ولا حبة من بطاطا أو ذرة . كانوا دائماً يدفعون الثمن ، بالسعر الذي يحدده المنتج نفسه . واذا حدث أن كان صاحب المزرعة غائباً كان المبلغ المقابل لقيمة المشتريات يسلَّم الى أحد الأجراء .

علامَ اذن يستند المدعي العام حين يصف رجال المقاومة بأنهم عصابات أشرار وقُطّاع طريق ؟ لقد قال ، منذ اليوم الأول للمحاكمة ، انه لن يقبل مطلقاً أن يقارن هؤلاء « اللصوص » برجال ثورة الاستقلال

البوليفي ، بأبطال الوطن ، بـ « كامارغو » و « وارنس » و « باديليا » و « لانزا » . وقال انهم ليسوا ثواراً لأنهم يقاتلون في جُبن ، مختبئين في الأدغال ، ناصبين الكمائن ، على نقيض « عمال مناجمنا » الذين يقاتلون بشجاعة ، على أرض مكشوفة ، وجهاً لوجه . فهل لم يقاتل ثوار الاستقلال في « الجونغا » ، في شعاب الجبال وفِجاجهـا ، في «انكيزيفي » و « كورديكو » و « فاليغراندي » ؟ وهل كانت حربهم الا كمائن دامية مميتة ضد الاسبانيين ، يزجّون بهم في الممرات الجبلية ثم يدفنونهم تحت الحجاره والصخور التي يُهيلونها عليهم من أعلى ؟ وهل تراهم عالجوا الجرحى الأعداء ؟ أما عمال المناجم في الهضاب العالية فاني أتساءل عمّا يثير اعجاب المدعي العام بهم : أهو حقاً شجاعتهم في خوض المعركة بغير سلاح تقريباً وعلى الأرض المسطحة المكشوفة ، وبعد سبق التحذير ، أم هو اليُسر الذي تعوّدَ الجيش أن يبيدهم به ؟

وهم بعد ، على ما يقول المدعي العام أيضاً ، ليسوا ثواراً لأنهم لا يحملون راية ، ولأنهم لم يعلنوا أية حرب . ولربما كان صحيحاً أن حركة المقاومة ، وقد باغتَها هجوم الجيش المفاجىء ، لم تجد فسحةً من الوقت للاتصال بالخارج ولاصدار بيان ومنشورات وبلاغات . ولعل هذه غلطة ، في رأيي على الأقل ، ولكن أمرها لا يعني المحكمة . المهمّ أن حركة المقاومة كانت ترفع راية ، أسمى وأجلَّ وأنبلَ ما يمكن أن يُرفَعَ من رايات في أمريكا اللاتينية ، وهذه الراية هي اسم « تشي » . ولقد كان الجيش على علم بها حتى من قبل أن تدخل المعركة ، ففعل كل ما في وسعه ليخفي أمرهـا . صادر البلاغات المكتوبة التي كانت تصدرها المقاومة ، وتقارير الحرب التي كان يصدرها جيش التحرير الوطني . وبعد ذلك تتظاهرون بالدهشة لأن هذه الراية لم تخفق على مرأى من الناس .

على أن أهم ما يقوله المدعي العام هو أن هؤلاء الرجال لا يمكن أن يقارنوا بثوار حرب الاستقلال لأنهم غرباء .

صحيح ، كان بينهم غرباء ، وان يكونوا اقلية . كانت الأكثرية الكبرى من البوليفيين ، ولكن كان بينهم أناس من بيرو ومن كوبا ، وأرجنتيني واحد . أتكون هذه بدعةً في التاريخ البوليفي ؟ وهل تتعارض مع ما في هذه المعركة التحريرية من محتوى وطني عميق ؟ لن نتكلم هنا عن « بوليفار » و « سوكري » و « سانتاكروز » و « بلغرانو » ولا عن الجيوش الاحتياطية الارجنتينية الأربعة ، ولا عن اولئك الفنزويليين والشيليين والأرجنتينيين الذين أسسوا بوليفيا وكل امريكا اللاتينية . لا ، لندعْ هؤلاء القادة الأبطال الكبار وجيوشهم النظامية ، ولنكتفِ بالحديث عن رجال المقاومة في حرب الاستقلال : عن « باديليا » و « وارنز » و « لانسا » وأمثالهم . إن أمام ناظريّ الآن كتاباً نشرته جامعة « سوكرى » عنوانه : « **يوميات مقاتل من بيرو العليا في حرب الاستقلال** » ، كتبه واحد من افراد حركة المقاومة التي قاتلت في واديَي « سيكاسيكا » و « آجوباجا » حوالي العام ١٨٢٠ ، مع مطلع فجر القومية البوليفية ، وبالذات في العصابة التي كان يقودها « خوسه مانويل لانسا » . تقول مقدمة هذا الكتاب : « العمود الفقري الانساني للعصابة يؤلفه نفرٌ من سكان الوديان ، من الهنود والهُجَناء . ولكن العصابة هي في الوقت نفسه جيش من المتطوعة ، تتلاقى عندها أنواع كثيرة من الروافد ، فتلقّح جذعَها الرئيسي بالطعوم الأكثر تنوُّعاً والأقل توقُّعاً . ومن الطبيعي أن تجد في العصابة كثيراً من البوليفيين جاءوا من انحاء اخرى من البلاد : من « أورو » و « كوتشابامبا » و « لاباز » ، وحتى من « سانتاكروز »... كذلك تجد فيها جنوداً من بلدانٍ اخرى امريكية : من بونس آيرس وتوكامان والباراغواي (وهؤلاءً ربما كانوا من بقايا حملة « روندو » الأرجنتينية) ، ومن « كوسكو » في البيرو . حتى السود لا تخلو منهم العصابة . بل ان في هذا الجيش الصغير الهندي الهجين ، الذي يقاتل اسبانيا في صميم القارة

الجبلي ، في بيرو العليـــا ، اثنين من الانكليز ، الله وحده يعلم متى جاءا وكيف » .

ليس من شأن رجل فرنسي ان يعلّم المدعي العام العسكري البوليفي تاريخ بلاده . ولكنْ ما داموا قد شرّقوا وغرّبوا في الحديث عن هذا التاريخ ، فهذه هي وقائعه ، أيها السادة الضباط . فبهــذه الطريقة ، بهؤلاء الرجال المتطوعين الذين جاءوا من كل أصقاع امريكا اللاتينية ، تحررت بوليفيا من الاسبانيين ، وظهرتْ الى الوجود . والأمر نفسه حدثَ في كل أمريكا اللاتينية . وهذه المرة ايضاً ، بالأسلوب ذاته ، وبالاخاء بين مواطني امريكا اللاتينية. وقد شحذتهُ المعاركُ وحياة السلاح ، ستتحرر بوليفيا من امبراطورية الولايات المتحدة ، وستولد بوليفيـــا الاشتراكية ، ومعها كل القارة التي تؤلف بوليفيا قلبها .

أما « تشي » فان الفوارق الحقيقية لديه ، الحدود الفاصلة الحقيقية لديه ، ليست تلك التي تفصل بين ابن بوليفيا وابن البيرو وابن الأرجنتين ، أو بين ابن الأرجنتين وابن كوبا ، بل تلك التي تفصل اهل أمريكا اللاتينية عن الولايات المتحدة . لذلك كان ابناء بوليفيا وبيرو وكوبا والأرجنتين اخوةً في الكفاح ، وكان على كل منهم ان يقاتل حيث يقاتل الآخرون ، لأنهم شركاء في كل شيء : في التاريخ واللغــة والأبطال والمصير ، وحتى في السيّد المستغِل ، في العدو الذي يعاملهم جميعاً سواسية ، في امبريالية امريكا الشمالية . ولقد كان « بوليفار » يقول : « في امريكا الجنوبية ، الحرب حرب الجميع ، اينما كانت » . وحينما عرض بوليفار على « بويريدون » الحاكم الأعلى لمقاطعات « ريو ده لا بلاتا » ، اخوة الفنزويليين وعَوْنَهم المباشر ، عام ١٨٢١ ، ارسل اليه يقول : « كل الجمهوريات التي تكافح للتحرر من اسبانيـــا يربطها فيما بينها ميثاق متبادل ضمني هو ميثاق قضيتها ومبادئها ومصالحها ، ولذلك كان جليّاً ان على سلوكنا ان يكون متماثلاً ووحيداً » . وهذا

الميثاق الضمني قد تجسّد في الجيش الذي جاء يحرر بيرو العليا والدنيا، وينشيء « بوليفيا » ، هذا الجيش الذي استعرضه بوليفار قبيل معركة « خونين » ، في « باسكو » والذي كان يجمع « رجالاً » قدموا من كراكاس وكيتو وليما والشيلي وبونس آيرس، وكانوا قد خاضوا المعارك في « مايبو » الشيلية ، وفي « سان لورانزو » على ضفاف البارانا ، وفي « كارابوبو » الفنزويلية، وفي « بتشينتشا » على سفح جبل « تشمبو راسو » في « الأكوادور » .

ولئن لم يَنفسح الوقت أمام « تشي » الوريث التاريخي لبوليفار ، كيما يجمع مثل هذا الجيش في جنوب بوليفيا الشرقي ، فلقد كان ذلك مطمحه : مطمح عسير ، ولقد طوباوياً ، ولكنه مطمحٌ لا يُقهر ، وسيكون له النصر . إن بوليفار ، في رسالته الشهيرة من « جامايكا » عام ١٨١٥ ، دعا الى « امريكا لاتينيـــة شاملة » تكنس الاقليميات المجرمة ، والى ان يكون الجميع امريكيين فحسب . وهذه الرؤيا ، قبل قرن ونصف القرن ، كانت سابقة لأوانها . وهناك من يرى انها لا تزال اليوم سابقة لأوانها . ولكن « تشي » من اجلها مات ، وهو لم يمت عبثاً ولا كان يحرث في البحر . لقد تبنّى ميرات النهج التحريري الأكثر وطنية ، والأصدق تعبيراً عن بوليفيا وعن امريكا اللاتينية .

آخرون غيره اخذوا بالعصبية المستعلية ، بالاقليمية الضيقة الحقود ، التي لا تجد لها أية جذور في تاريخ الاستقلال . فحينما يطوف في الأرجاء نمْرٌ كاسر ، ويريـــد حَمَلٌ في القطيـع ان يدفع جاره فيقول له « انت غريب ، وهذا الموقع من المرعى لا يخصك ، ولا عَيْشَ لك إلا على أرضك الكائنة على الجانب الآخر من النهر » ، فان هذا الحَمَل يخون أهله ، ويعرض حياتهم وحياته للخطر بدلاً من ان يعمل على تكاتف الجميع وتبادُلهم المعونةَ في وجه العـــدو الرئيسي . وسيكون بالتأكيد قد عقد ميثاقاً مع النمر ، ولكنـــه واهمٌ اذا حسب ان ذلك

سيُنجيه من براثنه . فليس من سبيلٍ الى مواثيق مأمونة بين دولةٍ من آكلات اللحوم وبين أمةٍ في مثل وضع بوليفيا مكتنزة اللحم يسيرة الابتلاع . وما « الشوفينية » والاقليمية المتخلفة هنا إلا القناع الزائف العاطفة لمعاهدة استسلامٍ فاجرة .

... نعم يا سيادة الرئيس ، أعلمُ أن عليّ أن ألزمّ حدود الوقائع ، كما ذكّرتني أكثر من مرة . ولكن العالم كله يدرك أن رجال العصابات الذين يقودهم « تشي » هم ورثة مقاتلي حروب الاستقلال الأولى ، وخلفاء مناضلي بوليفيا الاوائل . فاذا أنا ذكرت أحـــداثاً من الحاضر الراهن وأخرى من الماضي فلقد كان قصدي أن أثبت لـكم أنه — لا في هذه القاعـــة ، ولا في هذه المحاكمة ، ولا أمام ارامل الجنود القتلى وأقربائهم — لن يستطاع تشويه هذه الحقيقة دون تشويه التاريخ نفسه .

فلننتقل الآن الى الجانب الثاني من الاكذوبة ، الى الطريقة التي اراد بها المدعي العام أن يثبت لـكم أني مسؤول قيادي في حركة المقاومة . وسأوجز الحديث ، فقد سبقني محاميّ المدافع عني بقول ما ينبغي قوله عن الأدلة التي قدمها المدعي العام ، وكل ما أودّه هنا هو اضافـــة بعض التفاصيل وتعرية أساليب الاتهام امامكم . فمنذ افتتاح المناقشات شهدنا سلسلةً من « الاكتشافات » الموزعة باحكام ، حلقة في كل يوم ، والمثيرة حقاً للبلبلة . وأقول « اكتشافات » لأن الوثائق أو الأدلة انما قدّمها المدعي العام « في اللحظة الأخيرة » ، أتى بها لا يدري أحدٌ من أين ، ودون ان يستطيع الدفاع حتى فحصها أو العلم بوجودها . وأقول « اكتشافات مثيرة للبلبلة » لأن من المـــدهش المحزن حقاً أن وكيلي ، حين استطاع الاقتراب من هذه الأدلة بعد المناقشات ، قـد اكتشف في كل مرة أن هذه الأدلة المزعومة كانت أكاذيب باطلة . ولكن المدعي العام استغل التواضع المهني لدى وكيلي وجهله بالوقائع ،

وكذلك كونَ المتهم قد أُكره على الصمت ، ليكون مطلق اليدين في القيام بألعاب شعوذة دعائية ، تشاركه فيها بوقاحتها الصحافة المحلية والرسمية .

المفاجأة الأولى : صورتان أبدو فيهما مسلحاً ، مع « تشي » في الأولى ووحدي في الثانية . ثم عناوين في الصحف . دوبريه يصور وهو يحمل السلاح . صحيحٌ أن هناك نقطة جزئية كانت تنقص هذه المفاجأة ، وهي أن أية قطعة سلاح لا تظهر في هاتين الصورتين ، وهما اثنتان من الف صورة صودرت من المستودعات . ولكن ما الفرق ؟ المهمّ ان الكذبة تركت أثرها . وأنا اذكر جيداً متى التقطت هاتان الصورتان في المعسكر المركزي ، ولا سلاح معي ولا جراب رصاص . فما كنت أحمل بندقيتي إلا خلال دوريات الحراسة أو مهمات القنص .

المفاجأة الثانية : « دخولي تسلُّلاً الى بوليفيا » . قالت الصحف : ذلك ثَبَتَ بالدليل . ولكن الظريف في الأمر هو أن جوازي كان بين يدي المدعي العام ، وعليه كل الاختام التي تثبت العكس . ما العمل اذن ؟ لقد اخترع هذا المنطق العجيب : منطق التسلل المحسوب . زعم أن وجودي سراً في بوليفيا كان من اللاأخلاقية والمراوغة والنذالة بحيث لم أحدْ مرة واحدة عن التقيد الصارم بأحكام القوانين . وقال انني قابلت بوليفياً مجهولا بفضل كلمة سر ، وقد فاته أن هذا « الدليل » لا يثبت إلا شيئاً واحداً ، هو أني كنت حقاً بحاجة الى وسيط لأستطيع الوصول الى رجال المقاومة لأني كنت عاجزاً عن ذلك بوسائلي الخاصة ، ولأن أي صحافي آخر كان سيقع في مثل عجزي . وهو بعد ينسى بالطبع أن يشير الى أني نزلت في فنادق وسافرت باسمي الصريح وبجواز سفري ، كما تثبت ذلك السجلات .

ثم يأتي كشف ثالث : « لقد كذبت في أقوالي أمام المستنطق ، إذ

أني عام ١٩٦٤ دخلت بوليفيا متسللاً ، قادماً من البيرو » . ونشرت الصحف هذا « الكشف » كواقعة لا جدال فيها . وما أهمية أن يكون جواز سفري دليلاً على العكس ؟ وبعد ذلك قيل اني أردت اخفاء كوني طُردتُ من بيرو عام ١٩٦٤ بزعم فقدان جوازي في الشيلي لأحصل على جواز آخر . اما الحقيقة فهي أني اضعت جوازي قبل ذلك ، في الاكوادور ، في كانون الثاني ١٩٦٤ ، وأن وجودي بلا جواز هو الذي كان سبب طردي من البيرو ، اذ لم اكن احمل إلا تذكرة مرور مؤقتة منحتني إياها سفارة فرنسا في كيتو . ولكن هذه تفاصيل جزئية لا تعني المدعي العام ولا الصحافة . المهم فقط هو العنوان المثير .

ووثيقة اخرى مثيرة : هي دفتر يومياتي « في حركة المقاومة » ، الذي « صودر مني في موجوبامبا » وقال المدعي العام ان المرء يكتشف فيه ، بالاضافة الى تعطشي الدائم للدم والقتل ، ان « رامون كلفني بمهمة في المكسيك » . ثم خرجت الصحافة الرسمية ومعها الادعاء المدني يكرران هذ القول بكثير من الضجيج . المؤسف أن هذه الجملة مخترعة من اساسها ، وفي وسعكم ان تتأكدوا من ذلك بأنفسكم . وادهى من ذلك ان يوميات هذا الدفتر قد كتبت في زنزانتي ، بعد القبض عليّ . كتبتها اسجّل فيها ظروف اعتقالي والاجراءات التي تتخذ تمهيداً لإعدامي. وفوق ذلك كله أن هذا الدفتر الذي يضم يوميات ذات صفة شخصية محضة قد انتزعه مني في « كاميري » الماجور « اتشيفيريّا » تحت تهديد المسدس ، ثم أبلغني بعد ذلك أنه ضاع ، وها نحن نعثر عليه بين يدي المدعي العام . هذه هي اساليب الاتهام : انتزاع الاوراق الشخصية وتحريف مضمونها .

ونبأ مثير جديد : مفكرة طبيب من رجال المقاومة ، لا يعرف اسمه الادعاء . ولقد قرأها المدعي العام عليكم في البداية وهو يقفز فوق ما فيها من صفحات وجمل وكلمات تفسد دعوى قارئه . ثم ظهرت

العناوين في الصحافة الرسمية : « تشي ضمّ دوبريه وبوستوس كمقاتلين في عصابته » . ومفكرة الطبيب لا تقول شيئاً من كل ذلك ، بل هي تحوي رأيه الشخصي التقديري فحسب لأنه لم يكن يحضر اجتماعات القيادة التي تناقش امر المرشحين لعضوية الحركة . ولكن المدعي العام لا يهمه ذلك . واذا كنتم انتم حريصين حقاً على جلاء هذه النقطة فسيكفيكم ان تراجعوا سجل المنخرطين في حركة المقاومة ، الذي كان « رولاند » يعده يوماً بيوم ، والموجود الآن بين يدي الجيش . ولكنكم لو فعلتم ستقضون على الأثر الدعائي للأكذوبة .

وثمة وثيقة مثيرة اخرى ، هي نسخة من كتابي « **ثورة في الثورة ؟** » أبرزها المدعي العام للمحكمة في حركة مسرحية ، قائلاً انهم عثروا عليها في جراب « جواكين الكوبي » الذي قتل في « فادو دل جيسو » ، ليبرهن على ان هذا الكتاب كان مصدر وحي رجال العصابات . ومن المحتمل فعلاً ان تكون هذه النسخة قد وجدت مع « جواكين » لأنه لم يكن قد قرأ الكتاب من قبل ، ويسعدني ان يكون هذا الكتاب قد خدم الثائر الممتاز على صورة ما فثقّفه او كان له أداة تسلية . ولكن المدعي العام نسي أن يقول للمحكمة ان كل محارب كان بصورة عامة يحمل في حقيبته كتابين او ثلاثة ، لأنه لا ينبغي للثائر أن يدع يوماً يفوته دون مطالعة . ولكن لماذا يبرز « **ثورة في الثورة ؟** » دون عشرات الكتب الأخرى التي وجدت مع المحاربين المقتولين ؟ كذلك نسي ان يقول للمحكمة ان النسخة الاخرى من هذا الكتيب ، تلك التي كان قرأها « تشي غيفارا » ووضع ملاحظاته على هوامشها ذات يوم من نيسان ، قد وجدت ملقاةً في مستودعات « نانكاهواسو » ، حيث تركها « تشي » مع ما يقارب مئة كتاب آخر ، بينها روايات ودواوين شعر وقصص ومذكرات وتآليف في الرياضيات ، كانت مادة قراءاته في المعسكر .

ولكن أروع « الاكتشافات » وأدعاها الى اثارة الذهول كانت حكاية الخرائط . فنحن هنا امام ذروة في الفن المسرحي . وبعدها ، كما قال عنوان الصفحة الاولى في جريدة كبيرة تسمي نفسها بوليفية ، « اصبح دوبريه في موقف بالغ الحرج » . ويا له من حرج حقاً ! يقرأ المدعي العام ايصالاً متعلقاً بشراء خرائط من تلك التي تباع في المتاجر ، كنت اشتريها من قبل في الظروف التي بينتُها امام المستنطق . ثم يضع المدعي العام على المنضدة رزمة من خمسين خريطة عثروا عليها في « نانكاهواسو » ، ويقعد طروباً راضياً عن نفسه « لقد أقام عليّ البيّنة ، والصحف الرسمية التي تصنع الرأي العام لم تكن تطلب اكثر من ذلك . فأنا قد اشتريت خرائط ، وقد عثر على خرائط لدى حركة المقاومة . اذن انا الذي زود الحركة بهذه الخرائط . وصحيحٌ ان المعاينة قد كشفت ان هذه الخرائط ليست تلك ، لا بعددها ولا بشكلها ولا بالمناطق التي تمثلها . ولكن ، ما اهمية ذلك ؟ المهمّ انها هنا وهناك خرائط . وهذا يكفي للدعاية .

بعد هذه الامثلة ، لا حاجة بي لأن احدثكم عن ذلك التقرير السخيف الذي حرره شرطي من « تيوبونتي » استناداً الى شائعات ثلاثةُ ارباعها مختلق ، ولا عن الشهود الزور الذين ناقضوا أنفسهم بأنفسهم .

إن أياً من هذه الأدلة المزعومة لا يقيم البرهان المقنع على شيء ، والكل يعلم حق العلم أني لم اشارك في اي عملٍ حربي ولا في أي تهيئة له ، واني لم اكن مفوضاً سياسياً ولا شيئاً آخر من هذا القبيل ، وأني لم أُعطِ دروساً لأحدٍ في حركة المقاومة . إذن يبقى كتابي : « **ثورة في الثورة** » ، وهو على قول المدعي العام يجعل مني « الفاعل الذهني » لجرائم القتل المزعومة يومي ٢٣ آذار و ١٠ نيسان . فهذا آخر ما بقي

في جعبته لإلصاق جريمة القتل بي وبالتالي لتدبير طلب انزال العقوبة القصوى بي .

وأقول للمحكمة اني سأكون اضحوكة بين الناس لو اني ارتضيت أن أحمل على محمل الجد للحظة واحدة ، هذا المديح الذي يكال لي بزعم هنا اني « العقل المدبّر » وراء حركة المقاومة . ولذلك لا اريد ان أردّ شخصياً على مثل هذا الاتهام . وقد دَلّلَ وكيلي في مرافعته الأخيرة ، بتحليل بسيط للكتاب وبسرد مجرد للوقائع والتواريخ ، على بطلان هذه التهمة . وسأكتفي بتلاوة الفقرة الأخيرة من مرافعة الدكتور « نوفيليو » هذه ، في تحليله لهذه « البيّنة » : « **ثورة في الثورة** ؟ » ، وهي الفقرة التي لم يُتَح له ان يقرأها بسبب ما كرره رئيس هذه المحكمة والجمهور من مقاطعته .

يقول الدكتور « نوفيليه » :

(ج) **المعقولية** .

« ١ — ينتهي الكتاب المشار اليه ، في فصله عن « عبرة الحاضر الرئيسية » ، الى رفض الأخذ بأسلوب المفوضين السياسيين ، هــذا الاسلوب الذي يعتبر المؤلف انه « يبدو غير متفق مع الواقع في اميركا اللاتينية » هذا مع ان المعروف ان عصابات المقاومة البوليفية كانت تطبق هذا النظام ، وانه كان هناك مفوضان سياسيان : « اينتي » و « كوكو بريدو » كما كان هنــاك معاونان لهما . فكيف نستطيع تفسير هــذا التناقض لو أن كتاب دوبريه كان حقاً دليل عمل لحرب العصابات ؟

« ٢ — في مؤلفات الزعيم العظيم والاوحد سياسياً وعسكرياً لحرب العصابات ، هذه المؤلفات التي اصبحت معروفة في العالم والتي تؤلف كتباً مدرسية حقيقية للحرب الثورية ، والمرفقة بخرائط ورسوم وتفاصيل

عسكرية وتعليمات فنية ، مثل كتابي « **حرب العصابات** » و « **حرب العصابات كأسلوب** » اللذين وضعها « تشي غيفارا » ، كانت قد وردت كل التوجيهات والقواعد التي تطبقها العصابات ، بحيث لا يعقل ان يكون كتاب مؤلف مبتدي، مثل دوبريه قد لعب دوراً في تنظيم حركة المقاومة .

« ٣ — من غير المنطقي ، بل من السخف ، ان نفكر ان رجالاً مثل « تشي غيفارا » والمحاربين المتمرسين الذين كانوا معه كانوا بحاجة الى كتاب نظري وضعه جامعي في السادسة والعشرين من عمره ، لا وزن لرأيه ولا الأمور العسكرية من اختصاصه . ولقد كانت حاجتهم الى هذا الكتاب ، في تنظيم عملياتهم ، من الضآلة بحيث ألقوا به جانباً في مستودعاتهم بين مئة من كتب اخرى ، مع ان تشي كان دائماً يحمل كتباً في حقيبته » .

أرجو المحكمة ان تغفر لي هذا الذي اضطررت اليه من التذكير بكل ما جرى في هذه الدعوى ، ومن النزول الى هذه التفاصيل وهذه التفاهات وهذه الآراء المتصلة بالحس العام والتي قد لا تعنيكم ولا تعنيني . اننا نعلم ، أنتم ونحن ، أنه ليس في هذا كله ما يمس جوهر القضية . ولكن ما دام من الواجب التزام الصعيد الجزائي ، التزاماً فرضه علي رئيس المحكمة ، فقد تضاءلت الدعوى ومناقشاتها حتى اصبحت هذه الجزئيات فحسب ، وكان لا بد من الكلام عنها وانا لم افعل ذلك إلا لأظهر لكم ، ايها السادة الضباط ، كيف كان نهج الاتهام من البدايه الى النهاية : يذهب لا من الأدلة الى التهم ، بل من التهم الى الادلة ، اعني : من تهم موضوعة بصورة مسبقة الى البحث عن أدلة تؤيد هذه التهم . وبما انه لم يعثر على الأدلة الضرورية ، فهو قد اختلقها او ركبها أو لفقها ، إذ لم يكن امام المدعي العام مخرج آخر .

لذلك رأيناه ينطق باتهاماته منذ اليوم الأول ، وقبل ان ينظر الى الأدله

هذا النهج لم يكن وليد صدفة . فلقد حدثتكم في البداية عن مؤامرة سياسية وإرهابية لعبت فيها الدور الأول « وكالة المخابرات المركزية» . وهذه الدعوي هي نتاج تلك المؤامرة ، شئتم ذلك ام ابيتموه ، بل على رغم مشيئتكم دون ريب . و « قضية دوبريه » خلقت خلقاً صناعياً منذ اليوم الذي تمّ اعتقالي فيه . أولاً لأسباب سياسية في جوهرها : فالحكومة قد استغلتني وجعلت مني مجرد اداة سياسية للاثارة والدعاية . ذلك لأن عدة مزايا كانت من وجهـــة نطرها تتوفر لدي : فأنا اولاً اجنبي ، وقد أتاح لها ذلك ان تثير ضدي الشعور الوطني البوليفي ؛ وأنا ماركسي لينيني وقد كتبتُ حول مواضيع ثورية ؛ وأنا أخيراً صديق لكوبا ولزعمائها ، مما كان يسمح لها بالحديث عن تدخل كوبي مزعوم برغم أن تصريحـــاتي لم تكشف عن اي شيء يربطني بكوبا باستثناء علاقة الصداقة السياسية والقناعة الأيديولوجية . وكان هذا ايضاً يسمح للحكومة بعدم التحدث عن الآخرين وبتوجيه أنظار الرأي العام كلها نحوي . وهنا تدخل الركيزة الثانية للمكيـــدة ، وأعني وكالة المخابرات المركزية : فلقد رفضتُ عروض ممثل هذه الوكالة ومساوماته، فكتب تقريره للحكومة البوليفية ودفعها الى أن تركز كل نيران دعايتها عليّ وتضفي عليَّ أهمية ومكانة يعرف كل المعرفة انهما كاذبتان . قد تتساءلون لماذا بقيت معزولاً شهرين ، على الرغم من كل القواعـــد الدستورية والأعراف الانسانية . هل كان ذلك لأني كنت موضع استجوابات عديدة ؟ لا ، فلقد كانت جد قليلـــة . واذا انا صرفت النظر عن المقابلات الكريهة مع زُعْران ادارة المباحث الجنائية ، ومع ضباطهم الهُوجِ الذين يعرفون عن اللكم والرفس اكثر مما يفقهون من اساليب الاستجواب ، فان اول هذه الاستجوابات جرى في « تشوريّي » ، وقام به عميل لوكالة المخابرات المركزية ، مـــاهرٌ واسع الثقافة ،

من بورتوريكو أو باناما ، يحمل اسم « الدكتور غونثالز » قام به بحضور الكولونيل « أرينا والماجور « كينتانيلنا » ، ومرة بحضور الماجور « شانتشيز » .
هذا الدكتور غونثالز لم يتظاهر مرةً واحدة بأنه يعتقد اني ربما كنت محارباً من رجال العصابات ، بَلْهَ زعيماً من زعمائها : كان على علم كامل بتاريخي الماضي وبظروف اعتقالي ، وعلى خبرة بعادات رجال العصابات ، فاستنتج اني كنت مكلفاً بمهمة سياسية سرية ، في الخارج .
ولذلك صب استجوابه كله ، لا على حركة المقاومة ، بل على معلومات مختلفة عن اسماء منظمات واشخاص فرنسيين وايطاليين وكوبيين يزعم انهم على صلة بما كان يسميه « الجاسوسية والشيوعية الدولية » . وهو بالطبع قد اظهر كثيراً من رغبة التعرّف على « تشي » ، فقلت له اني اشاركه هذه الرغبة ، واني كنت قد أمَلتُ لقاءه كما يأمل ذلك أي صحافي آخر ، ولكنهم خدعوني اذ كان قائدهم الأعلى « اينتي » لا « تشي » ، الخ ... وكان يعرف اني اكذب ، ولكنه كان بحاجة الى شهود عيان والى ادلة مادية مفصلة ليثبت العكس. وهنا توقف الاستجواب.
وكان هذا هو كل شيء الى ان عادوا مرة اخرى يرافقهم الماجور « ساوسيرو » رئيس الشعبة الثانية في الفرقة الثامنة ، وعلى رأسهم مرة اخرى الرجل القوي الغامض ، « الدكتور غونثالز » . كان ذلك بعد ثلاثة اسابيع ، في « مانتشيغو » ، قريباً من « سانتا كروز » . وفي هذه المرة كانوا قد تزوّدوا بشهادات قيمة وافادات مفصلة ، فاضطررت للاعتراف بأني حصلت حقاً على حديثي الصحفي مع « تشي » ، ولاعطائهم موجزاً عنه . وسألني « غونثالز » عن كل سيرة حياتي ، مهتدياً بملف مكتوب بالانكليزية ، منذ طفولتي حتى الآن ، ودام ذلك يوماً بطوله ، ولكنه لم يستطع ان يعثر على تلك العلاقات السرية وعلى تلك المهمة السرية التي يزعم انها كانت سبب قدومي الى هنا . واذ ذاك عرض عليَّ حمايته وصمته باسم الحكومة البوليفية ، هو الذي لم يكن بوليفياً ، اذا وافقت على التعاون معهم . واخيراً عرض عليّ ان اكتب بياناً علنياً « اقول

فيه اني تنازلت عن مؤلفاتي وافكـــاري واشجب فيه كوبا والشيوعية ، الخ ... » ، مقابل اطلاق سراحي بصورة سريعة مكتومة . من هذا ترون ان وكالة المخابرات المركزية لا تعرف حدوداً لفقدان الضمير ولا لامتهان البشر . وترون ايضاً ان ما سعوا اليه معي منذ البداية لم يكن العدالة بل الدعاية .

هنا اريد ان احيي ذكرى « فاسكيز » ، الذي قيل لي هنا يــوم ١٢ أيار ١٩٦٧ إنه محروس « كما تحرس التحف الأثرية » ، بكل انواع احتياطات الأمن لأن راهباً مزيفاً ، اعني رجلاً متنكراً في مسوح راهب ، على ما قالوا ، كان قد جاء يحاول اختطافه من المستشفى . ان هــذا لا يشجع على تصديق زعم هربه ، الذي لا يقوم عليه اي دليل جدي. ولكن مقتله ايضاً لا يقوم عليه اي دليل ، في حدود معلوماتي على الأقل؛ واودّ ان اقول صادقاً ان مصير « فاسكيز » لا يزال سراً مجهولاً لدي. امـــا ما ليس بالسر المجهول فهو الطريقة السافلة الخبيثة الغادرة التي استخدموها معه ليجعلوه يتكلم وهو عــلى سرير مرضه في المستشفى ، مستغلين اعتلال صحته . لقد ذهب لزيارته رجل من « باناما » زعـم له انه صحفي وعضو في الحزب الشيوعي جاءه كأداة للاتصال مع الخارج ، فاطمأن اليه « فاسكيز » وأسرّ له بمعلومات كثيرة سجلها الصحفي الكاذب ، فاضطر « فاسكيز » فيما بعد ان يعترف بصحتها وان يزيدها تفصيلاً امام الشرطة . ومن المؤكد ان اولئك الذين استجوبوه ، وهـم نفس الذين استجوبوا « بوستوس » والآخرين كما استجوبوني انا ، قادرون على ان يفسروا لكم مصير « فاسكيز » . وانا انما اردت من هذا الحديث ان الفت انتباه المحكمة الى ان الافادات التي ادلى بها — وهي بالغة الاهمية لأنه كان حاضراً منذ وصول « تشي » ، ولأنها تؤكد عــلى صفتي كزائر فحسب — هذه الافادات لا وجود لها في ملف الدعوى ، والورقة السائبة غير الموقعة التي وضعت مكانها لا يمكن ان تخدع احداً .

ولقد عاد المحققون البوليفيون والأجانب الى المعتقل بعد ١٢ ايار ، ولكنهم لم يعاودوا الحديث معي . لم يقوموا بأي استجواب ، معي انا على الاقل ، الى ان انتهى عزلي في الزنزانة ، بعد شهر ونصف الشهر ، في « كاميري » . لِمَ اذن كان كل هذا العزل الطويل ؟ لماذا تأخروا في الجمع بيني وبين الراهب الأمريكي « كيندي » ؟ لا لشيء إلا لينفسح أمامهم الوقت لإعداد هذه الحملة الدعائية الضخمة ضدي ، ليجعلوا مني شخصاً ذا أهمية ووزن ، و « قاتلاً » من الدرجة الأولى ، و « مغامراً مولعاً بالدم » ، و « كنزاً من معلومات مثيرة » . فلولا هذا الاعداد الدقيق من وراء ظهري لما كانت هذه الحملة الا مهزلة سخيفة . ولقد ظللت بضعة أيام ، حين اكتشفت حقيقة اللعبة في تموز ، أحسب انني في منام ، دون ان ادرك كل الادراك ما الذي كان وراء هذه المسرحية. اما انتم فكان لا بد لكم ان تنساقوا الى التأثر بكل هذه السلسلة من الافتراءات والاكاذيب والحملات الشخصية والرسمية التي ركزت على شخصي . وما سأرويه لكم الآن سيساعدكم على مزيد من الفهم لأسباب ذلك كله . ففي مطلع تموز ، بعد يوم او يومين من ادلائي بافادتي امام قاضي التحقيق « فلوريس » ، جاء كوبيون من وكالة المخابرات المركزية الى « كاميري » ليستجوبوا السجناء من جديد . قالوا انهم موفدون من « الدكتور غونثاليز » او بدلاً منه . وكنت من نصيب واحد منهم يمتاز بالصراحة وبالكلام دون مداورة ، فسألني عن الدفتر الذي اسجل فيه العناوين ، ، وكان لحسن الحظ خالياً مما يؤذي وقد صودر مني في « موجوبامبا » ، كما سألني عن اوراق اخرى من بينها كتاب الاعتماد الموقع من السيد « ماسبيرو » ، وبطاقة من مدير مجلة « الحوادث » (المكسيكية) ، وبعض الوثائق الفرنسية الرسمية . وهذا يفسر لكم — ولأقل ذلك على الهامش — لماذا لم يكن في المستطاع تقديم هذه الوثائق للمحكمة ، اذ ان هذا الرجل كان يحتفظ بها في حقيبته

ولا بد انه حملها معه الى واشنطن . كذلك ، بالطبع ، حدثني هـذا الرجل عن كوبا وعن افادات بعض المعتقلين الفنزويليين . ولكن ما يعنينا هنا هو صراحته . فلقد قال لي في النهاية : « الأمر كله متوقف على العلاقات بيننا ، ومصيرك اذن بين يديك . فنحن نعرف حق العلم انك لست واحداً من زعماء العصابات ، ولكن لا بد ان تكون مكلفاً بمهمة سرية نحرص نحن على معرفتها . فاذا تعاونت معنا ، اذا صدقتني الاجابة على اسئلتي دون محاولات خداع ، فثق ان كل هذه الحملة المدبَّرة ضدك ستزول سريعاً جداً . كما خلقناها نستطيع هدمها في بضعة ايام ونستطيع ان نجعل منك شخصاً ثانوياً ، فيتحدث الناس عنك حديثهم عن اي شخص لاوزن له ، وتنتهي الخطب ، وحملات الصحافة ، والملصقات في الشوارع ، والمظاهرات » . واحب ان تعلموا ، يا سيادة الرئيس ، انه بينما كان يتحدث معي كان هناك بضع عشرات من المتظاهرين تحت نافذتي يطالبون برأسي ملء حناجرهم .

ويبدو ان هذا الرجل لم يخرج راضياً ، فظلت مكنة الأكاذيب تعمل بكل طاقتها . جعلوا دأبهم أن يربطوا اسمي باسم « تشي » ، وبكل الوسائل الممكنة ، فكانوا على مهارة فائقة في الايحاء بأن أقوالي هي التي كشفت لهم اولاً عن وجوده هنا ، مع انهم كانوا يعرفون بذلك منذ منتصف آذار . كذلك ربطوا بين اسمي واسم فيديل كاسترو ، كما لا بد أنكم رأيتم على الملصقات الاعلانية التي تغطي جدران هذا البناء ، وكأنما كان هناك أي سبيل للمقارنة بين بطلين تاريخيين ، بين زعيمين من قادة أمريكا ، وبين صحفي عـادي وجامعي عادي في مثل سني وجنسيتي . ومن ميامي وواشنطن وردت كراسات نُشرت متسلسلة هنا

في الصحف الكبرى ، وقدت ظهر فيها على صورة مصاص للدماء منذ الطفولة ، إفطاري في الصباح يتألف من حضور سلسلة من الاعدامات في هافانا ، ولكني لا ألبث ان أُعتَقل هنا في بوليفيا ، في قلب المعركة ، في قلب حركة المقاومة ، مرتعشاً وراء شجرة . والتشهير ، متى أُطلق له العنان ، لا يعود في وسعه ان يتوقف ، ولا يستطيع إلا أن يوالي الاختلاق والتجديد في الأساليب . وهو هنا في « كاميري » ظهر على صور أكثر فطانة : عزلوني فترات عن العالم دونما سبب واضح ، وأحكموا اغلاق زنزانتي عليّ بينما ظل المساجين الآخرون يعيشون حياة مشتركة ؛ بل هم أكرهوني بالقوة على أن ارتدي هذه البزّة المخططة ، بزّة المحكوم بالأشغال الشاقة رقم « ١.. » ، هذه البزّة التي لم تستعمل في بوليفيا قط من قبل ، حتى للجناة العاديين ، في أية لحظة من لحظات التاريخ البوليفي ، والتي لم يُدع الى ارتدائها احد من المتهمين الحاضرين هنا معي ، أو أي واحد من معتقلي الجيش . وكان هذا بالطبع ثمرة الحنق والرغبة بالانتقام ومرارة خيبة الارهاب . وفوق هذا كله ، تعلمون أنهم وجهوا نحوي كل وسائل الاعلام والدعاية ، دفعوها في وجهي دفعاً ، ليقولوا بعد ذلك اني انا الذي سعيت اليها طلباً للشهرة ، وكأنني أنا اخترت لنفسي البقاء شهرين معزولاً في زنزانة ، وكأني انا اخرجت كل هذه المسرحية ، وكأني لم أضطر الى دفع شرها عن نفسي والى كشف الحقائق للناس بواسطة الصحافيين الذين كانوا في متناول يدي . اكان علي إذن ان اسلّم نفسي ، مستكيناً اخرس ، لهذا الطوفان من الدعاية ومن الاضاليل ؟ ولماذا يوصف بالوقاحة والصلف والاستفزاز مَن لم يفعل الا الاحتجاج لكرامته والا الصلابة امام الاغراء ؟ وما الذي يريده مني هؤلاء السادة ؟ أيريدون ان اتعاون معهم وان اشترك في مكائدهم ؟ أيريدون مني السكوت على تلك المساومات وتلك الرشوات الرخيصة وتلك المؤامرة ؟ ان الوقت لم يحن بعد لأكون في وقاحتي على مستوى

شتائمهم .

والواقع اني لا اتمنى لنفسي ان اكون في موضع اولئك الذين اخرجوا هذه المسرحية ، والذين يملكون في حوزتهم كل الوثائق الضرورية لمعرفة الحقيقة . فالحقيقة ستنتهي بأن تُعرف ، ولو انها قد تخيّب آمال المدعي العام او آمال الادعاء الشخصي او آمال هـــذه المحكمة . ولئن كنت الآن ، في خطب الجنرال « بارينتوس » ، انزلُ الى مستويات متزايدة الانخفاض ، فان لذلك سبباً ، وهذا الانحدار لا بد منه . فاذا صدقت ذاكرتي فقد بدأتُ لديه قائداً ، ثم اصبحت مفوضاً سياسياً ، ثم مجرماً بالفكر ، ثم مقاتلاً ، واخيراً — في آخر خطاب له استطعت قراءته — اصبحت مجرد ناقل رسائل ، مجرد ساعي بريد . وهذه الصفة الأخيرة اكثر اقتراباً من الواقع واكثر انطباقاً على دوري الحقيقي . وانا اقبل هذه التسمية ، اذا كان لا بد من ايجاد صيغة لحشري في جهاز حركة المقاومة . اذ ان من الحق ، ايها السادة الضباط ، اني — بالاضافة الى عملي ومهمتي كصحافي — كنت مكلفاً ببعض المهمات الأخرى في فرنسا، وان تكن مهمات عادية ليس لها اي شأن استثنائي . وحين غادرنا المعسكر ، انا و « بوستوس » ، كان « تشي » ينتظر وصول اشخاص آخرين من الخارج ، اعني من « لاباز » ،هؤلاء كانوا السعاة الحقيقيين ، حاملي الرسائل . ولكنهم مع الأسف لم يصلوا ابـــداً . وبالمقابل فان اوامر « تشي » القاطعة كانت تحرّم على اي مقاتل ان ينزل مـــن المدينة ، وهذا كما ترون احد الاسباب الرئيسية لفشل حركة المقاومة ، اذ كانت صرامة « تشي » السياسية والعسكرية تجعله يعتقد انه لا يجوز لأي مقاتل، بعد انضمامه الى الحركة المسلحة ، ان يعود فينزل الى الريف . كما ان اولئك السعاة لم يستطيعوا الذهاب من الريف الى المدينة . ولا ريب ان هذا كله كان منشأ سوء التفاهم الخطير الذي جعل كلاً مـــن الطرفين ينتظر ان يأتي الآخر اليه لكي يحلا مشاكل بالغة الالحاح .

فلنعد إلى المحاكمة . ان هذه المحاكمة التي لا يستطيع فيها الدفاع أن يتكلم إلا عن قانون العقوبات ، والتي يستطيع الادعاء أن يتكلم فيها عن أي شيء – ولا سيما عن السياسة – باستثناء قانون العقوبات ، هي رمز دون ريب . فمن خلال شخصي يدينون حرب العصابات . ولقد طلبوا الحكم عليها بالحبس ثلاثين سنة ، وأنا أشك كثيراً في أن تستطيع احتماله كل هذا الوقت ، ومن المؤسف للمدعي العام ألا يكون في جعبته عقوبة أكثر حسماً لينتهي من المشكلة مرة واحدة والى الأبد . على أن القضية التي كان مطلوباً حلها كانت مختلفة ، وأيسر بكثير. كان السؤال: كيف يمكن اجراء مثل هذه الدعوى بمثل هؤلاء المهتمين ؟ فلو كان الادعاء المدني على قدر من روح النكتة لاتخذ بعض الاحتياطات الخطابية قبل أن يطلب « تعويض العطل والضرر » باسم الضحايا العسكريين من ستة متهمين لا تجمع بينهم إلا نقطة واحـــدة مشتركة هي أنهم جميعاً – على اختلاف الأسباب – لم يقاتلوا قط الجيش البوليفي: ثلاثة هاربين، كان أولى أن يُمنحوا الأوسمة جزاءً على الخدمات البالغة التي أسدوهـــا للجيش ؛ وصاحب مزرعة ، هو العدو رقم واحد لحركة المقاومـة في منطقة عملياتهـــا الأولى ، وهو الذي وشى بها مرتين للسلطات دون أن يعرف حقيقة أمرهـــا في الواقع ؛ وأخيراً ضابطي اتصال – إذا شئتم إطلاق هذه التسمية نهائياً عليهما – هما أنا و « بوستوس » وهذه الأوصاف كلها لم يكن فيها مـــا يرتفع إلى مستوى حرب العصابات التي يريدون إدانتها . ولذلك اهتدوا الى حل ، وكان يكفي أن يفكروا بعض الشيء ليهتدوا اليه : فبدلاً من أن يقيموا دعوى على قيـاس المتهم الموصوف بأنه رئيسي، خلقوا متهماً على قياس الدعوى التي كانوا يريدون اقامتها . وهذا ما جعلهم ينتقلون بـي من شخص مغمور نكـرة الى شخص ذي مكانة مشبوهة ، لست أهلاً لها . تماماً كما يتحول البيدق الى وزير في لعبة الشطرنج . وعلى هـــذا الأساس نفسه اختلق الادعاء أدلة اتهامه .

وهذا إسراف في التكريم لرجل واحد !

صحيح أنه ليس من المقبول حقوقياً أن تدان حرب العصابات البوليفية من خلال ادانة شخص عادي ، ولكني لا أشك أبداً أن ما يراد هو ادانتها المعنوية . ثم ان هناك أمراً آخر ، أمراً أشار اليه المدعي العام في البداية ، وهو ان كوبا هي التي يريدون ادانتها هنا من خلالي ووضعها على مقعد المتهمين . ان المدعي العام قد وصف كوبا الثورية بأنها « بؤرة الإخصاب الإجرامي » . أما أنا فان « بؤرة الإخصاب الإجرامي » الوحيدة التي أعرفها هي الولايات المتحدة ، التي صدّرت جرائمها الى « بانامـا » و « سان دومينغو » و « غواتيمالا » و « كوبا » : صدّرت اليها قنابلها وجواسيسها ، ودباباتها وبواخرها . وليس هنا اذن الا متهم واحد ، وهو الأمبريالية الأمريكية ، ومعها أذنابها . ولكن ما دام محرّماً أن أتحدث هنا عن الثورة والثورة المضادة ، ومـا دام هذا الحق للمدعي العام وحده ، فاسمحوا لي على الأقل ، يا سيادة الرئيس ، أن أردّ على تهمتين ماديتين وجههما اليّ المدعي العام .

لقد وصفني أولاً بأني « فرنسي — كوبي » هجين ، ومرتزق في خدمة كوبا . وهذا على لسانه شتيمة اضافية دون ريب ، أما عندي أنا فمصدر شرف وغبطة . ولكن اذا كانت صداقاتي الشخصية قد ساعدتني حقاً في عملي ، فليس لكوبا علاقة بقدومي الى بوليفيا ولا بأسفاري في أمريكا اللاتينية . فأنا هنا تنفيذاً لقرار شخصي فحسب ، اتخذته بالاتفاق مع ناشري الفرنسي ومع مجلة مكسيكية . ولئن كنت قد عملت في جامعة هافانا ككثيرين غيري من الأوروبيين ، وكنت قد درست تاريخ كوبا الثوري وأُعجبت بهذا التاريخ وبالذين صنعوه ، فذلك لا يعني أن كوبا مسؤولة عن تنقلاتي وعن مبادراتي الشخصية . انني أخدم قضية لا دولة ، وأحترم هذه الدولة لأنها تخدم تلك القضية لا مصالحها الخاصة كدولة ،

أحترمها لأنها تذوب في تلك القضية . ووحدي أحمل مسؤولية أعمالي .
أما اذا كان المدعي العام يريد أن يحاكم كوبا ، التي لم يرد ذكرها أبداً في افادتي أمام قاضي التحقيق ، فاني أذكّره بأن هنالك جهازاً متخصصاً في هذا النوع من الشكاوى ، هو « وزارة المستعمرات الأمريكية » التي يطلقون عليها اسم « منظمة الدول الأمريكية » .

كذلك قال المدعي العام اني حملت معي للمقاتلين البوليفيين « تعليمات سيدي فيديل » . وهو دون ريب يريد أن يقول ان المقاتلين البوليفيين كانوا يتلقون تعليمات من الخارج . وهو يعرف أن هذا كذب . يعرف أنهم لم يكونوا يتلقون أوامر من أحد ، باستثناء قائدهم الذي اختاروه هم أنفسهم ، من الداخل : ارنستو تشي غيفارا . وأنا بدوري أسأله ماذا كانت تلك التعليمات المزعومة ، التي اضطر عملاء وكالة المخابرات المركزية أنفسهم أن يعودوا الى واشنطن خائبين ، عاجزين عن التدليل على شيء منها ؟ وكيف تستطيع وكالة المخابرات المركزية أن تكتشف ما لا وجود له ؟ ان « فيديل » لا يعطي تعليمات ولا يستطيع أن يعطي تعليمات ، لأن أي انسان ، مهما كان مبلغه من العظمة والطيبة وجلاء البصيرة ، لا يستطيع أن يملي على التاريخ مساره ولا أن يمنع المحتوم أو يحقق المستحيل . وليس من رجل يستطيع اصدار أوامره للآخرين بتضحية أنفسهم من أجل قضية الحرية ، لأن البشر لا يهجرون راحتهم وأولادهم ولا يستغنون عن نور الشمس ولا يستشهدون اطاعة لأمر خارجي . بل يفعلون ذلك عن ايمان ، نتيجة لاختيار حميم ، مطلق الالتصاق بذواتهم .

على أن في قولة المدعي العام كلمة أكثر إهانة ، لي ولفيديل على السواء ، هي كلمة «سيّد» . ان المدعي العام يخلط بين السيد والصديق. والسيد ، السيد الوحيد ، هو ذلك الذي يغتني من عمل الفقير ، من

عمل الشعب الفقير في بوليفيا ، هو ذلك الذي يَستغل ويَستذل، وينهب ويُرهب ، ذلك الذي يوظّف دولاراته هنا ، على التراب البوليفي : المستر جونسون . أما كوبا فليس لديها دولارات ولا امتيازات تقدمها لأحد . ليس لديها ما تقدّمه إلا القدوة : قدوة التضحية والشجاعة والتقشف . وبين السيد والصديق المثالي ، بين جونسون وفيديل ، كل منا حرٌ في اختياره .

الآن أبلغ ختام كلمتي . لقد أعرب أحد وكلاء الادعاء المدني عن خشيته من أن يلتمس الدفاع الرأفة فيكون في ذلك حرمان للمنتصرين من حقهم في ادانة المهزومين . ولكن ، ومن يطلب هنا الرأفة ؟ وهل هناك من جَرُؤ على التباهي بانتصار ؟ هل هناك من يعتبر نفسه مهزوماً؟ أيكون « تشي » قد انهزم لأنه مات ؟ منذ سنوات طويلة و « تشي » يتعرض للأخطار ثم ينجو من الموت باعجوبة ؛ وهو منذ سنوات قد عقد العزم على أن يقاتل في الصف الأول ، حيثما كانت حاجةٌ اليه ، هنا وفي أي مكان آخر ؛ وهو منذ سنوات قد ارتضى الموت في أية لحظة . كان من عادته أن يقول ان تضحيته لن تكون شيئاً ذا معنى ، لن تكون إلا واحدة من الحوادث الطارئة في مجرى الثورة العالمية ، وان على كلٍ منا بعد ذلك أن يجعل من دمه ملاطاً يوطّد بناء الثورة . وهناك أشخاصٌ أكثر خطراً أمواتاً منهم أحياء ، حتى ولو كان الذين يخافون الأخطار يقطعون أيدي جثتهم ويحرقون جسدهم ثم يخفون رماده . وفي نظرنا نحن ، الآن بدأ « تشي » حياته ، والثورة مستمرة .

لا ، لن ألتمس عفواً كما يلتمس المهزومون . ولن أخاطبكم كما يخاطَب المنتصرون . بل سأقول لكم اني ، إذا كان حقاً أنه يؤسفني أن أكون بريئاً من كل التهم التي وجهت إليّ ، أحمل تجاهكم ذنب الايمان بانتصار « تشي » نصراً قريباً ونهائياً ، وذنب التصميم على الوفاء بالعهد

الملتزم الذي يقعطه على نفسه كل من حظي برؤية « تشي » وهو يعيش ويفكر ويناضل ، العهد بأن يظل أميناً له مقتدياً به في حدود قدراته ، حتى النهاية . وسأفعل كل ما أستطيع كيما أكون جديراً بالشرف البالغ الذي ستمنحوني إياه اذ تدينوني بذنب لم أرتكبه ، ولكني، أكثر من أيّ حين ، عازم على ارتكابه . وأنا بكل هدوء ومن كل قلبي أشكركم مسبقاً على العقوبة الشديدة التي أنتظرها منكم .

ريجي دوبريه
(آخر تشرين الأول ١٩٦٧)

مرافعة الأستاذ راوول نوفيليو

سيادة الرئيس ، السادة أعضاء المجلس الحربي[1] .

أنا ، راوول نوفيليو ، المحامي المكلف من قبلكم بالدفاع عن « ريجي دوبريه » في الدعوى العسكرية المرفوعة ضده بتُهَم القتل والسرقة والتمرد ، أتشرف بأن أقول لكم في احترام بالغ :

لما كانت الدعوى قد بلغت مرحلتها الحاسمة ، فان الدفاع عن «ريجي دوبريه » يرى من واجبه أن يثير قبل كل شيء ملاحظات تفسّر موقفه أسباباً وصيغة ، وتوضح بعض المفاهيم الخاطئة سواء صدرت عن نية حسنة أو قصد مغرض .

... وليكن واضحاً أن كوني مكلفاً بهذه المهمة من قبل المحكمة يمنعني من القيام بكامل واجبي ومن اللجوء الى كل الوسائل القانونية خلال سير الدعوى ، لا وفاءً بمسؤوليتي المهنية فحسب (كما يفرضها عليّ

---

١ رغبة في عدم إشغال القارئ بما لا يزيده فهماً لهذه القضية ، سمحت لنفسي باجتزاء الفقرات والاشارات التي لا تتعلق مباشرة بتهمة « ريجي دوبريه » ، وكذلك بحذف بعض أرقام المواد القانونية وأرقام الصفحات في ملف الدعوى وما يماثلها من الشكليات الاجرائية ، واختصار الثانوي أو المتكرر من أقوال الشهود الطويلة . (المترجم)

النظام الأساسي للنقابة) بل دفاعاً أيضاً بما عليّ من مسؤوليات تجاه سمعة بلدي ، وتجاه القضاء العسكري ، وتجاه سمعة المحاماة في بوليفيا ، وتجاه المتّهم الذي أوكلتم اليّ رسمياً مهمة الاسهام في تحديد مسؤوليته أو براءته. والدفاع في هذه المحاكمة الشهيرة،على الرغم من عدم تساوي الوسائل ، قد استطاع أن يدحض حجج الاتّهام استناداً الى الأدلة التي قدّمها الاتّهام نفسه .

بعد هذا الايضاح الذي كان واجباً عليّ تجاه الرأي العام،أبدأ بتنفيذ أحكام المادة ٢٥١ من قانون القضاء العسكري مقدماً دفاعي عن المتهم .

بعد تسجيل قرار الاتهام والافتتاح الرسمي للمناقشات في جلسة علنية بتاريخ ١٠ تشرين الأول الماضي، سُمح لممثل النيابة العامة (خروجاً على المادة ٢٤٦ من قانون القضاء العسكري أو بتفسير خاطىء لها) بأن يتقدم بمطالعة يتهم فيها المدعى عليهم ويطلب الحكم عليهم مباشرة مع أن واجبه كان أن يكتفي بعرض الاتهام وأن ينتظر نهاية المحاكمة ليتقدم بطلبه ذاك .

والسادة القضاة يدركون بالطبع أن هذا الخطأ الاجرائي قد ساعد الاتهام،منذ بداية المحاكمة ، على تحديد موقفه بشأن طبيعة هذه الدعوى، ولا حاجة الى البرهان على أنها دعوى سياسية .

فالنقطة الأولى في مطالعة النائب العام تبدأ بالقول : « في بوليفيا ، أكثر من أي مكان آخر في أمريكا اللاتينية ، نجد عصابات من الأشرار المسلحين الذين يسمون أنفسهم محاربين ، تحاول غرس الشيوعية لنشرها فيما بعد الى مجموع القارة ، على أساس الماركسية اللينينية ، وبوجه أكثر دقة على أساس الكاسترويه الشيوعية ، كنظام سياسي للحكم » . وما كان في وسع الادعاء أن يحدد موقفه على أفضل من هذه الصورة، فهو في الواقع يتهم « ريجي دوبريه » بمحاولة تغيير نظام الحكم السياسي في

بلدنا . ولنفترض جدلاً أن الأمر كذلك ، نجد أن مرسوم الاتهام الذي سيستند عليه الحكم لا يشير أبــداً الى جريمة العصابات السياسية ، وهي جريمة لا ورود لذكرها في تشريعنا .

والمقطع الأخير من النقطة الثالثة من مطالعة النائب العام يطالب بالتوقف عن تسمية المدعى عليهم « محاربين » ويريدنا أن نسميهم «أشراراً» ،حتى لا يكون في ذلك إهانة لذكرى محاربينا الأمجاد ، أبطال الاستقـــلال ، « بدرو دومينغو موريليو » و « اسطفان آرسي » و « ايناسيو وارنس» و « مانويل باديليا » وزوجته الأسطورية « خوانا » ونساء «كورونيليا» . وهؤلاء حقاً أبطالنا التاريخيون فلنمجد ذكراهم . ولكننا ، إذا عدنا إلى التاريخ ، واجدون أن كل آباء الوطن ومحاربي الاستقلال هؤلاء قـــد وصفهم السادة الاسبانيون في « بيرو العليا » اذ ذاك بأنهم « أشرار » . ألم يكن هذا هو الاسم الذي أُطلق على كل هؤلاء « الأجانب » الذين، خلال معركة التحرير ، جابوا القـــارة كلها ، مقاتلين من أجل نشر المثل الأعلى للحريـــة : « انياسيو وارنس » الأرجنتيني الذي قاتل في « بيرو العليا » و « سان مارتين » محارب الاستعمار الاسباني في « الريو ده بلاتا » ، أي ما يسمى الآن الشيلي وبيرو وبوليفيـا ؟ و « سيمون بوليفار » ، محرر وطننـــا ، ألم تلصق به نفس الصفـــة ؟ والفرنسي « لافاييت » ، الذي كانوا في أيامه يسمونه شريراً وقاطع طريق، أليس الآن أحد أبطال استقلال الولايات المتحـدة ؟ ان العرش الاسباني قـــد حكم على أبطال استقلالنا بالقسوة التي عرفها ذلك العصر ، ولكن التاريخ يعتبرهم مدافعين عن حريات الشعوب .

كذلك قال النائب العام في مطالعته ، وهو يشير باصبعه الى المتهمين : « هؤلاء هم الفاعلون الذهنيون للجرائم التي تحاكَم هنـا ، هؤلاء هم المحرضون عليها ، والدافعون اليها » . فأرجو أن تأخذوا علمـــاً بأن

النائب العام ، بقوله هذا ، قد أسقط عن « ريجي دوبريه » المسؤولية المادية الحسية المباشرة على الجرائم المشار اليها في قرار الادعاء .

هذا بالاضافة الى أن فحص البينات ومناقشتها – كما سترون بأنفسكم أثناء مشاوراتكم قبل اصداركم الحكم – يضعفان التهمة التي تقول بمسؤولية « ريجي دوبريه » عن تلك الجرائم بوصفه « فاعلها الذهني » والمحرض عليها .

ان بينات الادعاء – بجوانبها الثلاثة : تقارير الخبراء ، والوثائق ، والشهود – التي قدمتها النيابة العامة في ٢٦ / ٩ / ٦٧ ، ثم شرحتها خلال المحاكمة وتم تفصيلها وفحصها وفقاً للأصول ، هي التالية :

تقارير الخبرة :

في الجلسة العلنية الثالثة ، في ١٠ / ١٠، عرض النائب العام – كدليل مادي على الجريمة – مجموعة من الأسلحة والذخائر قال ان الجيش قد عثر عليها في مخابىء رجال عصابة « نانكاهواسو » ، معلناً انها ملك هؤلاء الرجال ، دون أن يكون هناك ما يثبت هذه الملكية . وقد تمت تسمية « الكولونيل لويس ريكي تيران » خبيراً ، فأقسم اليمين وقبل هذه المهمة دون أن يحدد بالدقة ميدان خبرته . وكانت مهمته محددة بتعيين أنواع الأسلحة ومصادرها والآثار التي يمكن أن تنتج عن استخدامها.

هذا مع أن الدعوى ، بموجب قرار الادعاء، قد أقيمت على أشخاص محددين (من بينهم ريجي دوبريه) من أجل جرائم محددة ، لا على محاربي حركات المقاومة المسلحة بصورة عامة . وهذا يُسقط القيمة القضائية لمثل هذه البينة ، بحيث لا يصح أخذها في الاعتبار أثناء الحكم .

وفي اليوم التالي ، ١١/١٠ ، قام هـذا الخبير نفسه بالتعليق على « فيلم » سينمائي وثائقي يصور منطقة « نانكاهواسو » (لا يُعلم مصدره ولا مصوِّره) ، فشرح وعورة وادي « نانكاهواسو » ، هذا الممر الضيق الذي أصبح معروفاً أن محاربي العصابـة قد نصبوا فيه كمينهم الأول لعناصر من الجيش . ومن أقواله يتبين أن أية وحدة عسكريـة تفاجأ عند مدخل هذا الممر لا تملك أي سبيل للدفاع عن نفسها اذا ما هوجمت . وهذا ما حدث بالفعل للدورية التي وجدت هناك يوم ٢٣ آذار .

كذلك يتبين من أقوال الخبير أن الأسلحـة المصادرة تضم أكثر من ١٥ نوعاً مختلفاً ، اثنان منهـا فحسب لا يستخدمها الجيش الوطني في الوقت الحاضر . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الأسلحة والذخائر المشار اليها تؤلف الأسلاب التي غنمها المحاربون ، يوم ٢٣ آذار وفي العمليات التالية ، من الجيش النظامي .

وقد أوضح الخبير ، رداً على أسئلة الدفاع ، أن فجاج «نانكاهواسو» ، في منطقة الكمين ، هي من أشد الوديان اختناقاً ، يغلقها جداران طبيعيان مرتفعان جداً ، وليس فيها طريق صالح للمركبات بل ولا درب ترابي. كما أوضح أن المسافة بين موضع الكمين وبين معسكر رجال المقاومـة تقطع في ثلاث ساعات ونصف الساعة تقريباً ، وأن الفيلم قد صُوِّر في في منتصف نيسان .

أما الدليل المادي الآخر الذي قدمه الادعاء فهو ترجمة من الفرنسية الى الاسبانية ، قام بها الملازم « آ. توشارت » ، لدفتر المذكرات التي كان يكتبها « ريجي دوبريه » خلال وجوده سجيناً في « كاميري » . وقد تُليت هذه الترجمة في جلسة علنية ، فلم ترد فيها أية إشارة يمكن الاستدلال منها على أن من المحتمل أن يكون « ريجي دوبريه » قـد

اشترك شخصياً في عمليات رجال المقاومة يومي ٢٣ آذار و١٠ نيسان . والواقع أن هذه المذكرات شخصية محضة ، لا تتحدث إلا عن وقائع ذاتية سابقة لنشوء حركة المقاومة وغريبة عن بوليفيا . وهنـاك ملاحظة هامشية وحيدة ، وهي أن سهواً في الترجمة جعل المترجم يشير الى لقاء مع « تشي غيفارا » في مكسيكو ، مع أن موكلي لم يـذهب في حياته الى هـذه المدينة . ولا يكفي القول بأن هذه الوثيقه لا علاقة لها أبداً بالدعوى ، بل يجب أن نضيف أنها لا تملك أية قيمة قانونية ، إذ أن المادة ٢٠ من الدستور تؤكد على حرمة المراسلات والوثائق الخاصة ، فاذا انتُهكت حرمة هـذه الوثائق بالمصادرة أو بسواها فليس لهـا أي أثر قضائي .

وهذا العرض الموجز يوضح في جلاء أن أياً من الأدلة المشار اليها لا يأتي بأي دليل على الوقائع التي من أجلها يحاكم موكلي .

الوثائق

أهم الوثائق التي قدمها الادعاء هي التالية :

١ – **مجموعة رسوم لرجال المقاومة** ، ليس بينها رسم لريجي دوبريه ، وهي بالتالي لا تصلح لاتهامه ، بل – على العكس – تصلح وثيقة لنفي التهمة عنه .

٢ – **تقرير عن تفتيش أماكن الجرائم** (نانكاهواسو وايريبيتي)... وهذا التقرير لا يتضمن شيئاً ذا علاقة بموكلي ، مباشرة أو غير مباشرة ...

٣ – **تقرير من رئيس دائرة المباحث الجنائية في « تيوبـونت »** ، مستند الى معلومات مستقاة من مجهولين ، عن زيارة « ريجي دوبريه »

لمنطقة « آلتو بيني » ... وهو قد زار هذه المنطقة ، يرافقه الدكتور « آرسي كينتانيليا » ، لجمع معلومات من أجل أطروحة للدكتوراه في علم الاجتماع يقوم باعدادها ... وهذا التقرير على أي حال لا يأتي بأي دليل على أن « ريجي دوبريه » قد ارتكب حقاً جرائم القتل والسرقة والتمرد ، لأنه يتحدث عن وجوده في منطقة بعيدة جداً عن تلك التي جرت فيها عمليات المقاومة موضوع هذه الدعوى .

٤ — **ايصالات بشراء خرائط** . لقد حسب الادعاء ، وهو يعرض على طريقته وثائق تتألف من طلب شراء خرائط لبعض المناطق وخريطة للطرق في بوليفيا وايصال بهذا الشراء ، أنه يتقدم بدليل لا سبيل الى نقضه على اشتراك المتهم اشتراكاً مادياً ايجابياً في أحداث « نانكاهواسو » و « ايريبيتي » . هذا مع أن هذه الوثائق ، ولا سيما بعد أن استكملت خلال الجلسات العلنية الأخيرة بخرائط ورسوم أخرى ، تنفي عن «ريجي دوبريه » كل تهمة بدلاً من أن تثبت التهمة عليه ، وذلك للأسباب التالية :

ان الوثائق المشار اليها تشير الى أن موكلي ، في عام ١٩٦٦ ، اشترى من المعهد الجغرافي العسكري — بصورة شرعية وتحت توقيعه ودون أن يكتم هويته الحقيقية — الخرائط ذوات الأرقام ٢٠ و ٢١ و٢٦ و ٢٧ و ٣٢ و ٣٩ ، بالاضافة الى خريطة الطرق البوليفية . وهو قد قام بهذا الشراء بغية القيام بدراسة اجتماعية اقتصادية لمناطق مختلفة من أمريكا اللاتينية ، من أجل أطروحته .

ثم عرضت النيابة العامة مجموعة تضم أكثر من ٥٢ خريطة لمختلف أنحاء البلاد (قالت انها صودرت من مستودعات معسكر المقاومة) ليس بينها الا ثلاث فحسب تماثل تلك التي اشتراها « ريجي دوبريه » ، وهي ذوات الأرقام ٢٠ و ٢١ و ٣٩ . ثلاث خرائط متماثلة ، فقط ، من

أصل ٥٢ . ان الدلالة المنطقية لهذا واضحة : فأولئك الذين اشتروا كل تلك الخرائط انما اشتروها لحسابهم ، و « ريجي دوبريه » لا علاقة له بهذا الشراء . وهكذا تسقط احدى التهم التي كان الادعاء يحسبها راسخة راسية الدعائم .

٥ ـ **جواز السفر** . حاول الادعاء أن يثبت أن « ريجي دوبريه » دخل خلسة الى بوليفيا عام ١٩٦٤ لأغراض جنائية ، وقدّم للتدليل على ذلك جواز السفر الفرنسي رقم ٦٨ الصادر باسم المدعى عليه ، بصورة قانونية ، من قبل القنصلية الفرنسية في سانتياغو (الشيلي) ، وعليه تأشيرة الترخيص القانونية بدخول بوليفيا ممنوحة من قبل قنصليتنا في الشيلي ، وعليه تأشيرة المغادرة المختومة من السلطات الشيلية ، ثم تأشيرة دخول بوليفيا المختومة من قبل سلطات الحدود البوليفية في « تشارانا » . وهذه البيّنة القاطعة تحطّم زعم الادعاء بأن « ريجي دوبريه » دخل بوليفيا متسللاً عام ١٩٦٤ . وكيف يمكن اتهام المرء بدخول البلاد خلسة أو تسللاً وهو يحمل وثيقة سفر قانونية ، ممنوحة من سلطات بلاده المختصة ، وعليها تأشيرات الدخول من قبل موظفينا المختصين ، ويحملها صاحبها الشرعي : « ريجي دوبريه » ؟ ان مثل هذا القول زعم بوجود أدلة لا وجود لها وانكار للحقيقة الثابتة بغية استصدار الحكم بالادانة بأي ثمن . فبهذه الوثيقة ذاتها ، وبموجب حقه الصريح في التجول بحرية في هذه البلاد ، قام « ريجي دوبريه » في ١٩٦٤ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ بزيارة مناطق مختلفة من بوليفيا لأغراض علمية ، وفقاً لنص المادة ٧٠ من دستورنا .

٦ ـ **صورتان** . يتضمن ملف الدعوى صورتين شمسيتين . الأولى يظهر فيها أربعة رجال هم « تيفارا » و « بوستوس » و « ريجي دوبريه » وواحد من رجال المقاومة . أما الثانية فهي صورة يظهر فيها « ريجي

دوبريه » وحده . وقد التقطتا كلتاهما في نفس المكان ، كما يظهر من خلفيتهما . والدراسة الدقيقة لهما تكشف عن أن « ريجي دوبريه » لا يبدو فيهما حاملاً لأي سلاح أو ذخيرة ، بل هو – كما تستطيعون أن تروا جميعاً – يرتدي لباساً مدنياً ، ويضع حزاماً عادياً ، ومعه قراب للنظارات وكيس يحوي دون ريب أمتعته الشخصية . ومن المهم أن نلاحظ أن الصورتين أخذتا في المعسكر نفسه لا في موضع أحد الكمائن .

٧ – **شهادة من مدير اذاعة « القرن العشرين »** ، تصف « ريجي دوبريه » كرجل سينمائي . وهذا مطابق للحقيقة إذ أنه بالاضافة الى عمله لحساب مجلة « الأزمنة الحديثة » ، كان يريد تصوير مناظر ومشاهد من هذه المنطقة المنجمية . وهذا النشاط ليس بالجديد عليه ، ولا هو سرّ ، ولا يستهدف أي غرض تخريبي . بل ان المدعي عليه نفسه كان قد أشار الى هذا النشاط في افادته ، وذكر أنه صور في فنزويلا « فيلماً » تسجيلياً قصيراً عنوانه « طرق الثروة » ، وقدم شهادة على ذلك صادرة عن مدير الاذاعة والتلفزيون في باريس .

٨ – **كتاب « ثورة في الثورة ؟ »** . أخيراً نصل الى هذا المؤلف الذي وضعه « ريجي دوبريه » ،والذي قدمه الادعاء على أنه بيّنة اساسية. على ان الادعاء لم يحلّل ابداً هذه البينة بل اكتفى بإيراد فقرات منها اجتزئت من سياقها بحيث حُرفت عن معناها . وبالنظر للأهمية التي اضيفت على هذا الكراس ، الذي يؤلف في الواقع البينة الوحيدة الصلبة بين ما قدمه الادعاء من بيّنات واهية ، سنعمد الى تحليلها من ثلاث زوايا مختلفة: محتواها في ذاتها ، والدور الذي لعبته في الوقائع موضوع الدعوى، والمعقولية :

آ) ما هو كتاب « ثورة في الثورة » ؟

إنه تأريخ وتحليل لحركة المقاومة المسلحة الكوبية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٩) بالمقارنة مع مثيلاتها في فييتنام والصين وفي أمريكا اللاتيننة من عهد « توباك » و « آمارو » حتى أيامنا هذه. فالمؤلف يرجع فيه الى وقائع ماضية ، الى تجارب تاريخية ، يحاول أن يتفهمها وأن يبرز ملامحها الجوهرية . وهو على طول الكتاب يروي أحداثاً وفصولاً من المقاومة الكوبية ، ويرجع الى نصوص رسائل ووثائق ودراسات . أي أنه يقوم ببحث وصفي تاريخي . ووجه الأصالة في هذا العمل الجامعي هو في كونه يحاول التأريخ لتجارب معاصرة ولانتفاضات حديثة ، دون أن يلجأ أبداً الى اعطاء نصائح أو تعليمات ودون أن يتوجه بكلامه الى أحد بشكل خاص . إنه يستخلص القواعد التي سارت على نهجها الحروب والثورات حتى اليوم ، ويدرس حركات عصابات المقاومة كما وقعت دون أن يحكم لها أو عليها ، يدرسها بوصفها ظواهر اجتماعية وسياسية تمتاز تطورها بقوانين خاصة ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية . أي أنها دراسة معقدة، تدخل في اطار علم الاجتماع السياسي لا في اطار الدعاية السياسية .

وفي الصفحة (٢٥) من الكتاب يقول المؤلف انه سيقوم بتحليل بعض مفاهيم الكفاح المسلح من الوجهة السياسية بوصفها نظريات لا عسكرية بل ايديولوجية . ثم يبدأ بتعريف أسلوب « الدفاع الذاتي » ووصف الواقع الريفي في كوبا والواقع المنجمي في بوليفيا منتهياً الى تلخيص الايديولوجية التروتسكية (ص ٣٦) . هذا التلخيص لنظرية غريبة عن المؤلف ، قدمه وكيل الادعاء المدني كما لو كان رأي المؤلف نفسه ، إذ اجتزأ منه هذه الجملة في بدايته: « ان الايديولوجية التروتسكية عادت اليوم الى الظهور ... فلنلخصها » . ونرى « ريجي دوبريه » يقوم بهذا التلخيص بصورة تحمل معنى النقد الحاد ، ولكن الطرف المدني ـ بدلاً

من أن يشير الى ذلك — يقدم هـذا التلخيص وكأنه موجز لنظريات المؤلف ذاته ولنصائحه .

وفي الصفحة (٦٤) نرى الادعاء يعود الى نفس هـذه الطريقة في الاستشهاد بالنص التالي : « ان الكفاح المسلح الثوري كفـاح سري ، يولد وينمو في الظلام ... » فينسى أن يورد هذه الجملة السابقة مباشرة لهذا النص : « ما الذي تعلمنا اياه التجربة ؟ علامَ يدل تاريخ غواتيمالا وفنزويلا ؟ » . ان ما يذكره « دوبريه » هو الدروس التي استخلصها رجال المقاومة أنفسهم ، لا دروسه هو ولا تعاليمه .

كذلك تلا الادعاء مقطعاً آخر (ص ٥٣) عن الدعايـة المسلحة : « ان تصفية شاحنة تحمل الجنود أو اعدام واحد من ممارسي التعذيب ، أنجع في الدعاية المحلية من مئة خطاب » . ولا ريب ان الاستشهاد على هذه الصورة يستهدف التأثير على المحكمة ، اذ يُظهر هذا الرأي وكأنه العبرة الشخصية التي انتهى اليهـا « ريجـي دوبريه » أو النصيحة التي يعطيها ، اذ ان الادعاء في استشهاده قفز فوق هذه الجملة السابقة له : « ان كثيراً من الرفاق قد انتهوا من كل هذه التجارب الى الاستنتاج التالي ... » . و « ريجي دوبريه » ، حتى لو كان من هذا الرأي ، يكتفي ، كما يفعل الصحفي ، بتكرار ونقل الرأي الذي قال به قبل ذلك كثيرون من رجال الكفاح المسلح في العالم كله .

وفي الصفحة (٧٣) يورد الادعاء عدداً من القواعـد « التكتيكية » العملية البسيطة جداً (مثل مهاجمة العدو وهو يتحرك ، الخ ...) ليوهم المحكمة بأن هذه القواعد هي بناتُ تفكير « ريجي دوبربه » ، مع ان السياق صريح في أنه انما يعرض القواعد التي طبقها فيديل كاسترو في « سييرا مايسترا » عام ١٩٥٧ ، والفصل كلـه هو سرد تاريخي لهذه الحركة .

خلاصة القول ان هذا الكتاب ، كما يقول المؤلف نفسه في الصفحة (١٠٤)[١] منه وفي فصله الأخير ، انما هو وصف لحركات مسلحة ماضية وتحليل تاريخي لها . هو كذلك من بدايته الى نهايته . والطبعة الأمريكية من هذا الكتاب تقول في مقدمتها ان ميزته الأولى هي أنه يعرض تجربة كاسترو وغيفارا كما يعرض آراءهما .

والصحافي الشهير « جيراس وستريبو » يقول عن « ريجي دوبريه » في مجلة « فيزيون » انه « إنجيلي كاسترو وغيفارا » ، أي أنه يعتبره مؤرخاً لهما . فهل نسأل مؤرخ الحرب العالمية الثانية عن الـ ٣٦ مليون من الموتى الذين ذهبوا ضحايا لها ؟ و « آرثر كستلر » كان مراسلاً صحفياً أثناء الحرب الأهلية الاسبانية فاشترك في الحياة اليومية للمحاربين الجمهوريين الذين كان يعطف على موقفهم ، فهل هذا يوجب عليه أن يدفع تعويضاً لعائلات الجنود المقتولين من بين أتباع الجنرال فرانكو ؟

ب) الوقائع

انتهت الترجمة الاسبانية لكتاب موكّلي — كما يقول — في أول كانون الثاني ١٩٦٧ ،وخرجت « بروفاته » الأولى من المطبعة في حوالي اليوم العشرين منه . وعلى غير علمٍ من المؤلف ، حصل واحد من المحاربين يدعى «تشينو» (لم يكن يعرفه أبداً من قبل) على نسخة من هذه « البروفات » ، لا يدري أحد بأية وسيلة ، وجاء بها الى المعسكر في منتصف شباط ، حيث أخذ على نفسه قراءتها لزملائه في العصابة . هذه

---

١ في مقابلة أرقام الصفحات الوارد ذكرها في هذه الفقرة ، راجع على التوالي الصفحات ٣٤ و ٤٧ و ٨٤ و ٦٧ و ٩٩ و ١٤١ من الترجمة العربية التي نشرتها دار الآداب .

(المترجم)

النسخة هي التي يقولون انهم عثروا عليها بين كتب أخرى في « نانكاهواسو » .

ويحسن بنا ، أيها السادة القضاة ، أن نلاحظ ما يلي :

١ ـ ان العصابة كان قد تم تنظيمها قبل القراءة الأولى للكتاب بأربعة أشهر .

٢ ـ هذه القراءة تمت بناء على مبادرة شخصية من « تشينو » ، في غياب القادة والمسؤولين السياسيين في العصابة ، بل في غياب القسم الأكبر من أفرادها . فهي اذن لم تحدث بموافقة الرؤساء ولا في إطار دروس التوعية التي قررها ونظمها « رامون » .

٣ ـ ان القادة والمفوضين السياسيين و « رامون » لم يعلموا بوجود هذه النسخة من الكتاب إلا بعد العاشر من نيسان ، أي بعد الوقائع المجرّمة في « نانكاهواسو » و « ايريبيتي » .

٤ ـ ان المؤلف ليس هو الذي قام بالتلاوة ، ولا تمت بموافقته ولا بحضوره . وبالتالي فما هي المسؤولية التي يمكن أن تقع عليه إذا قُرىء في غيابه كتاب ليس هو الذي أتى به ؟ لقد حدث ـ مرة واحدة ـ أن أوضح احدى نقاط الكتاب ، بناء على طلب أحد الرفاق .

٥ ـ تدل افادات المحاربين ان قراءة الكتاب تمت في نفس الوقت الذي كانوا يقرأون فيه ، بتعاقب دوري ، كتباً أخرى مثل : «تاريخ الجمهوريات الصغيرة » تأليف « ميتري » و « تاريخ بوليفيا » تأليف « ف. فينو » ، والتقارير الصحفية التي كتبها « ماريو ميننديس» عن فنزويلا ، وأخرى غيرها قرئت في شباط وآذار في معسكر «نانكاهواسو» . فلماذا لا يعتبر مؤلفو هذه الكتب في عداد المحرضين ؟

ح) المعقولية :

١ — ينتهي الكتاب المشار اليـه ، في فصله عن « عبرة الحاضر الرئيسية » ، الى رفض الأخذ بأسلوب المفوضين السياسيين، هذا الأسلوب الذي يعتبر المؤلف أنه « يبدو غير متفق مع الواقع في أمريكا اللاتينية ». هذا مع أن المعروف أن عصابات المقاومة البوليفيـة كانت تطبق هذا النظام ، وانه كان هناك مفوضان سياسيان همـا « اينتي » و « كوكو بيريدو » ، كما كان هنـاك معاونان لهما . فكيف نستطيع تفسير هذا التناقض لو أن كتاب « دوبريه » كان حقاً دليل عمل لحركة العصابات ؟

٢ — في مؤلفات الزعيم العظيم والأوحد سياسياً وعسكرياً لحـرب العصابات ، هذه المؤلفات التي أصبحت معروفة في العالم والتي تؤلف كتباً مدرسية حقيقية للحـرب الثورية ، والمرفقـة بخرائط ورسوم وتفاصيل عسكرية وتعليمات فنية ، مثل كتابـي « حرب العصابات » و « حرب العصابات كأسلوب » اللذين وضعهما « تشي غيفـارا » ، كانت قد وردت كل التوجيهات والقواعد التي تطبقها العصابات ، بحيث لا يعقل أن يكون كتاب مؤلف مبتدىء مثل « دوبريه » قد لعب دوراً في تنظيم حركة المقاومة .

٣ — من غير المنطقي ، بل من السخف، أن نفكر أن رجالاً مثل « تشي غيفارا » والمحاربين المتمرسين الذين كانوا معه كانوا بحاجة الى كتاب نظري وضعه جامعي في السادسة والعشرين من عمـره ، لا وزن لرأيه ولا الأمور العسكرية من اختصاصه . لقد كانت حاجتهم الى هذا الكتـاب ، في تنظيم عملياتهـم ، من الضآلة بحيث القوا به جانباً في مستودعاتهم بين مئة من كتب أخرى ، مع أن « تشي » كان دائماً يحمل كتباً في حقيبته .

هذا ، أيها السادة أعضاء المجلس الحربي ، كل ما يبقى من الحجة

التي زعمت أن كتاب « ثورة في الثورة » كان دليل عمـل العصابات ودعامة أساسية صلبة من دعائم الاتهام .

الشهود :

● شاهد الاثبـات « ليوتنان – كولونيـل ألبرتو ليبيراكورتيز » . يمكن تلخيص اجابته على أسئلة الاتهام والادعاء المدني والدفاع كما يلي:

١ – قام بمهمتين في منطقة « نانكاهواسو » . أولاهما في ١٧ آذار، حين قبض على المحارب « سالوسيتو شوكشوك » . وفي ذلك التاريخ لم تكن قد وقعت أية معركة بعد ولا نصب أي كمين ، ولا كان يعرف موقع المعسكر المركزي لرجال المقاومة ، ولكن الجيش كان قد عرف بوجودهم بفضل وشاية الهاربين « فيسانتي روكابادو » و « باستور باريرا » .

٢ – المهمة الثانية في نيسان ، بعد معركة الكمين الأول . وفي هذه المهمة اكتشف موقع المعسكر المركزي . وهو يشهد بأنه في هاتين المهمتين لم يرَ « ريجي دوبريه » ولا عرف بوجوده ولا سمع باسمه .

● الشاهد الدكتور « جلبرت فلوريس غارون » ،الذي كان – بصفته جرّاحاً وعضواً في لجنة للصليب الأحمر – قد ذهب الى « نانكاهواسو » لاسترداد جثث ضحايا كمين ٢٣ آذار . قال انه قام بهذه المهمـة يوم ٢٩ آذار ، بعد ستة أيام من الحادث . وكانت الجثث المتعفنة في الأمكنة التي سقطت فيها . وكان القتلى جميعاً محتفظـين بسراويلهم ، وبعضهم بقمصانهم ، ولكنهم كانوا جميعاً بلا أحذية . وقد وصل حتى المعسكر المركزي للعصابة ، ولكنه هو الآخر لم يرَ « ريجي دوبريه » ولا سمع حديثاً عنه .

● الماجور « هرنان بلاتا ريوس » شاهد هام لأنه كان قائد الكتيبة التي ذهبت ضحية كمين ٢٣ آذار . وأهم ما في اجاباته :

– ان فِجاج « نانكاهواسو » مغلقة تماماً بجدارين شبه شاقوليين .

– ان المرور فيها لا بد أن يتم عبر مجرى النهر اذ ليس على جانبيه طرق ولا دروب .

– انه اتخذ احتياطات أمان لدخول الفجاج فأوفد ضابطاً معه دليل للاستكشاف . وهو يقول – على عكس ما قاله الشهود الآخرون – ان كتيبته لم تكن مسلحة بصورة نظامية ، بل كان أفرادها يحملون أدوات لإعداد الطرقات فحسب . وهو الآخر لم يرَ « ريجي دوبريه » .

● الشاهد « الكابتين اوغستو سيلفا » ، الذي حضر هو أيضاً معركة ٢٣ آذار . شهد بأنه كان يسير في طليعة الكتيبة مع الدليل «فارغاس» ، وكان وهو يقوم بهذه المهمة عارفاً مسبقـاً بوجود رجال العصابات في المنطقة ، وان احتياطات قد اتخذت لمواجهة ذلك فقُسمت الكتيبة الى ثلاث فئات : واحدة بقيادته ، والثانية بقيادة « الماجور بلاتا » ، والثالثة بقيادة « الليوتنان لوايزا » . وقد أعرب له الدليل « فارغاس » عن خوفه من أن يفاجئهم رجال العصابات . وقبل أن يدخلا في الفجاج بصرا بآثار خطوات حديثة العهد .

كذلك قال ان بين الأسلحة التي غنمها المحاربون مدفعي هاون ٦٠ مم ، ورشاشاً خفيفاً وعدة بنادق . وقد أبصر عـدداً كبيراً من المحاربين ، وبعضهم استجوبه . وهو أيضاً لم يرَ « ريجي دوبريه » ولا سمع باسمه يذكر في الحديث عن المعركة .

● الشاهد « الرقيب فريامي غورينا » ، الذي حضر معركة كمين ١٠ نيسان في « ايريبيتي » . أفاد بأنه يعلم :

– ان كتيبة يقودها « الماجور روبين سانتشز » كانت تجوب المناطق المجاورة لفجاج « نانكاهواسو » ، بحثاً عن رجال العصابات ، وقعت في كمين جديد في منطقة « ايريبيتي » ، التي تختلف من حيث طبيعتها كل الاختلاف عن منطقة « نانكاهواسو » .

– ان كثيرين قتلوا وان « الليوتنان آجالا » جرح .

– ان المحاربين أخذوا أسلحة القتلى وثيابهم .

– ان طبيباً من المحاربين عُني بالجنود الجرحى .

– انـــه ، كشهود الكمين الأول ، لم يَرَ « ريجي دوبريه » ولا سمع عنه .

● الشاهد الرقيب « آدالبيرتو مارتينيز » ، الـــذي جرح في كمين ٢٣ آذار ، أفاد بقوله :

– ان الوحدة التي ينتسب اليها كانت تقوم بدوريات في المنطقـة منذ ١٧ آذار اذ كانت تعلم بوجود المحاربين .

– انه ، بعد جرحـــه ، قد أُسعف من قبل المحاربين على مسافة كيلومتر واحد تقريباً من مكان الحادث .

– انه لم ير « ريجي دوبريه » لا في موقـع الكمين ولا في المكان الذي أخذوه اليه بعد أسره .

● الشاهد « اورلاندا خيمينيز بازان » ؛ المحارب السابق والسجين حالياً لدى الجيش . هذا هو الشاهد الأول الذي يستطيع أن يحدثنا شخصياً عن اقامة « ريجي دوبريه » في المنطقة ، وأن يحدد تقريباً موعد وصوله ويعطي تفاصيل عن نشاطه . قال :

– ان « ريجي دوبريه » و « بوستوس » و « تانيـــا » وصلوا الى

المعسكر المركزي في آخر شباط ، وقد استقبلوا وقدّموا الى المحاربين بوصفهم صحافيين زائرين . وقد وصلوا بينما كان القائد الأعلى « تشي غيفارا » غائباً للاستكشاف في منطقة « نانكاهواسو » ، وكانت عودته مرتقبة حوالي الخامس عشر من آذار ، ولكنه لم يعد إلا في العشرين منه ، مما اضطر « دوبريه » و « بوستوس » الى اطالة مقامهما في المعسكر. وكانا خلال ذلك – وفقاً للقواعد المرعية مع الزائرين – يشاركان في الصيد وفي حراسة المعسكر ، ولذلك تسلم كل منهما سلاحاً . وبعد عودة « تشي » بيومين وقعت معركة « نانكاهواسو » فلم يعد في وسع الضيفين أن يتركا المنطقة اذ أصبحت تحت الرقابة العسكرية . وقد حاولا ، قبل اعتقالهما في « موجو بامبا » يوم ٢٠ نيسان ، أن يتسللا عبر «غوتيريز» ولكنهما لم يوفقا بسبب وجود الجيش . ولم يقاتل « دوبريه » ولا اشترك في المعارك على أية صورة . ولقد قرىء كتابه في جلسات ثقافية، قرئت فيها أيضاً كتب أخرى للثقافة العامة ولتعليم اللغات والنحو وكتب سياسية، دون أن يحضر « دوبريه » هذه القراءة أو يسهم بالتعليق عليها . وكان « تشينو » هو الذي أتى بنسخة هذا الكتاب الى المعسكر حيث بدىء بتلاوتها قبل وصول « دوبريه » . وكان رامون (أي : تشي غيفارا) هو القائد الأعلى ، أما المفوض السياسي فكان « اينتي بيريدو » . أما « دوبريه » فلم يَرَه قط يقوم بدور قيادي . ومراكز الحراسة وأجهزة الأمن كانت قد وضعت في أماكنها قبل وصول «دوبريه» و«بوستوس» ، اللذين اقتيدا يوم ١٩ نيسان (مع صحافي آخر حديث الوصول: روث) الى خارج المنطقة بواسطة عدد من المحاربين بناء على أوامر « رامون ». والشاهد يعلم بكل تأكيد ان « رامون » كان قد قال قبل ذلك ان هؤلاء الزوار يجب أن يغادرا المعسكر .

ان هذه الأقوال التي أدلى بها شاهد عيان تدحض كل اتهامات الادعاء الذي يريد أن يضفي على « ريجي دوبريه » صورة القائد البارز أو

المحارب العامل .

● كذلك لقيت هذه الشهادة ما يؤيدها في أقوال شاهدين آخرين هما المحاربان السابقان « انطونيو دومينفز » و « خوسه كاستيليو » .

● أما الرقيب « ادغار توريكو » فشهادته مجموعة من المتناقضات والأقوال غير الدقيقة . يقول انه يخدم في الوحدة العسكرية التي سقطت في كمين ٢٣ آذار ، وانه أُسر اذ ذاك فاقتادوه الى المعسكر المركزي حتى رأى « دوبريه » و « بوستوس » في صحبة «تشي» (وهذا كذب). والغريب أن عدداً من رؤسائه كانوا قد أُسروا أيضاً ، فلم ينل شرف الصعود الى المعسكر ولقاء « تشي » وغيره ، وهو يعلّل ذلك بأنه كان يريد منه تعليمه كيفية استخدام مدفع الهاون،مع أن أفادته خلال التحقيق لم تشر الى أي من الثلاثة المذكورين . وتذكرون أن تناقضات شهادته قد أدت الى شطبه خلال الجلسة ، بناء على طلب الادعاء .

● وأخيراً جاء دور الشاهد «الماجور روبين سانتشز فالديفيا » ، هذاالضابط المحترم الذي كان لشهادته أهمية خاصة لدى الادعاء ولدى الدفاع على السواء ، فجاءت هذه الشهادة تؤيد كل التأييد أقوال الشهود الآخرين . وأضاف انه لم يعرف « ريجي دوبريه » إلا في أواخر نيسان ، أي بعد اعتقاله واقتياده الى « تشوريتي » ، حيث أعطاه الضمانات اللازمة بينما كان عددٌ من المدنيّين والعسكريين يضربونه ويهددونه بالموت . كما يذكر ان رجال المقاومة أعادوا له مسدسه حين أسروه .

● وأحب أن أختم هذا العرض للشهادات بالاشارة الى أن افادة المدعى عليهما « فيستي روكابادو » و « باستور باريرا » ، وكذلك أقوال الصحافي البريطاني « جورج روث » ، تؤيد الشهادات الأخرى في كل ما يتصل بنشاط «دوبريه» و « بوستوس » في المعسكر وتأكيد

صفتهما كزائرين فحسب ؛ كما أذكّركم بأن شهادة « الليوتنان نسطور رويز باز » وأقوال موظفي المباحث الجنائية وأولئك الذين اشتركوا في اعتقال « دوبريه » و « بوستوس » و « روث » في « موجوبامبا » ، كلها تجمع على القول بأن هؤلاء الثلاثة أوقفوا اذ ذاك لمجرد الاشتباه بهم ،وانهم لم يكونوا يحملون سلاحاً ولا معدات عسكرية من أي نوع ، وأن كل ما عُثر عليه في حقيبتي « دوبريه » و « بوستوس » كان أمتعة شخصية وأوراقاً خاصة ووثائق تثبت نشاطهما الصحفي .

سيادة الرئيس ، قد أكون أسأت استغلال حلم المجلس الحربي الموقر بتكرار وتحليل وسائل الاثبات التي عرضت في المرحلة العلنية من المحاكمة ، ولكن الدفاع كان لا يرى مَعْدىً من أن يبرهن على أن الأدلة التي قدّمها الادعاء نفسه تدحض التهم الموجهة الى موكلي . وهذه المحاكمة التي أصبحت شهيرة ستغدو أكثر شهرة لأنها قد تكون أول محاكمة حالت الظروف الخاصة دون أن يقدم فيها الدفاع أدلة نفي فكان استناده على أدلة الاثبات ذاتها كافياً لدحض تهمة الادعاء .

وأصول المحاكمات تقتضي أن يستند قرار المحكمة الى مرسوم الاتهام ، بعد أن يحاول الادعاء اثبات الجرائم المنسوبة الى التهم اذا وجدت حقاً قرائن تكفي لتجريمه ، وأن يحاول الدفاع اثبات العكس .

ومرسوم الاتهام الصادر في ٢٠ تموز ١٩٦٧ يأمر بمحاكمة « ريجي دوبريه » جنائياً بجرائم القتل والسرقة والتمرد ، وفقاً لأحكام قانون العقوبات العسكري وقانون العقوبات العادي . فلننظر في هذه الجرائم :

القتل :

المادتان ٢٥٧ و ٢٥٨ في قانون العقوبات العسكري تعرفان جريمة القتل بأنها ابادة حياة بشرية ارادياً ، وعن سابق تصور وتصميم،ومع الأسباب المشددة التالية :

١ ــ ان يكون القاتل قد تلقى هبة أو وعداً بهبة .
٢ ــ أن يتم القتل بنتيجة شرك منصوب .
٣ ــ أن يكون قد تم غدراً وخيانة بعد اعطاء ضمانات معاكسة .
٤ ــ ان يقع باستخدام السّم .
٥ ــ ان يقع بتفجير لغم .
٦ ــ ان يقع بالتعذيب أو بأي عمل وحشي أو أن يلحقه تشويه للجثة.
٧ ــ ان يتم بقصد ارتكاب جريمة أخرى .

وعلى الرغم من أن هذه الأساليب ليست أبداً من النوع الذي يُعقل صدوره عن رجل في مثل خصال « ريجي دوبريه » وبُنيته الجسدية ، يرى الدفاع من واجبه أن يحللها بايجاز كيما نتبين هل تدخل أعمال حركات المقاومة في اطار المادتين المشار اليهما .

ان تحليل البينات السابق عرضها يوضح بالتأكيد ان معركتي ٢٣ آذار و ١٠ نيسان قد وقعتا بين فئتين مسلحتين ، وان الجيش الوطني كان على علم بوجود محاربين في المنطقة ، بدليل تسليح وتنظيم الوحدة التي خرجت تبحث عنهم.

وبالتالي نستبعد افتراض وجود شرك منصوب لفئة غير مسلحة ، اذ الواقع هو العكس ، لأن الوحدة العسكرية كانت في دوريتها تستهدف الالتقاء بمحاربي حركة المقاومة .

وحركة المقاومة المسلحة،وان تكن لا تزال غير مشروعة في فقهنا ، هي واقع لا سبيل الى نكرانه في بلدان عديدة من أمريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا ، ولا سيما في البلدان الأكثر تخلفاً . وهي بطبيعتها نشاط مسلح وسري ، لا يهدف أبداً الى الكسب الشخصي بل — على العكس — الى احداث تغييرات اجتماعية وسياسية ضخمة ، وان لم يكن العنف أفضل السبل الى هذا الهدف .

ومن يجد نفسه أمام الواقع ، أيها السادة القضاة ، لا يملك الا حلاً واحداً : هو أن يواجهه ، على الصعيد السياسي أو العسكري ، وفقاً للظروف .

وأنتم الضباط العظام في هذا الوطن ، وبالتالي تعرفون تاريخ التقليد الطويل لحركات المقاومة المسلحة منذ حرب الاستقلال ، فلا يمكن الا أن توافقوا الدفاع على أن عمليات « فرسان الجبال » التي قام بها كبار أبطالنا كانت هي الأخرى حركات عصابات مسلحة في الوسط الذي نشأت فيه ، وان نتيجتها المباشرة كانت التحرر الواقعي الفعلي من نير الاستعمار ، وولادة البلدان التي تؤلف اليوم جماعة جمهوريات أمريكا اللاتينية . و « فرسان الجبال » ، الذين كانوا بالأمس رجال عصابات، هم اليوم أيها السادة أبطال استقلالنا وآباء وطننا العظام .

بل ان تاريخ العصابات المسلحة في بلدنا ، أيها السادة القضاة، لاينتهي هنا ، بل يمتد الى أحداث تاريخية قريبة العهد نسبياً ، برغم أننا نحاول أن ننسى أن عصابات مسلحة وجدت خلال حرب «الشاكو» ، تحت اسم « لصوص الماشية » ، وأسماء أخرى خلدها التاريخ وحفرت ذكراها في الوجدان الشعبي .

والادعاء يحاول اقامة صلة بين أحداث « نانكاهواسو » و « ايريبيتي » وبين الوضع الشخصي لموكلي ؛ وانطلاقاً من افتراض اشتراكه في تنظيم

هذه الأحداث وتنفيذها ، بالاستناد الى بيّنات غـير صحيحة ، يطلب ادانته بتهمة القتل العمد .

اني أتساءل ، أيها السادة القضاة : أية بيّنة قدمها الادعاء تثبت أن « ريجي دوبريه » قـد قتل شخصاً ما ؟ أين هو البرهان الذي يثبت وجود موكلي أثناء الكمائن ؟ لا وجود لهذا البرهان يا سادة . إذا استطاع أحد أن يؤكد أن موكلي استخدم سلاحاً ما ، أو حاول الاعتداء على شخص ما ولو بغير سلاح ، فاحكموه أيها السادة القضاة . ولكن، إذا لم يقم الدليل على ذلك ، فالعدالة تقتضي تبرئته من هذا الجرم .

ولست أستبعد أن يلجأ النائب العام، في مطالعته النهائية ، الى التخمين بأن موكلي قد اشترك في أعمال رجال المقاومة بصورة غير مباشرة وغير شخصية ، وان يطلب ادانته بجريمة التحريض على هذه الأعمال . ولكن احتمال هذا التأويل الخاطىء تحول دونه كل البيّنات التي تم استعراضها، والتي تبرهن عـلى أن قيام حركة المقاومة وتنظيمها وتحصين معسكرها وحراسته ، وكذلك تسمية قائدها الأعلى ومعاونيه العسكريين والسياسيين، كل هذا تمَّ قبل وصول « ريجي دوبريه » وقبل اطّلاع المحاربين على كتابه . وليس في كل هـذه البيّنات ما يصف « دوبريه » بأنه كان يحرّض أو يقود أو ينظم أو يرشد أو يتدخل تدخـلاً مباشراً أو غير مباشر في كل ذلك .

و « ريجي دوبريه » خلال مقامه وتنقلاته في بوليفيا ، يقول عن نفسه انه فيلسوف وأستاذ فلسفـة وباحث اجتماعي وصحافي وسينمائي . هذه القائمة من الأوصاف تبدو ضخمة لأول وهلة ، ولكن بعض التفكـير يدلنا على انه يمكن لشخص واحد أن يمارس فعلاً كل هـذه الأنشطة المتجاورة . وإجازته في الفلسفة من دار المعلمين العليـا في باريس تشهد على ذلك . إن « ريجي دوبريه » لم يعزُ لنفسه هذه الألقاب اعتباطاً :

فالفيلسوف يستطيع أن يعلّم الفلسفة ، للآخرين ، وعلم الاجتماع أخ للفلسفة . أما انه صحافي وكاتب فآثاره تثبت ذلك ، ويثبته المدعي العام أيضاً حين يقدم لكم بين أدلّة الاتهام كتابه «ثورة في الثورة» وعدداً آخر من المنشورات في مجلات عالمية مثل « الأزمنة الحديثة » في باريس و « الحوادث » في مكسيكو . بل ان هناك بالاضافة الى هذا ، أيها السادة القضاة ، شيئاً لا نستطيع نكرانه لأننا رأيناه ولاحظناه طوال هذه الدعوى : هناك هذا العدد الضخم من الصحافيين والكتاب والمراقبين الذين جاءوا الى بوليفيا من مختلف بلدان أوروبا وأمريكا اللاتينية ، مواطنين من القارتين غرباء عن أية « ايديولوجية » ماركسية ، يلتقون هنا وقد جاءوا من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا وبلجيكا واللوكسمبورغ وغيرها من بلدان أوروبا الغربية ، ومن الولايات المتحدة الأمريكية قائدة الكفاح ضد الشيوعية ، بالاضافة الى من جاءوا من جمهوريات أمريكا اللاتينية : من كولومبيا والاكوادور وبيرو والشيلي والأرجنتين والاوروغواي والبرازيل وغيرها . هؤلاء جميعاً ، مواطنو الحكومات « الليبرالية » ، مَن الذي تحسبونه يجتذب اهتمامهم ؟ « دوبريه » الكاتب الأديب أم «دوبريه» السياسي المحارب ؟ إن الجواب واضح ، والمثل الاسباني القديم صحيح هنا : « الشمس الساطعة لا تحتاج رؤيتها الى نظارات » .

إذا كان « دوبريه » قد ارتكب جرماً ما ، فبالفكر . واذا كان المجلس الحربي يعتبر ذلك جريمة فليحكم عليه، ولكن هذا الحكم سيكون خرقاً فاضحاً للمادة ٧٠ من دستور الدولة البوليفية ، وهذا لا يمكن في رأيي أن يكون قصد المحكمة .

أما الخرائط الجغرافية التي اشتراها « دوبريه » باسمه الصريح وبطلب مكتوب ولقاء ايصالات فكيف تصلح دليلاً على جرم ؟ إن أياً كان يستطيع الحصول على مثلها إذا طلبها ودفع الثمن . ولا بد أن يخطر

فوراً على البال انه كان في وسع « دوبريه » أن يحصل عليها بواسطة شخص ثالث لو كان حريصاً على اخفاء هويته . ورجال المقاومة حصلوا على مجموعة كاملة من خرائط بوليفيا ، كما رأينا ، دون أن يحتاجوا إلى عون « ريجي دوبريه » .

والدفاع يرى ، أيها القضاة المحترمون ، ان هذا التحليل الموجز يدحض دحضاً تاماً عناصر اتهام « ريجي دوبريه » بجريمة التحريض ، ويرى من واجبه ان يجدد المطالبة بتبرئة المتهم من دعوى القتل ، سواء كفاعل أو كمحرض .

السرقة :

يؤكد الادعاء ان رجال العصابات ، في الحوادث المؤسفة التي وقعت يومي ٢٣ آذار و ١٠ نيسان، قد أساءوا معاملة الأسرى والجرحى والقتلى من جهة ، وانهم من جهة أخرى لجأوا الى النهب والسرقة .

والبينات التي عرضنا لها قبل قليل ، والتي تثبت ان « دوبريه » لم يشترك على أية صورة بالكمائن ولا بتنظيم العصابات ، تحرر المدعى عليه كلياً من هذه التهمة ، اذ ان الادعاء يهدف الى البرهان على أن رجال العصابات هم الذين قاموا بها . أما و « دوبريه » ليس منهم فليس لهذه الجريمة علاقة به ، كما يجب أيضاً تبرئته من تهمة السرقة المرفقة بممارسة العنف على الأشخاص ، والمعاقب عليها بالمادة ٢٤٥ من قانون الجزاء العسكري .

التمرد :

النقطة الثالثة والأخيرة من نقاط الاتهام هي جرم التمرد. والمادة ١٠٣

من نظام التأديب العسكري تعرّف هذه الجريمة بأنها انتقاض القوة المسلحة جزئياً أو كلياً على هدف تغيير شكل الحكم في الجمهورية أو قلب الحكومة الشرعية . والمادة التالية لها تحدد العقوبات التي ينبغي فرضها على من يثبت عليهم هذا الجرم، بحسب درجة الدور الذي يلعبونه فيه وهل هم عسكريون أو مدنيون .

وليست هناك حاجة للتوسع في فحص هذه التهمة، أيها السادة القضاة، ما دمنا قد سبق لنا الوصول الى القول القاطع بأن « ريجي دوبريه » لم يكن قائداً ولا منفذاً ولا محرضاً ولا شريكاً في منظمات مسلحة على هامش القانون ، وأنه بالتالي لا يمكن أن يؤاخذ على جريمة التمرد ، التي يجب أن يُبرأ منها أيضاً .

خاتمة :

على رغم مكاره الدعاية الضخمة التي أثيرت من حول هذه الدعوى، والمحاولات – المحكوم عليها بالفشل – التي بذلت للتأثير على نزاهة القضاة أعضاء المجلس الحربي ، سقط الاتهام واستطاع الدفاع أن يبرهن على ان المدعى عليه « ريجي دوبريه » لم يقم قط بقيادة حركة الكفاح المسلح أو بتنظيمها ، ولا كان مفوضاً سياسياً ولا جاسوساً ولا محارباً فيها ، ولا علّم أفرادها النظريات ، ولا كان يعرف منطقة معسكر العصابة قبل دخوله الى بوليفيا .

وهو اذا كان قد شارك في حياة المعسكر ، فقد فعل ذلك أخذاً بالأعراف المتبعة بالنسبة لكل شخص يَفِدُ اليه ، ولو كان غريباً عن التنظيم ، ولأنه اضطر الى البقاء وقتاً أطول مما كان يتوقع أن يحتاج اليه وفاؤه بمهمته الصحفية التي جاء من أجلها .

ولئن كان قد طلب من « تشي » ضمه الى عصابته ، فهذه رغبة

لم تتحقق ، ولا يمكن الحكم على الرغبات ، فكيف بمعاقبتهـا ؟ والبيان الذي أعلن فيه « دوبريه » للصحافة تضامنه السياسي والمعنوي مع رجال العصابات يجب أن يفسر بأنه مجرد إعراب عن ارادة ، دون ان تتحقق هذه الأرادة عملياً في فعل ، وهو بالتالي خارج عن النطـاق القضائي . انه ، حقاً ، يؤلف مسؤولية معنوية ، ولكنها ليست مسؤولية جنائية في أية حال .

خلاصة القول اني ، أيها القضاة المحترمون، بعد أن دحضتُ بالتحليل القانوني عناصر الاتهام ، أطلب منكم أن تلتزموا التطبيق العـادل للقانون فتصدروا قراركم بتبرئة موكلي « ريجي دوبريه » من الجرائم المنسوبة اليه.

ولتكن أرواح أبطال الوطن نوراً يهدي مناقشاتـكم ، ولتكن عدالة الله رائدها تدعمها وتسدد خطاها، حتى لا نسمع في مستقبل قريب الى صرخة اتهام جديدة يطلقها « اميل زولا » جديد .

راوول نوفيليو

الحكم في دعوى « ريجي دوبريه »

١ – حيث أن ....[1]

٢ – وحيث أن المجلس الحربي قد قَصَر دعوى القضية التي تشغلنا هنا على التحقق والتأكد من أمر جرائم التمرد والقتل والجرح والسرقة المنسوبة للمتهمين ، والمعرّفة والمعاقب عليها بالمواد ....،

وان مرسوم الاتهام يؤلف الأساس الحصري للدعوى وان المناقشات والتحقيقات خلال المحاكمة يجب ان تظل في حدود الوقائع الاجرامية المنسوبة للمدعى عليهم ؛

وانه رعاية لهذا المبدأ الحقوقي في الأصول الجزائية دارت المناقشات حصراً حول الحكم على المتهمين بالجرائم المذكورة اعلاه ، وذلك خلال احدى وعشرين جلسة عامة .

---

١ قيمة هذا النص ، التي يستحق من أجلها الترجمة ، هي في كونه يقدم الجانب « الرسمي » من الرأي في قضية الكفاح المسلح كما تراه الحكومة البوليفية (وكل نظام سائد) ، بعد أن ظهر الجانب الآخر ، « الثوري » ، في دفاع « ريجي دوبريه » أمام المحكمة . ولذلك حذفت من النص هنا ، بقدر الامكان ، كل الحيثيات الاجرائية والشكليات القانونية التي لا يبدو لها أثر في تلوين المحاكمة بلون معين . هذا بالاضافة الى قصر الحديث على « ريجي دوبريه » مع أن النص الكامل يشمل المتهمين الآخرين بالطبع . (المترجم)

٣ — وحيث أنه ....

٤ — وحيث أن الدفاع عن المتهمين « جول ريجي دوبريه »و«سيرو بوستوس روبرتو » كان في جلسة ٢٧ / ٩ / ١٩٦٧ قد اعترض على عدم صلاحيات المحاكم العسكرية ، وأن المجلس أعلن في بيان خاص ، بحكم اختصاصه وصلاحياته القضائية المستقلة ، رفض هذا الاعتراض ومتابعة نظر الدعوى .

٥ — وحيث أنه . . . .

٦ — وحيث أنه ، بعد تسوية الخلافات الاجرائية التمهيدية المشار اليها ، استمر نظر الدعوى في جلسات خاصة وعامة بحضور المجلس الحربي بكامل هيئته وحضور المستمع العسكري والنائب العام العسكري والمحامي العام والمتهمين ووكلاء الدفاع ، وهي جلسات تم فيها الاطلاع على البينات والأدوات الجرمية والتعرف عليها ، وافادات شهود الاثبات والنفي ،وتوثيق أدلة الاتهام التي قدمت خلال مرحلة التحقيق في المحاكمة، ودراسة تقارير الخبرة ، ثم استمع الى أقوال الادعاء والدفاع الشفهية ، ثم انتقل المجلس — تطبيقاً للاجراءات المنصوص عليها في قانون الأصول الجزائية العسكرية — الى المناقشة والتصويت حول قضايا الوقائع والقضايا الحقوقية ، وانه يتضح من هذا أن المجلس قد التزم خلال المحاكمة بكل الشكليات التي ينص عليها القانون وعمل في حدود الصلاحيات الاجرائية الممنوحة له بالدستور والقوانين .

٧ — وحيث أن الأطراف قدمت البينات التالية ....

٨ — وحيث أنه ، قبل مباشرة الدراسة الكاملة للبيّنات المتجمّعة في الملفات ، ينبغي البدء بتوضيح بعض الاعتبارات ذات الطابع الحقوقي ، لأن ما يحاكم هنا هو جرائم سياسية متصلة بالحق العادي وخاضعة لاختصاص القضاء العسكري ، وينبغي بصورة خاصة تحديد معاني بعض الكلمات

التي ، برغم أنه لم يَرد لها تعريف دقيق في القانون ، أصبحت جزءاً من الواقع الراهن وأصبحت لها دلالة عالمية ، مثـل مصطلح « الكفاح المسلح » أو « حرب العصابات » التي يقوم بها «المحاربون» أو « رجال العصابات » ؛ وحيث أن الاسلوب الجرمي قد فرض نفسه على التاريخ الحديث بعد فرض الشيوعية بالعنف في كوبا ومحاولة بعضهم نشر نظامها إلى كل أمريكا اللاتينية ، هذا النظام المعروف باسم «الكاستروية الشيوعية» والذي يمثل حكماً دكتاتورياً تكون السلطة التنفيذية فيه مالكة للسلطة التشريعية أيضاً كما تنظم العدالة وتوجهها وتشرف الاشراف الكلي على الاقتصاد والتربية، منشئةً دولة مطلقة السلطان تتجاهل كل القيم الانسانية، وحيث أن « حرب العصابات » هي نهج العمل المتبع على هدف فرض « الكاستروية الشيوعية » بالقوة وتهديم أنظمة التمثيل الديمقراطي، بالاضافة إلى الظرف الذي يزيد من خطورة الأمر والناشيء عن أن حرب العصابات الآن تقاد وتنفذ في أمريكا اللاتينية من قبل عناصر جاءت من الخارج دونما رسالة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية من أي نوع ، مما يختلف اختلافاً كلياً عن روح حروب العصابات التي أدت الى استقلال « بيرو العليا » والتي تتميز بخصائص جلية يعترف بها التاريخ ؛ وحيث أن رجال العصابات يخالفون حق الشعوب في تقرير مصيرها فيتسللون الى أراض غريبة عنهم يفسدون بعض أبنائها ويعبئونهم ليحولوهم إلى مرتزقة، في خرق صريح للمادة الأولى من « الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية» الذي أقرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ١٦ كانون الأول ١٩٦٦، تلك المادة التي تنص على أن « كل الشعوب تتمتع بحق تقرير المصير» ، فتكون بموجب هذا الحق حرةً في اختيار نظامها السياسي وتتـدبر هي نفسها شؤون تقدمها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، وحيث أن حرب العصابات ، كما عرّفهـا أحد المنظّرين لها وهو أحد المتهمين « جول ريجي دوبريه » ، هي التنظيم السري لفئات مسلحة تنظيماً « يولد وينمو

في الخفاء » ، وفيه « يحمل المقاتلون أنفسهم أسماء مستعارة » ، وان هذه الفئات المسلحة تنشأ أولاً في المناطق الريفية « فتظل مختفية في البداية ثم لا تظهر إلا في المكان والزمان اللذين اختارهما قائدها » ، وتنظم في الوقت نفسه فئات أخرى في المدن تعاونها على صعيد التجسس والخيانة والارهاب والاضراب والتخريب وغير ذلك ؛ أما هدفها المباشر فهو كسب الوسط الجغرافي والانساني بكل الوسائل الممكنة ، أحياناً بالاقناع « عن طريق الدعاة الذين يستطيعون الامتزاج بالسكان كما يفعل السمك في الماء » ، وأحياناً بالقتل دونما تردد ولا وازع « لأن القوة الجسدية المحسوسة للشرطة والجيش مقدسات كاذبة لا يجرؤ الناس على مسّها ، والمقدسات لا تحطم بالخطب ، بل بالبرهان على أن الرصاص يخترق جسد الشرطي والعسكري كما يخترق أجساد سائر الناس » ، على أن يتم العمل « وفقاً لثلاث قواعد ذهبية : اليقظة المستمرة ، وسوء الظن المستمر ، والتحرك المستمر » ؛ وأما بعد ذلك ، بعد أن يتحقق هدفها بالامتداد عمقاً وانتشاراً ، فعلى المقاومة المسلحة أن تتحول الى « حرب شعبية شاملة » وأن تحطم نظام التمثيل الديمقراطي ، وتصفي مؤسساته ، وأخيراً أن تنتهي من آخر المدافعين عن هذه المؤسسات بمحاكمات شكلية سريعة أمام محاكم شعبية .

٩ ـ وحيث أن تشريعنا ، ولا سيما في قانون العقوبات العسكري ، يعرّف عصابة المقاومة التي نتحدث عنها بأنها « جماعة مسلحة منظمة تضم أكثر من عشرة أشخاص » ، ولما كان قانون الجزاء يلتقي مع هذا التعريف نفسه ثم ينص على « ان الفاعلين والرؤساء والمديرين والمحرضين في أي من هذه التشكيلات يعاقبون حتى لو لم يرتكبوا جرماً محدداً » مضيفاً أن « تطبيق هذه العقوبات ملزم دائماً » وأن « تنظيم العصابات المسلحة يؤلف جرماً في حد ذاته » يستوجب العقاب ؛ ويستتبع ذلك ـ في ما يتصل بالقضية الراهنة ـ ان المجرم الجنائي ليس شخصاً

محدداً بل هو كل عضو في عصابة مسلحة يقوم أفرادها بأعمال مختلفة تتراوح بين خدمات الحياة اليومية وبين التنفيذ المادي للجرائم المشار اليها، وما بين ذلك من تخطيط واعداد ومن تنظيم للاتصالات ومن دعاية « بالخطاب أو الكتابة أو التهديد أو المناورة » ، وينتج عن ذلك انه متى أخذ بهذه القاعدة ومتى تم البرهان على انضمام شخص ما الى العصابة فان هذا الشخص يصبح بالضرورة مسؤولاً عن جرائم هذه العصابة ، شأنه في ذلك شأن جميع أعضائها ، دون تفريق في درجة المسؤولية ، لا سيما وأن قانون العقوبات العسكري في كثير من مواده ينسب للشركاء نفس مسؤولية الفاعلين ويفرض نفس العقوبة على « حارس العصابة » ؛ كما ينتج عن ذلك انه ، متى تم اثبات قيام عصابة مسلحة منظمة واثبات الجرائم التي ارتكبتها ، ومشاركة شخص ما في نشاط الجماعة ، لا تعود هناك ضرورة للبحث تفصيلاً عما اذا كان هذا الشخص قد ارتكب هو نفسه هذه أو تلك من الجرائم ، لأن كل عضو في العصابة مسؤول جزائياً عن كل الجرائم التي ارتكبتها هذه العصابة اذ انها — وفقاً لتعريف القانون ذاته — انما ولدت ونظمت على هدف ارتكاب هذه الجرائم .

١٠ — وحيث انه بالتحليل القضائي ، وبالدراسة المفصلة للشهادات والبينات وتقارير الخبرة ، وبفحص الأمور التي تثبتها ، ينتهي المدقّق الى تقرير الوقائع التالية :

أولاً — منذ العام ١٩٦٦ ،وفي تواريخ غير معروفة على وجه الدقة ، أخذت عناصر أجنبية (كوبية مثل « كارلوس لونا مارتينيز » ،وارجنتينية مثل « سيرو روبرتو بوستوس » ؛ وارجنتينية — كوبية مثل ارنستو غيفارا « تشي » ، وفرنسية مثل « جول ريجي دوبريه » ، الخ ...) تدخل الى بوليفيا خلسة ، بعضهم بصورة غير قانونية ودون أوراق ،

وبعضهم يحمل جواز سفر أو يحمل وثائق مزورة أو يتنكر باسم مستعار، ولكنهم جميعاً يهدفون الى تنظيم جماعات غير مشروعة من طراز العصابات مهمتها استخدام كل الوسائل الممكنة بما في ذلك السلاح والعنف بغية هدم « شكل الحكم القائم على التمثيل الديمقراطي » في الجمهورية البوليفية، معتدية بذلك على « سيادة الشعب الموكلة نيابة عنه الى السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية » كما تنص على ذلك المادتان ١ و ٢ من الدستور ، وفي خرق صارخ للمادة الرابعة من هذا الدستور نفسه ، القائلة : « الشعب لا يناقش ولا يحكم الا من خلال ممثليه وبواسطة السلطات التي أنشأها القانون . وكل قوة مسلحة أو جماعة من الأشخاص تمنح نفسها سيادة الشعب ترتكب جريمة » .

ثانياً — على هذه الغاية ، أخذ الأعضاء الأجانب في العصابة المسلحة يرتبون تفاصيل عملهم بالتجول في مناطق واسعة من أرض الوطن ليدرسوا تلك التي يمكن أن تصلح أكثر من سواها لأغراضهم : انشاء المعسكرات أولاً ، ثم تنمية قوة العصابة، وأخيراً الهجوم الثوري العسكري والسياسي. وعلى هذا الهدف حصلوا على خرائط جغرافية مفصلة ، تتعلق بمناطق جبلية تلائم طبيعتها غرض اقامة المعسكرات ، ثم زاروا المواقع، واشتروا أراضي ليجعلوا منها قواعد لرجال العصابات ، في « بويرتو ليناريس » وفي « بيلين » ، وقرروا أخيراً الاقامة في منطقة « نانكاهواسو » في محافظة « سانتاكروز » ، دون أن يعني ذلك استبعادهم لاحتمال فتح جبهات أخرى للنشاط الثوري في مناطق أخرى .

ثالثاً — وفي هذه المنطقة التي اختاروها اشتروا يوم ٢٦ آب ١٩٦٦ مزرعة « رمبرتو فيليا » بواسطة أحدهم « روبرتو بيريدو ليفي » الذي يلقبونه « كوكو » ، والذي قتل فيما بعد خلال اشتباك مع قوى الأمن .

رابعاً – ان قاعدة عملياتهم الأولى كانت المنزل المبني في الأرض المشتراة في « نانكاهواسو » ، والمعروف باسم « بيت كالامينا » ،حيث كان يتوافد الرؤساء والمتطوعون أجانب ومحليين ،كما كانت تصل المآكل والثياب والذخائر ، بأقصى قدر من السرية ، وفي الليل بصورة خاصة، مما أثار شكوك سكان المناطق المجاورة ، الذين حسبوهم أول الأمر يتعاطون صناعة المخدرات سراً .

خامساً – انطلاقاً من « بيت كالامينا » شقّ رجال العصابة دروباً نحو شمال المنطقة ، حيث بنوا تحت الأرض مستودعات حسنة التوزيع محجوبة عن الأعين ، استطاعوا أن يخزنوا فيها الأسلحة والذخائر والأدوية والمآكل والثياب ، بالاضافة الى أجهزة الارسال والالتقاط .

سادساً – ان نوع الأسلحة المكتشفة ومقدارها يدلان على ضخامة العون الأجنبي لرجال العصابة ، الذين كانوا دائماً يستخدمون الذخائر باسراف ولا يستعملون الا قذائف ذات قوة تخريبية ضخمة ، من تلك التي تحرمها الاتفاقات الدولية .

وهذه الوقائع التي عددناها تبدو الآن في جلاء مطابقة لتلك التي تؤلف جريمة التمرد العسكري التي يعاقب عليها القانون .

١١ – وحيث ان هذه الدعوى جنائية عسكرية ، تنظر في جرائم توصف بأنها سياسية كالتمرد ، وفي جرائم أخرى عسكرية عادية كالقتل والجرح والسرقة ، ارتكبت « في المرحلة الهجومية الثورية ، السياسية والعسكرية معاً » كما يقول المتهم « دوبريه » في كتابه ، فان هذه الجرائم المختلطة تدخل هي الأخرى في اختصاص القضاء العسكري الذي ينص قانونه على انه « فيما يتعلق بالجرائم العادية التي قد ترتكب أثناء التمرد ، يكون فاعلوها مسؤولين عنها على قدر اشتراك كل منهم فيها » ...

١٢ ــ وحيث ان قوى العصابات المسلحة ، بعد أن انتهت من اعداد مُقامها وتهيئة ميدان عملها ، بدأت نشاطها الحقيقي ، الموجّه بالدرجة الأولى ضد القوى المسلحة الوطنية التي أنشئت بغية « حماية الاستقلال الوطني ، وأمن الجمهورية واستقرارها ، والشرف والسيادة الوطنية ، وضمان احترام دستور البلاد ، وضمان استقرار الحكومة المؤلفة بصورة شرعية، والمساعدة على تنمية البلاد » ، كما تقول المادة ٢٠٨ من القانون الأساسي ؛ وحيث أنه في يوم ٢٣ آذار ١٩٦٧ ، حوالي الساعة الثامنة صباحاً ، كانت الكتيبة التي يقودها « الماجور هرنان بلاتا ريوس » ، والجاهلة لوجود عصابات مسلحة متربصة بها ، تقوم بمهمة استكشاف عادية في منطقة « نانكاهواسو » ففاجأتها نيران متقاطعة وغزيرة صادرة عن أسلحة « أوتوماتيكية » ، فسقط عدد من الضباط والجنود قتلى أو جرحى دون أن يتسع الوقت لديهم للرد أو لمحاولة اللجوء الى مأمن ؛ وحيث أنه قتل في هذا الكمين الضابطان ... والجنود الأربعة ... والدليل المدني « ابيفانيو فارغاس » ، وجرح فيه الرقيبان ... والجنود الأربعة... وحيث أنه في ١٠ نيسان ١٩٦٧ وقع هجوم آخر في منطقة « ايريبيتي » قتل فيه الضباط الثلاثة ... والجنود التسعة ... ، وجرح فيه الجنود الستة ... ؛ وحيث أن المعتدين اختاروا ، للهجوم على القوات المسلحة، منطقتي « نانكاهواسو » و « ايريبيتي » ،الصالحتين كل الصلاح استراتيجياً لأغراضهم الدامية،إذ تقوم فيهما فجاج « ريو نانكاهواسو » التي يستحيل عبورها إلا مروراً من مجرى النهر نفسه ، إذ لا ضفة له ولا طريق من جانبيه ، بل جداران مرتفعان شاقوليان تقريباً ، يغطيهما دغل اختبأ المعتدون في أعاليه ، في منجى من الخطر ، متمتعين بمدى رؤية مفتوح تماماً على الأفق ، يتربصون منه بضحاياهم التي قتلوها وجرحوها غدراً بمهاجمتها وهي مطمئنة لا تتوقع الخطر ولا كانت متسلحة بما تقتضيه مواجهته ؛ وحيث أنهم أطلقوا النار على الضباط والجنود في ظهورهم

فكانت مباغتة لهؤلاء اضطروا معها الى محاولة الهرب ؛ وحيث أن المجرمين كانوا من قسوة القلب بحيث تركوا الجرحى يموتون مع أنهم كانوا يئنون ويطلبون إسعافاً طبياً كان في المستطاع نجدتهم به ، وبحيث كانوا يسخرون من جثث قتلاهم التي تركوها جيفاً متعفنة تنهشها العقبان بدلاً من أن يسارعوا الى دفنها ؛ وحيث أنهم بهذا النهج في السلوك لم يتحولوا من متمردين الى سفاحين فحسب بل ارتكبوا أيضاً جريمة القتل العمد بكل أوصافها التي يعرفها قانون العقوبات العسكري والتي كانت بموجب هذا القانون تستحق عقوبة الموت لولا أن المادة ١٧ من الدستور خفضتها الى حكم بالأشغال الشاقة ثلاثين سنة غير قابلة للعفو .

١٣ — وحيث أن المعتدين قد جردوا القتلى والجرحى والأسرى من ثيابهم وسلبوهم أشياءهم الشخصية من ساعات وخواتم ومال كما سلبوهم أسلحتهم وذخيرتهم ومعداتهم العسكرية ، مرتكبين بذلك جريمة السرقة التي يعاقب عليها قانون العقوبات العسكري .

١٤ — وحيث انه ، من تحليل سلوك كل من المتهمين وحالته الشخصية بالنسبة الى الوقائع الاجرامية ، يتبين :

أولاً — ان « جول ريجي دوبريه » وُلد في باريس يوم ٢ أيلول ١٩٤٠ . وبعد اتمام دراسته الثانوية دخل مدرسة المعلمين العليا في باريس ، وتخرّج منها أستاذاً في الفلسفة ، متخصصاً بعد ذلك في علم الاجتماع وتاريخ الفن . وبعد ذلك جال في كل أنحاء أمريكا اللاتينية تقريباً ، وبصورة خاصة في كوبا ، حيث ربطته صداقة وثيقة الى فيديل كاسترو . وقد دعي الى الاشتراك في هيئة مُحكّمي « بيت أمريكا » ، وبعد انتهاء المسابقة ظل في جامعة هافانا حيث علّم الفلسفة . وكان في نيسان ١٩٦٤ قد طُرد من « ليما » (بيرو) لأنه كان يحمل دعاية شيوعية ، فجاء الى بوليفيا . ثم عاد الى فرنسا . وفي تشرين الأول ١٩٦٦ عاد الى

بوليفيا فأقام فيها ثلاثة أشهر ، يتجول في محافظة « كاوبيليكان » وفي المناطق المنجمية الأكثر أهمية ، حسب تصريحاته ذاتها . وفي آذار ١٩٦٧ ، بعد أن تلقى تعليمات عديدة سواء من هافانا أو من باريس ، نقلها اليه أشخاص متعددون ، دخل بوليفيا مرة أخرى عبر «أنتوفاغاستا» (الشيلي) ، مستخدماً صفته كمثقف وصحافي ليتذرع بالقيام بمهمة تشمل أحاديث صحفية . وكان قبل ذلك ، عام ١٩٦٦ ، قد اشترى خرائط جغرافية لبعض مناطق بوليفية وخريطة للمواصلات والمياه . وفي مدينة «لاباز» ، بفضل كلمة السر التي أعطيت له في باريس ، تعرّف على شخص يدعى « أندريس » أوصله الى « لورا غوتيريز باهوير » ، التي يلقبونها « تانيا » ، والتي صحبته في اليوم التالي الى « كاميري » مروراً بمدن « اورورو » و « كوتشا بامبا » و « سوكري » ، يرافقهما واحد آخر من المتهمين ، كان يدعى « كارلوس آلبرتو فروتوسو » . وفي « كاميري » اشترى لباساً ملائماً لمناطق الأدغال ودخل أخيراً منطقة « نانكاهواسو » ترافقه « تانيا » و « فروتوسو » و «كوكو بيريدو» . فلما وصل الى المعسكر أعطوه بندقية م ـ ١ والذخيرة اللازمة لها ، بناء على أمر « رامون » ، وأخذ يقوم بنصيبه من نشاط المعسكر ويؤدي مهمات رجال العصابة المعتادة من صيد واستكشاف وحراسة في المراكز الثابتة او في الخنادق . وهذا تثبته افادات عدد من الشهود ، وهي افادات تضيف ان « الأوامر المعطاة للحراس كانت باستخدام سلاحهم عند الضرورة » و « باطلاق النار اذا رأوا جنوداً قادمين » . وتقول احدى هذه الافادات « ان الخندق الذي كان دانتون يقوم بالحراسة فيه قريب من المعسكر ، ولكنه نزل حتى موقع الكمين » . كذلك من الثابت ان « دوبريه » كان أحد أعضاء هيئة القيادة في العصابة ، وذلك استناداً الى افادة أحد الشهود والى قول « ارنستو تشي غيفارا » في دفتر يومياته الخاص : « أعطيتُ الفرنسي تقريراً شفهياً حول الوضع . وخلال

الاجتماع أطلقنا على الجماعة اسم جيش التحرير . وسيكون هناك تقرير عن الجلسة » . ويقول الشاهد « انطونيو دومينغيز فلوريس» : «صحيح ان القائد ناقش بعض القضايا مع الرفيق دانتون ، وانه بعد انتهاء نشاطه في المعسكر تلقى أمراً بمغادرة المعسكر لينظم في فرنسا وفي كوبا شبكة لاعانة الحركة » .

والمتهم « ريجي دوبريه » يبني دفاعه على مجرد القول بأنه لم يأت الى بوليفيا ولم يدخل منطقة رجال العصابات الا ليحاول الحصول على حديث من غيفارا وليكتب تقريراً صحفياً عنه ؛ ولكن من تحليل وثائق الدعوى يتبين انه :

آ) لا يوجد أدلة قانونية على هذا القول ، لأن الشهادات التي قدمها الدفاع والتي تصف المتهم بأنه محرر في بعض المجلات الأمريكية والفرنسية وأنه خريج مدرسة المعلمين العليا الفرنسية وأنه اشترك في تصوير « فيلم» عن فنزويلا عام ١٩٦٣ ، هذه الشهادات لم تقدم وفقاً للقانون لأنها وثائق خاصة صادرة عن أشخاص لا صفة رسمية لهم ودون أن يتم ما تقتضيه الأصول من التصديق الرسمي عليها ، وهي بالاضافة الى ذلك أضعف في أية حال من أن تدحض أو تُوهيَ البينات الأخرى التي تجرّم المتهم . كما انه إذا حاول تبرير نشاطه بصفته الصحفية فانه لا يعود قادراً اذ ذاك على تبرير اخفاء هويته الشخصية واستخدام اسم «دانتون» المستعار ، وهو اسمه كمحارب في العصابة .

ب) بين الأمتعة الشخصية التي صودرت من « ريجي دوبريه » لدى اعتقاله ، عُثرَ على دفتر مذكرات لا توجد فيه أية اشارة غير مباشرة أو اصطلاحية الى قيامه بتحقيق عن « غيفارا » مع أن الملاحظ هو أن رجال العصابات مهما ضؤلت ثقافتهم كانوا يسجلون بالتفصيل أتفه وقائع حياتهم في المعسكر .

ج) لم يعثر بين أمتعة « دوبريه » على آلة تصوير ولا على «أفلام» يمكن الاستشهاد بها على هذه المقابلة .

د) كذلك لا يعقل أن يكون « دوبريه » الذي يُفترض أنـه دخل منطقة العصابات للقيام بمشروع محدد هو التحدث الى « تشي غيفارا » ، قد بقي الى جانبه وقتاً أطول من ذلك الذي يُفترض لزومه مهيناً لأداء هذه المهمة الصحفية .

هـ) بل ان دعوى المتهم عدم اشتراكه في العمل المسلح،التي تمسَّك بها في البداية ، تبدو أكثر مجافاةً للمنطق حين ندرس تنقلاته في بوليفيا، هذه التنقلات التي لا شك في ان « الكاستروية الشيوعية » قـد خططت لها مسبقاً ، لا سيما وان « دوبريه » لم يستطع أن يقدم تبريراً معقـولاً للخط الـذي سار عليه في أسفاره ، ابتداء من المناطق المنجمية حتى المناطق الدغلة في أرضنـا ، بينما كان ينجح في الحصول على خرائط مفصلة من المؤكد أنها عديمة الأهمية من وجهة النظر الاجتماعية أو من حيث التكوين البشري ولكنها بالمقابل بالغـة النفع لمن يتطلع الى تنظيم بؤر سريـة لحرب العصابات ، متقصداً استخدام مناطق كثيفة الشجر ومنحدرات وعرة وفجاجٍ ضيقة عميقة ، هدفـه الوحيد منها أن يباغت قوى الأمن ويحاصرها ويقتلها .

و) في دفتر يوميات « ارنستو تشي غيفارا » نجد تفاصيل الأشخاص المحيطين به واتصالاتهم وبلاغاتهم وخططهم وتقاريرهم ، الخ ... ومع ذلك لا نجد أية قرينة توحي بأن « دوبريه » كان مدعواً بوصفه صحفياً فحسب في مهمـة قصيرة ، بل نجد على العكس (كما تشير يوميات ٢١ آذار) انه انما جاء الى المعسكر ليبقى فيه . واعترافات « دوبريه » نفسه تبرهن على انه جاء الى بوليفيا لغرضٍ سري ، بدليل انـه اتبع نفس المسارات ونفس التعليمات وقام بنفس الاتصالات التي قام بها المحاربون

الآخرون ، وهو أمر لم يكن ليحتــاج اليه في الأحوال الطبيعية لا سيما اذا كان حقــاً كما يزعم في افادته قد أقام روابط صداقة كثيرة في بوليفيا . ومن هذا يمكن أن نستنتج أن « دوبريه » ظن ان الوقت قــد حان ليطبّق عملياً ما كان درسه طويلاً على الورق ، بما في ذلك خطط « التكتيك » و « الستراتيجية » العسكرية ، وليبرهن بالوقائع على ان « القوة الجسدية للجيش والشرطة هي مقدسات كاذبـة ، وان المقدسات الكاذبة لا تحطمها الخطب بل الرصاص » .

ز) ان الذريعة التي استخدمها « دوبريه » دفاعاً عن نفسه ، وهي كونـــه لم يعتقل أثناء معركة بل بعد خروجه برفقـــة « سيرو روبرتو بوستوس » و « أندرو روث » ، حليق الذقن في عنايـــة ، لا يحمل سلاحاً ولا يرتـــدي لبوس الحرب ، هذه الذريعة يبطلها كون « تشي غيفارا » نفسه هو الذي اختاره ليؤدي مهمة خاصة،اذ رأى أنه سيكون أكثر فائدة اذا ظل صانع نظريات يحرّض على جرائم القتل والعصيان؛ و « تشي » هو نفسه يقول في يومياته : « لقد جاء ليبقى ، ولكني طلبت منه ان يعود ليقوم بتنظيم شبكة عون لنا في فرنسا ، وأخرى في كوبا أثناء مروره بها . »

ح) أما إصرار الدفاع على تصوير خروج « دوبريـه » من المعسكر وكأنه دلالة عــلى عدم تضامنه مع رجال العصابة فيفتقر هو الآخر الى أساس مقنع ، اذ من الثابت أن خروجه كان يؤلف جزءاً من عمليـة تقوم بها العصابة ، كما تدل على ذلك يوميات « تشي » الذي يقول في ١٤ نيسان : « صورة العمليـــة ليست واضحة في ذهني بعد ، ولكن يبدو لي من المناسب اخراج الجميع والقيـــام ببعض العمليات في منطقة (موجو بامبا) لنتراجع فيما بعد نحو الشمال . وإذا كان ذلك مستطاعاً، يخرج دانتون وكارلوس باتجاه (سوكري) و (كوتشا بامبا) ، تبعاً

للظروف » ؛ وهذا القول يؤكد كون « دانتون » قد استغل وجود « روث » لكي يزيد من تغطية خروجه ، كما يتبين بوضوح في اليوميات نفسها حيث يقول « تشي » : عرض الفرنسي المشكلة للانكليزي ، وأوضح له أن مساعدته لها على الخروج ستكون دليلاً على سلامة نيّته، فقبل الانكليزي الشروط ، وفي الساعة ٢٣ و ٤٥ دقيقة ، بعد أن صافحني الثلاثة ، بدأوا مسيرة الرحيل » .

ط) بعد ان ظل « دوبريه » يتشدد في انكار وقائع لم تلبث أن تثبت صحتها خلال المحاكمة بفضل اكتشاف وثائق كثيرة تتهمه، انتهى بالاعتراف (في رسالته المفتوحة التي نشرتها جريدة « الدياريو » وفي دفاعه الشخصي) بمشاركته الجرمية في الأفعال موضوع هذه الدعوى . ولئن كان الاعتراف ذا قيمة نسبية فحسب في القضايا الجزائية ، فان هذه القيمة تصبح كاملة ومطلقة حين يكون مؤيداً ببيّنات أخرى كما هو الحال هنا ، حيث نستطيع بالتالي تطبيق مبدأ عدم تجزؤ البيّنة ، هذا المبدأ الذي تقود آثاره الى نتائج أبعد ، إذ يستحيل ان نفترض ان هذه البيّنة يمكن ان تكون لصالحه في ما ينكره ، ما دامت تعني ضمناً مسؤوليته عن الأفعال المدانة ، وخصوصاً حين يتجلى بوضوح من وثائق الدعوى انه ارتكب جرائم اخرى غير جريمة التمرد،مما يحمّله مسؤولية إجمالية ولكنها في الوقت ذاته مسؤولية ينبغي النظر اليها من وجهة مزدوجة فلا ننسى ان اهمية الجرائم العسكرية العادية هنا تغطّي واقعاً ذا سمة سياسية ظاهرة . ثم ان هناك وفقاً لقوانيننا ثلاث فئات من الفاعلين : بالتنفيذ، وبالمشاركة ، وبالتحريض . ونستنتج على ضوء الأفعال التي ذكرناها ان « جول ريجي دوبريه » فاعل شريك ، وفقاً لهذه الفئات الثلاث ، في الجرائم المدانة هنا ، إذ انه حرّض عليها بكتاباته ، بما في ذلك من وجهة نظر « التكتيك » و « الستراتيجية » العسكريتين ، وبتعاليمه خلال الحملات المسلحة . فمبدأ « العنف النافع » ، المطبّق عادةً في

اعمال العصابات المسلحة ، يعادل التحريض الجرمي ، ولا سيما التحريض على جرائم كالقتل وغيره يُعد ويُنظم استهدافاً لها ما يسمونه «الكمائن». والايمان بالعنف سبيلاً لبلوغ هدف سياسي يقود الى سلوك واضح الأذى يخضع للفقه العسكري العادي، الذي ينص على انه متى تم وقوع الأحداث فالفاعلون بالتحريض او المشاركة او التنفيذ يستحقون على السواء العقوبات المنصوص عليها في قانون العقوبات العسكري المعمول به . ولا يحط من دور « دوبريه » كفاعل شريك انه لم يُرَ وهو يطلق النار على ضحاياه، إذ ان المهمات التي كان يؤديها تتساوى في اهميتها – باعترافه هو نفسه – مع مهمات المحاربين ، مؤكداً ان عمل الطاهي نفسه جوهري في حرب العصابات باعتباره يخفف الأعباء عن كاهل المحاربين .

وبالتالي ، ولما كانت الوقائــع ثابتة بصورة واضحة ، نستنتج ان « جول ريجي دوبريه » فاعل شريك في جرائم التمرد والقتل والجرح والسرقة ، التي تعرّفها وتعاقب عليهــا المــواد ... من قانون العقوبات العسكري عملاً بالمادة ١٧ من الدستور . ولما كان لا يمكن الحكم عليه في وقت واحد بعقوبات جسدية متمايزة ، اذ تحرّم ذلك المادة ٥٤ من القانون المشار اليه ، فانه يستحق أعلى هـذه العقوبات ، وهي في هذه الحالة بالذات عقوبة ثابتة ، وبالتالي لا حاجة لدراسة الظروف المشددة أو المخففة التي نص عليها القانون .

. . . .

٢٢ – وحيث انه، بعد ان تم تحليل وضع كل من المتهمين واثبات هذا الوضع بالنسبة الى الوقائع موضوع المحاكمــة والبينات التي قدّمها الادعاء والطرف المدني والدفاع ، من الضروري ان يكون واضحاً ان

تقدير الشهادات في الدعاوى الجزائية متروك للمحكمة التي تقوم به في حرية ومستوحية ضميرها ، بعكس ما يجري في الدعاوى المدنية ، اذ ان افادة صادقة يدلي بها شاهد واحد قد تكون في الجزائيات أعلى قيمة وشأناً من افادات عديدة أخرى تتشابه ولكنها تسكت عن الحقيقة جزئياً أو كلياً . كذلك فان تقدير البينات المكتوبة ، في الجزائيات ، يعود أمره الى بصيرة المحكمة وحكمتها ، أي الى قناعة القاضي الحرة، بحيث يكون في مقدوره ان يقبل البينات او او يرفضها اذا رأى انها قد تطيل المناقشات دون ان تزيدها وضوحاً ومعلومات .

٢٣ – وحيث ان جميع المحاضر التي جمعت من اجل الدعوى قد تم استخدامها للتوصيف القانوني للوقائع المحققة في كل حالة خاصة من حالات المسائل المتصلة بالوقائع وبشأن كل من المتهمين، وان هذه المسائل قد دُقّقت وتم التصويت عليها وعلى المسائل القانونية ايضاً ، بالتتابع وواحدة بعد واحدة .

٢٤ – وحيث انه قد طُرحت للتصويت المسألة الأولى المتصلة بالواقعة « آ » وبشأن المدعى عليه « ريجي دوبريه » ، وهي : « هل التهمة الموجهة اليه بأنه كان عضواً في عصابة مسلحة هي تهمة ثابتة عليه ؟ » ، فجاء الرد عليها ايجابياً بالاجماع . ثم أُعلن بالاجماع ايضاً ان هذه الواقعة التي تمّ ثبوتها تؤلف فعلاً جُرمياً، مع الظروف المشددة التالية : ارتكاب الجريمة مع سبق العمد ، وبوسائل مادية ضخمة ، موصومة بالغدر والقسوة والعنف والسفاهة ، وبقصد الربح المادي ، وبالاستعانة بأشخاص آخرين تملصاً من المسؤولية ، وانه نال بها أشخاص الأسرى واموالهم . ثم انتقلت المحكمة للتصويت على المسائل القانونية المتصلة بهذه الجريمة فتمّ بالاجماع تحديدها كجريمة تمرّد ، وتقريرُ ان العقوبة عليها هي تلك المنصوص عليها في المادة ١٠٦ من قانون العقوبات

العسكري . وبعد ذلك طرحت للتصويت المسألة الأولى المتصلة بالواقعة «ب» ، وهي : « هل الواقعة التي يتهمونه بها ، من انه قتل ضباطاً وجنوداً خلال كميني نانكاهراسو وايريبيتي يومي ٢٣ آذار و ١٠ نيسان، وذلك بوصفه مثقفاً كمحرض ، وبوصفه عضواً في جماعة مسلحة غير نظامية كمنفّذ مباشر ، هي تهمة ثابتة عليه ؟ » ، فجاء الرد عليها ايجابياً بالاجماع . ثم اعلن بالاجماع ايضاً ان الواقعة المشار اليها تؤلف فعلاً اجرامياً ، وانها مرفقة بالأسباب المشددة التالية : ارتكاب الجريمة عمداً مع سابق التصور والتصميم ، وبصورة غادرة،وعلى هدف ارتكاب جرائم اخرى . ثم انتقلت المحكمة الى التصويت على المسائل القانونية المتصلة بهذا الفعل الاجرامي ، فأجمعت على وصفه بأنه جناية قتل عمد، وعلى ان عقوبته هي تلك التي تنص عليها المادة ٢٥٧ من قانون العقوبات العسكري المعدّلة بموجب المادة ١٧ من الدستور . ثم طرحت للتصويت المسألة الأولى المتصلة بالواقعة «ج» ، وهي : « هل الواقعة التي يُتَّهم بها ، وهي انه استولى على أسلحة وذخائر ومواد اخرى ، بوصفه محرضاً ذهنياً او منفذاً مباشراً باعتباره عضواً في عصابة مسلحة ، هي تهمة ثابتة عليه ؟ » ، فجاء الرد عليها ايجابياً بالاجماع . وبالاجماع ايضاً أعلن ان الواقعة الثابتة المشار اليها تؤلف فعلاً اجرامياً ، كما انها مرفقة بالأسباب المشددة التالية : جريمة مرتكبة مع سابق التصور والتصميم ، وبالغدر والمخاتلة والعنف ، وبوسائل مادية ضخمة ، بقصد الربح المادي ، وبالاستعانة بأشخاص آخرين تملصاً من المسؤولية ، وانه نال بها من اشخاص الأسرى واموالهم . ثم انتقلت المحكمة الى التصويت على المسائل القانونية المتصلة بهذا الفعل الاجرامي ، فاتفقت بالاجماع على انه جريمة سرقة، وعلى ان عقوبته هي تلك التي تنص عليها المادة ٢٥٥ من قانون العقوبات العسكري . وبعد ذلك فوراً انتقلت المحكمة الى التصويت على المسألة الأولى المتصلة بالواقعة «د» ، وهي : « هل التهمة المنسوبة الى

جول ريجي دوبريه ، وهي انه جرح ضباطاً وجنوداً بوصفه محرضاً ذهنياً وبوصفه عضواً منفذاً في عصابة مسلحة ، هي تهمة ثابتة عليه ؟ » ، فجاء الرد ايجابياً بالاجماع . وبالاجماع أيضاً اعلن ان هـذه الواقعة التي تم ثبوتها تؤلف فعلاً اجرامياً ، كما انها مرفقة بالأسباب المشددة المتكرر ورودها أعلاه . ثم انتقلت المحكمة الى التصويت على المسائل القانونيـة المتصلة بهذا الفعل الاجرامي . فاتفقت بالاجماع على انه جريمـة جرح آخرين ، وان عقوبته هي المنصوص عليها في المـادة ٢٦١ من قانون العقوبات العسكري .

. . . .

لذلك ،

فان المجلس الحربي في محكمة القضاء العسكري ، المؤلف بصـورة شرعية وبوصفه المرجع الوحيد في إحقاق الحق بحكم السلطات الموكلة اليه ، وباسم الأمة

يصدر حكمه

معلناً ان كلاً من المتهمين « جول ريجي دوبريه » و « سيرو روبرتو بوستوس » قد ارتكب جرائم التمرد والقتل والسرقة ، ويحـكم عليهما بالعقوبة الجسدية :

ثلاثين عاماً مع الأشغال الشاقة

... ويعلن براءة المتهمـين « باستور باريرا كينتانا » و « فيسانتي روكابادو تيراسا » و « سالوستيو تشكوكشوك » و « سيرو آلفاراناز ليفي » ... ويأمر أن تصدر مذكرة التوقيف الرسمية للأولين وان يصدر امر اطلاق سراح الأربعة الآخرين

. . . .

نُطق بهذا الحكم ووُقّع وخُتم في كاميري، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٧ .



القسم الثاني

لقاءات ثورية
في أمريكا الجنوبية



- ١ -

خمسة عشر يوماً في فنزويلا
مع رجال المقاومة السرية

(١٩٦٣)

الطريق ترابي ولكنه يصلح للعربات . والسيارة موقوفة وقد أطفئت أنوارها ، ومن حولها صرير الجنادب كأنها المنشار ، والغبار المعلّق في الهواء البارد ، والصمت : انه منتصف الليل في الجبل . وضوء القمر يسمح لنا بتمييز الأشكال القريبة ، أما البعيد منها فيغرق فيه . والطريق منحدر ، وعلى أحد جانبيه جرفٌ حاد مظلم ، من حجارة وشجيرات دغل . وفي المنخفض أمامنا ، بعيداً جداً ، شريط من الأضواء هو مدينة « كورد » ، ومن ورائها البحر الكاريبي .

وفجأةً ترتفع صفرة ، ثم نأمة مهموسة ، وأخرى جواباً عليها ، فتتحرك شجيرات الدغل ، وتتدحرج الحجارة ، وينتصب على أقدامهم رجال : ثلاثة ، بل أربعة ، بل خمسة ، باللباس العسكري ، وفي يدهم

بندقيتهم ، ويقفزون الى الطريق العام . وأقول في نفسي : « كمين وقعنا فيه » ولكني أفاجأ برفاقنا يخرجون من السيارة،ويتجهون لاستقبال المهاجمين . وفي الظلام تنطلق الأسماء يتعارفون بها ، وتشد الأيدي بعضها على بعض ، بينما الرجال يتنسّمون الأخطار على الطريق . فأما الهابطون من الجبل فذوو لحى متفاوتة الطول،وأما الصاعدون من الوادي فوجوه نضيرة حليقة ، لم تتأقلم بعد مع الجبل . وسريعاً ، في فوضى اللقاءات وزلات الخطى والتجاديف المكتومة ، يتم تبادل الحمولة: الهابطون من فوق يعطون رزمة الرسائل والتقارير ، وأهل المدينة يخرجون من سيارتهم صفائح النفط اللازمة للقنابل المتفجرة ، والذخائر ، والبطاريات الكهربائية لمصابيح الجيب وأجهزة الراديو . وما تكاد تنقضي ثلاث دقائق حتى يهمس صوتٌ بأمر الرحيل ، فيتوزّع رجال الجبل على ظهورهم المعدات بعد أن وضعوها في أكياس من خيش ، وينتظمون في صفّهم ليبدأوا صعود الجرف ، بينما السيارة تستأنف رحلتها صامتة، وقد حُرّم علينا استخدام مصابيح الجيب لأننا مكشوفون في العراء .

هؤلاء الرجال الذين حسبتهم جنوداً من الجيش النظامي في كمين ، والذين يركضون الآن فوق الحجارة على ظهر كلٍ منهم ما يقارب العشرين كيلو ، ينتسبون في الواقع الى جيش آخر ، لم تكتمل له بعدُ الصفةُ النظامية ، هو جيش « القوّات المسلحة للتحرر الوطني » وهذا اللقاء هو أول اتصال لي بجبهة العصابات المسلحة في منطقة « فالكون ». ولكن لا يزال بيننا وبين معسكرها الأول مسيرة ساعاتٍ عديدة .

و « القوات المسلحة للتحرر الوطني » تقوم بمعركتها على جبهتين ، جبهة المدينة وجبهة الريف : تقسيم جغرافي و «تكتيكي» لجيش واحد، لا يغيّر شيئاً من ثبات هيكله العسكري : في القاعدة ، « وحدة القتال التكتيكية » تضم أربعة الى ستة رجال ؛ ثم السرية ، وتضم ثلاث

« وحدات » ؛ ثم الفصيل ، ويضم ثلاث سرايا ؛ ثم الكتيبة ، وتضم ثلاثة فصائل ؛ ثم الفرقة ، وتضم ثلاث كتائب .

ولقد كانت المقاومة المسلحة المدنية ، المميزة للثورة الفنزويلية ، أكثر جذباً للأنظار حتى الآن . وفي الخارج على وجه الخصوص لا يتحدث الناس الا عن غارات « القوات المسلحة المدنية » : من هجمات ارهابية على الطاقة الصناعية والعسكرية الأمريالية (أنابيب البترول ، والمصافي ، وسلاسل المتاجر الكبرى ، متاجر « روكفلر » وغيره) ، ومن اعتقال للعسكريين الأعداء (الكولونيل شينو) ، ومن احتجاز يستهدف الدعاية (دي ستيفانو) . ولكن الحديث أقل كثيراً عما تقوم به هذه « القوات المسلحة المدنية » من نشاط بعيد المدى : كمناوشة قوى القمع على هدف التعجيل بتثبيط عزيمتها وتفكيكها ، وكالاستيلاء على الأسلحة ، وتنظيم فرار المعتقلين ، واحتلال « الرانتشيتوس » (أي الأكواخ الضخمة التي تملأ ضواحي كراكاس) ، وتوزيع المؤن وألعاب الأطفال المصادرة من المتاجر الأمريكية . كل هذا هو « كراكاس الحمراء » ، حيث لم تعد الشرطة تجرؤ على المجازفة بارسال دوريات صغيرة ، بل أصبح لا بد للحكومة اذا ما وقع الاشتباك أن تبعث بنخبة قواها المزودة بالمصفحات والرشاشات ، وهي « الحرس الوطني »[1] تساعده الشرطة السياسية .

والفصائل المدنية في « القوات المسلحة للتحرر الوطني » تنشط أيضاً في الريف ، ولكنها فيه تغدو ثانوية الشأن بالقياس الى قوات المقاومة الريفية . بل هي في « كورو » و « بونتو فيخو » و « باركيسيميتو » تنضوي مباشرة تحت لواء المقاومة الريفية في « فالكون » و « لارا » . ذلك لأن أية جبهة من رجال المقاومة لا تستطيع الاستمرار طويلاً اذا لم

---

١ . F. A, C. ، أي القوى المسلحة المتعاونة .

تكن ذروة لهرم معقّد ؛ وهي بحاجة الى تنظيم سياسي عسكري مؤهل لتوفير الاتصال بين المركز المدني وبين الريف ؛ وهي أخيراً – في وسطها المباشر – بحاجة الى فئة من الريفيين المنظمين ، هي التربة المعطاء التي يستمد منها رجال المقاومة كل وسائل عيشهم . ثم ان هذه الصورة لا تكتمل – ولا سيما في فنزويلا – اذا لم نُضف ان بناء الهرم يتم في وقت معاً من الذروة ومن القاعدة ، وأعني بذلك – كما يوضح « تشي غيفارا » في مقدمة « حرب العصابات » – أن قيام بؤرة للمقاومة يستطيع التعجيل بخلق الأزمة الوطنية وباضرام الصراع الطبقي، كما يستطيع أن يدفع الى اقامة ذلك التنظيم السياسي العسكري وأن يكشف للفلاحين الثوريين عن ذواتهم . وفي فنزويلا تقوم حركة المقاومة منذ سنتين ، خلالها تكاثر عدد الجبهات (في « فالكون » و «لارا» و «تشارال») وما ينفك عدد جنودها في تزايد . صحيح ان « بيتانكور »[1] قد أعلن نبأ تصفيتهم بضع مرات ، وان آخر أكاذيبه التي أذاعتها مجلة فرنسية قد بشّرت للمرة السادسة بوفاة « دوغلاس برافو »[2] ، ولكن هذا تضليل كله، وقوى القمع هي التي منيت بخسائر فادحة (أيلول – تشرين الأول ١٩٦٣) ، بينما لم تخسر المقاومة ، على خطوطها الخارجية ، الا بضعة رجال .

وللصعود الى « فالكون » عليك أولاً أن تمر بالدرجة الثانية من هرم المقاومة : أعني بالتنظيم المدني . وللحركة السرية المدنية في «كورو» جهاز مستقل ، مهمته الخاصة تأمين الاتصالات مع المقاومة ، وكان من السخرية أن أعطى نفسه اسم الـ .C. I. A[3] . ذلك لأنه من المستحيل

١ رئيس جمهورية فنزويلا يوم كتب المؤلف هذه الدراسة . (المترجم)

٢ قائد حركة المقاومة في فنزويلا . (المترجم)

٣ .C.I.A هي الحروف الأولى من اسم « وكالة المخابرات المركزية » الأمريكية ، ولكنها هنا – بالاسبانية – تؤلف الحروف الأولى من كلمات « البريد والاعلام والتموين » . (المترجم)

مادياً ، حتى في جبل بالغ السعة يتناثر السكان في أرجائه، توفير كفاف العيش محلياً لفريق من المحاربين ، مع أن هذا العيش الكفاف شرط استمرارهم وعيشهم في هذا الوسط . فلئن كان القنص سبيلهم الى التزود باللحم ، وكانوا يستطيعون الحصول من القرويين على الذرة والموز والقهوة والسكر ، فمن أين تأتيهم الأدوية للمرض ، وقطع الغيار لأجهزة البث، والبطاريات لمصابيح الجيب ، والمولدات الكهربية للاتصال اللاسلكي ، والنفط للمتفجرات ، والزيت لصيانة الأسلحة ، والصحف ، والكتب للقراءة ولتعلّم القراءة ؟ كل هذا لا بد من الصعود به من المدينة على ظهور الرجال . فالفلاح الأمي ، الذي لا يملك كهرباء ولا راديو ولا سيارة ، والذي لا يُفترض فيه أن يداوي نفسه اذا مرض — وذلك وضع أكثرية سكان « فالكون » — لا يستطيع أن يذهب فيشتري هذه السلع من سوق القرية دون أن يفضح نفسه . كما أن من العسير على رجال المقاومة أن يتزودوا بالسلاح والذخائر لدى العدو ، على الأقل بوتائر تكفي لتلبية العدد المتزايد من المقاومين ولتعويض ما فسد من سلاحهم بفعل الرطوبة والاستعمال . ويجب أن نضيف الى كل هذا أمر شبكة أجهزة الالتقاط الموضوعة في المدينة . واذن كان لا بد من تنظيم مدني ، هو جهاز « البريد والاعلام والتموين » هذا ، الذي يعمل في ظروف بالغة الصعوبة ، لا تقارَن أبداً بظروف العمل في « كراكاس » ، حيث يسهل أن تظل نكرة وحيث تضمن تواطؤ سكان الأحياء الشعبية معك ؛ أما « كورد » — هذه الضيعة الكبيرة التي خلفتها أيام الاحتلال الاسباني والتي تغفو غفوتها المخادعة تحت الشمس فتبدو مقفرة نصف النهار — فكل الناس فيها يعرفون بعضهم بعضاً ويراقبون بعضهم بعضاً: كل وجه جديد فيها يصبح حديث الناس ، وكل عربة جديدة يسهل الاستدلال عليها ، والشرطي فيها « صديق » الشيوعي لأنهما جاران ، وقائمة قدماء المناضلين في الحزب تكاد تكون رسمية لأن الشيوعيين لم

يكونوا يحتاجون الى الاختفاء في أيام الشرعية التي ما تزال حديثة العهد. هذا الى أن كل أجهزة القمع لها فروع في « كورد » ، مركز منطقة العمليات : الشرطة السياسية ، والمكتب الثاني ، والجيش ، والحرس الوطني ، و « الضفادع » (الوشاة ذوي الثياب المدنية) الذين جيء بهم من كراكاس ليتسللوا الى المدينة تحت أكثر المظاهر براءة . وليس في «كورد» جامعة ، ولكن فيها عمالاً كثيرين : عمالاً فرضت عليهم البطالة المصفاتان المجاورتان في « كاردون » و « بونتو فيخو » ، اللتان خفضت شركتا « ستاندارد أويل » و « شل » ما فيهما من يد عاملة؛ وآخرين طردوا من عملهم بسبب انتمائهم الى « المنظمة الموحدة للعمال الفنزويليين »[1] ؛وعمالاً زراعيين أيضاً طردوا من الريف بعد أن افتقدوا أرضهم أو رهنوها ، لا يكادون يحصلون على كفاف يومهم بفضل ما يقومون به من تجارات صغيرة ليست كلها مباحة .

وجهاز « البريد والأعلام والتموين » ليس مسلحاً ، وإن كان عسكري التنظيم بوحداته الأساسية وسراياه . إنه خبير بالمنطقة أعمق خبرة، ولذلك كانت له مساربه الخاصة الى الجبل ، وان كان حين يستطاع يفضل أن يسلك نفس الطريق التي يسلكها كل الناس . سلاحه الوحيد هو الذكاء ، في هذه الحرب الغريبة التي يخوضها والتي عليه فيها أن يتفادى القتال . ففي هذه لحرب يكون العدو الرئيسي الذي ينبغي أن تظل العين عليه هو الذات : هو اتخاذ القرار المتهور،هو عدم التبصر في انتقاء وسيط ؛ أو في اختيار ملجأ في المدينة ، أو في الثقة برسول يسهل على العدو شراؤه ، أو في قبول متطوع غير مأمون ، أو في عطل غير محسوب يصيب العربة في اللحظة غير المواتية ، أو في كلمة لم يكن ينبغي أن تقال . وما يضمن أمن نشاط هذا الجهاز هو ما لدى مناضليه

---

١ التي تتعرض لأشد أنواع القمع .

من خبرة عملية رائعة بالمنطقة وتاريخها وطبقاتها الاجتماعية وعادات حياتها. هذا الى أن هؤلاء المناضلين المجهولين الصامدين ، وكلهم رب أسرة ، لم يشتركوا قط في معارك المقاومة وان كانوا قد قادوا اليها عشرات من المناضلين جاءوا من بقية أنحاء البلاد . إنهم لا يعرفون من الجبل إلا خطوط الاتصال ونقاط اللقاء المعتادة . وهم يتحدثون عن المقاتلين حديث الأصدقاء القدامى مع أنهم يكادون لم يروهم قط . فهم الوجه الآخر لحركة المقاومة ، وجهها الليلي الصامت ، ولكنها لولاهم لكانت على طريق الاختناق .

الصعود الى معقل المقاومة

بعد أيام طويلة من الاحتباس الاجباري في أحد المنازل ، جاءنا الأمر بالتحرك . وهو قد جاء أخيراً بعد أن أجّلوه عدة مرات ، بسبب حشود في اللحظة الأخيرة على طرقات الحرس الوطني ،أو بسبب تدعيم مفاجىء للتفتيش في « القُبالات »[1] .

جاءنا أعضاء من جهاز « البريد والإعلام والتموين » فأخذونا في سيارة . ثم انتقلنا من هذه السيارة الى أخرى ، فإذا نحن نلتقي الى جانب السائق متطوعين جديدين من أبناء « كورو » ذاتها ، نقطع معهما مسافة طويلة . ونجتاز « القبالات » المتوقعة دون عناء . صحيح أن التفتيش الرسمي مستمر على طول الطريق ، ولكن شارات غريبةً تملأ دربنا ، فإذا كانت هناك دورية معادية أو حاجز للتفتيش غير متوقع أبلغونا ذلك في الوقت المناسب . وعند منعطفٍ يهمس أحد الرفاق : ابتداءً من

١ « القبالة » كلمة اسبانية من أصل عربي (ولذلك فضلت استعمالها على حالها) تستخدم الآن في فنزويلا للدلالة على مراكز التفتيش والرقابة المنتشرة في الطرقات . (المترجم)

هنا ، نحن في الأرض الحرة من أمريكا » . هذا مع أنه لم يتغير شيء ، ظل الليل على حلكته والطريق الصاعد على عسره ، والأشجار المنتصبة كالأشباح تتكرر على الجانبين . أما ما تغير حقاً فكان يجب أن نكون وراء الأشجار كي ندركه . أما رفيقانا المقاتلان الجديدان فهادئان ، ولا يحملان من الأمتعة إلا « غياراً » واحداً في كيس من « البلاستيك » .

ثم كان ذلك اللقاء ، الذي ظننته كميناً ، مع أولئك الرجال الستة المرحين البسطاء . وبعده لم يكن لدينا متسع للكلام ، فقد كنا نسير على عجل بالغ . على أننا في صعودنا نقف أمام أحد المنازل القروية بجدرانه الخشبية وغرفته الوحيدة المسقوفة بالقش ، فنجد في انتظارنا رجلاً على عتبة بابه ، يأتي لاستقبالنا يخاطب المقاتلين بأسمائهم . وندخل لنحتسي القهوة ، فنرى أراجيح النوم المعلقة في عرض الغرفة بعضها فوق بعض ، وتستيقظ الأم والأطفال والجدان العجوزان فيحيطون بنا ، وفي ترحيبهم وفي ردود الآخرين مزيج عجيب من تبجيل الحفاوة ووداد الزمالة . ويقدمون لنا القهوة ، وواحدة من ثمار « الآفو غادد » قطعت ثماني حزز ، وجرعات من الماء لكل منا . ويخرج « تيري » قائد المسيرة حبة اسبيرين من جيبه لواحد من الأطفال تمضه الحمى ، ثم نستأنف صعود الجبل وعلى رؤوسنا بركة الله تجود بها علينا أدعية ربة الأسرة ، ونقضي ساعات الليل سيراً وتسلقاً وقفزاً وسقوطاً فوق الصخور القاطعة ، وقد بلغنا الآن قلب الغابة وأصبح في وسعنا أن نضيء المصابيح الكهربائية. ولنا على الطريق وقفة للراحة كل ساعتين ، ووقفات أكثر للترصد : نتوقف انصياعاً لاشارة من مقدم الركب ، حتى اذا سمعنا حركة وراء الأوراق أطفأنا المصابيح وأقعينا ساكنين في الظلام ، وتوغل قائدنا «تيري» في الغابة ليرى أهو قرد ما هناك أم خنزير بري . ذلك أن هذه الاستكشافات الصغيرة التي توقف السير لا تجري طلباً لحمايتنا ، بل لمحاولة العودة ببعض اللحم . فهذا أمر له من بالغ الشأن ما يعوض المجازفة بأن يفضح

الطلق الناري موقع القافلـــة . وينتظر الجميع مشدودي الأعصاب ، ثم تصدمهم خيبةُ الأمل ساعة يعود « تيري » خالي الوفاض ، معلناً أنـــه كان خنزيراً برياً ولكنه استطاع الهرب ، فأزداد أنا ادراكاً لأهمية هذا الصراع الدائم مع الطبيعـــة : ذلك أن « فالكون » ليست مثل « سييرا مايسترا » . هنا لا ماشية تربى ولا ثمار بلا حساب ، بل نبات بري خَطِر ، وأفاعٍ وسباعٌ جارحة ، وحيات مائية في المستنقعات. والأرض ناتئة غنية بالكسور ، بركانية ، رطبة باردة (لكثرة تهطال المطر) ، تقطعها الشعاب والمنحدرات المفاجئة والصخور الحادة التي تجرح السيقان والأيدي . والنـــاس لكي يقاتلوا مضطرون أولاً الى البقاء . فإذا أنت قضيت عمرك في باريس أو موسكو أو كراكاس لم تستطع أن تـــدرك أن كل حاجة حيوية تلبى ، كل قطعـــة من اللحم تلتهم ، كل ليلة تمضي دون حمى ، إنما هي نتاج يقظة مستمرة ، مقطبة دقيقة، في أبسط حركة ، وثمرة جهد عنيد دفاعي ووقائي تجاه البيئة المحيطة . من هنـا كان للصيد هذه الأهمية البالغة ، وكان يقتضي تربية للنظر والشم ، وتنبهاً دائماً يتيح لك التمييز الفوري بين أوراق تعبث بها الريح وبين قرد يمرق على ارتفاع ثلاثين متراً ، في ذرى الأشجار . بل إنهم هنا يصيدون حتى في الليل ، والأنوار مطفأة . وليس بين مآثر السلاح واحدة تعدل هذه المأثرة المستمرة : أن تأكل ، أن تشرب ، أن تبقى حياً ...

هذا الى أن عـــون القرويين ، من وجهة النظر المادية ، لا يساوي إلا ما يملك القرويون أن يقدموه . وهم في هذا الجانب من « فالكون» على درجـــة من الإدقاع والتناثر لا يملكون معها أن يقاسموك إلا النزر اليسير . وقسوة البيئة هـــذه تساعد المقاتلين على اكتساب مناعة جسدية استثنائية ، وحس انضباط فردي وجماعي لا بقاء لفريق المناضلين بدونه، وروح جادة ، مسؤولة ، فعّالة ، ملتحمة بالواقع .

ونبلغ المعسكر ، حيث كانوا في انتظارنا ، فإذا هـــو بقعة جرداء

في قلب الغابة ، تؤلف حصناً طبيعياً من صخور وأشجار ينفذ اليه المرء من مسالك حجرية أشبه ما تكون بفوهات المداخن ؛ والأراجيح فيـه معلقة بين الأشجار ، فارغة، بعضها فوق بعض ، كل اثنتين أو ثلاث منها تحت شجرة صحفية . أما الذين يستقبلوننا فوجوه لا نكاد نتبينها وقد أثملنا التعب ولم تحسن إضاءتها مصابيح الجيب ، ونثراتُ أصوات، وخبطاتٌ على الظهر ، ونساء — بدا لي طبيعياً أمرهن — يلبسن السراويل القصيرة ويضعن في أيدينا علباً لاهبة من علب المقددات تملؤها بقايا من خنزير بري قتلوه قبل بضعة أيام ، وقدح قهوة . وقد علمت فيما بعد أن الجميع يطبخون ، كل بدوره ، نساء ورجالاً على السواء .

ويضم المعسكر خمس نساء وحوالي عشرين رجلاً : معسكر موقت ، ليس فيه تجهيزات ثابتة ، ولكنه الآن مركز القيادة ، لأن فيه «دوغلاس برافو » . فلقد كانت القيادة قبلاً في منطقة أكثر ارتفاعاً في الجبل ، ولكن قنابل الطائرات هدمتها في صيف عام ١٩٦٣ وهم الآن يعيدون بناءها . هذا الى أن أكثر المعسكرات موقتة ومتنقلة . وكلٌّ بضعة منها ثلاثة أو أربعة — تؤلف « فصيلاً » ، فيه خمسون الى مئة رجل. وهذا مصدر سرعة حركة المقاتلين ، الذين ينتقلون من مقر الى آخر، ويحملون الأوامر الى داخل الفصيل ، وينطلقون في مهمات استكشافية ، ويحافظون على الصلة مع مركز المخابرات ، الخ ... ولهذا التبعثر سببان أولهما عسكري، وهو أن يتفادوا في غير أوقات الهجوم تجمعات مفرطة الضخامة تكون عرضة للحصار ؛ وثانيهما سياسي ، وهو أن يكثروا من بؤر التماس مع القرويين ليتوسعوا في عملهم الجماهيري .

أما عدد الفصائل على جبهة « فالكون » فرقمه الدقيق سر عسكري. وهو بعدُ غير قابل للمعرفة : اذ من يدري ، في معسكر ما، ان فصيلاً يبعد عنه عشرة كيلومترات قد استقبل أم لم يستقبل فوجاً جديـداً من

القادمين ؟ على أن المعروف انه كان هناك ، حين حوصرت منطقة « فالكون » للمرة الأولى (في كانون الثاني ١٩٦٣) ثلاثة فصائل تقريباً ، أصبحت سبعة أو أكثر في أيلول الماضي ، دون حسبان مقاتلي السهل ، المنظمين بصورة أكثر سيولة . أما الآن فقد ازداد هذا العدد من جديد . وهو أضخم كثيراً مما كان عليه عدد ثوار ٢٦ تموز في كوبا . وأياً كان الأمر فان أهمية حركة المقاومة لا تقاس بالأرقام الحسابية ، بل بالجماهير التي تنظمها وتشرف عليها ، وبصداها النفسي بين بقية الأهلين ، وبدرجة ما لها من مبادرة عسكرية . وهي أيضاً تقاس بما تثيره لدى العدو من انشقاق ووهن عزيمة . ان حركة المقاومة كقطعة الاسفنج : لا هذه توزن جافة ولا تلك تقاس بعدد رجالها المسلحين . والا فكيف نفسر نجاح « فيديل كاسترو » ولم يكن لديه عام ١٩٥٨ الا بضع مئات من الرجال ؟ ومتى يكتسب المرء ، في « فالكون » ، صفة المقاتل ؟ متى أصبح يملك سلاحاً ؟ ان بعض الفلاحين يملكون سلاحاً ويظلون مدنيين ، هذا بينما الأكثرية الكبرى بلا سلاح ، ومع ذلك فان اعطاء قِنْوِ موز أو رغيف خبز ، والمشي ساعات لنقل خبر عن تحرك بعض القوى العسكرية أو لتهريب بعض الرسائل ، هو اشتراك في المعركة المسلحة . بل هو اشتراك جاد كل الجد لأن الجنود في الطرف المقابل ، حين يطلقون النار أو يُلقون الناس في غياهب السجن ، لا يفرّقون بين أولئك الذين يقاتلون وأولئك الذين يبذلون عونهم دون سلاح .

انتقال الحزب الشيوعي الى الكفاح المسلح

كنا جلوساً من حول النار ، نلتهم كل ما يقدمونه الينا ، حين وافانا رجل لا يميزه شيء عن الآخرين : رُبْعةٌ رقيق ، أشقر اللحية خفيفها ،

صافي النظرة ، دقيق القسمات . انه « دوغلاس برافو » ، القائد الأعلى لجبهة « فالكون » ، واحدى أبرز شخصيات الكفاح المسلح في فنزويلا. هذا الى أن لكل معسكر قائداً ، يلتقي مع زملائه قادة المعسكرات الأخرى فيؤلفون معاً قيادة الفصيل ، التي تسمي مندوباً عنها يمثلها في هيئة الأركان العامة للجبهة في « ليوناردو تشيرينوس »[1] . ويرتدي « دوغلاس » بزة عسكرية كالآخرين جميعاً ، وقد طوى غطاء رأسه ووضعه بين أزرار قميصه ، دون أية شارة مميزة .

ولقد كنا محظوظين اذ لقيناه هنا ، فهو دائم التنقل من معسكر الى آخر (والقيادة معه) ، بحيث لا يتيح للعدو أن يعرف مقره ، وبحيث يشيع اللامركزية في القيادة ويظل على اتصاله مع كل المعسكرات . ولئن كانت حفاوته وكياسته تأسران على الفور ، فان هذا الحجاب الفض يخفي جلَداً وقوة بدنية استثنائيين ، ما كان في وسعه لولاهما أن يقوى على حمل مسؤولياته . وهو منظِّم ومنظِّر وخطيب بقدر ما هو محارب، تدعمه ثقافة مدهشة الاتساع والعمق، يغوص بها الى جذور تاريخ فنزويلا وتقاليدها وسمات شعبها ، ويحتذي بفضل احاطتها من التجارب الثورية لكل الشعوب : الروسي والصيني ، والجزائري والفرنسي . وحبه للاطلاع والتعلم لا تخنقه الغابة . ان سمته البارزة هي أنه يجمع بين طاقة ثورية تجعله كلّي الالتحام بشعبه ، وبين فكر عقلاني عنيد في منهجيته .

و « دوغلاس » من أسرة قديمة في «فالكون» ، هي آل «برافو» ، الذين شُغلوا دهراً طويلاً من عمرهم في ثأر شهير متبادل بينهم وبين آل « فرنانديز » ، احدى الأسر الكبيرة الأخرى في المنطقة . فالبلد الذي يقاتل فيه هو اذن بلده؛ وهو يعرف الجبل معرفة عميقة منذ طفولته.

---

[1] عبد زنجي تمرد في أيام الاستعمار الاسباني ، فأطلقوا اسمه على جبهة « فالكون » .

ولقد انتسب « دوغلاس » الى « الشبيبة الشيوعية » وهو في الثالثة عشرة . ثم سافر الى كراكاس فدرس في جامعتها، ولكن العمل السياسي منعـه من إكمال دراسته للحقوق فتركها وبينه وبين لقب المحامي سنة كاملة . ودخل السجن بضع مرات . وفي عهد « بيريز خيمينيز » ذهب يعمل سنتين في مصنع ، ليعيد بناء بعض خلايا الحزب العماليـة التي نالها الاضطهاد باصابات بالغة . وبعد سقوط « خيمينيز » أصبح « سكرتيراً» خاصاً لأحد قادة الحزب . على أنه منذ ١٩٥٨ توقع غدر « بيتانكور » واقترابَ مرحلـة القمع ، فعني شخصياً بانشاء « الجهاز الخاص » في الحزب . ثم سافر . وهو منذ سنتين قائد أعلى لحركة المقاومة : منصب سياسي بالدرجة الأولى ، لأن الجانب العسكري البحت هو من اختصاص المقدم « مانويت » ، الضابط السابق في الجيش . وهو في الثانية والثلاثين متزوج ، وأب لولدين لم يرَ ثانيهما بعد قط .

كنـا مضطجعين في الكهف (إذ لا يستطاع الوقوف فيه) الذي اتخذه « دوغلاس » مقراً لقيادته ، نقضي الليالي الطوال في نقاش، وهو ممسك بقلم وورقة (دون أن يكون في ذلك فائدة ، فقد أفسدت الرطوبة الورق) يشرح لي آراءه :

« لماذا القتال المسلح في فنزويلا ؟ ان هناك ثلاثـة عناصر كان في وسعها أن تثبط كل محاولة للكفاح الريفي: ١) بيئة ريفية غير «راديكالية» في مجموعهـا ، فاقدة للوعي السياسي ، ولا سيما في « فالكون » ؛ ٢) تفوق المراكز الحضرية على الريف ، سكانياً وسياسياً واقتصادياً ، ولا سيما كراكاس ، التي تمثل في فنزويلا أكثر كثيراً مما تمثله « ليما » في « البيرو » أو « بوغوتا » في « كولومبيا » (ربع عدد السكان) ؛ ٣) صعوبة إنجاح تمرد ضد حكومة منتخبة بصورة نظامية ، إذا لم تكن ديمقراطية فهي على الأقل دستورية المنشأ؛ إذ أن السلطة التنفيذية الكيفية ،

والحجر على الدستور ، والارهاب « البوليسي » ، والخضوع للسفارة الأمريكية، أمور لا تنكشف على حقيقتها لدى بعض الطبقات إلا تدريجياً؛ فهـذا الذي يمكن أن نسميه « دكتاتورية ديمقراطية بورجوازية » أمر جديد على أمريكا الجنوبية .

« وفي مطلع ١٩٦٤ كان يمكن هذه الموانع الثلاثة أن تبدو مطلقة، حتى في نظر الشرفاء والواقعيين من الشيوعيين ، لمجرد أن يتخذوا من لحظة تاريخية معينة أساساً لتغييرها الممكن . ولكن الأحـداث نفسها ، وان هي لم تُسقط هذه الموانع، تكفلت بجعلها نسبية . ففي قلب الحزب تدخلت بضعة عوامل ، أولها وأهمها أنه لم تمض سنة على اخفاق ثورتنا في ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٨ حتى جاء انتصار ثورة كوبا كأنّه ضربة صاعقة ضد التشكك والشرعية ، إذا كان يعني أن انتصار ثورة معادية للامبريالية أمر ممكن في أمريكا الجنوبية ، لا بعد عشرين أو ثلاثين سنة بل منذ الآن . هذه هي القنبلة التي لا يتكلمون عنها أبداً بما فيه الكفاية وإن كانوا دائمـاً يتكلمون أكثر مما ينبغي عن كوبا ، حين يريدون القول بأي ثمن ان أية ثورة في أمريكا اللاتينيـة لا بد ان تنطلق من النموذج الكوبي » .

والانتقال الى الكفاح المسلح لم يتحقق من غير مراحل . ذلك ما قاله لي « تيودورو بيتكوف » أحد زعماء الحزب وأحد اوائل دعاة الكفاح المسلح ، بعد فراره من السجن في ايلول ١٩٦٣ . قال لي في مجـرى حديثه : « لم يكن هناك يوم بعينه حدث فيه انعطاف في الخط السياسي للحزب . لا . بل ان القمع الحكومي هو الذي اضطرنا الى الدفاع عن انفسنا ، ثم اخذ الحزب في بطء يكتشف انه اصبح مكرهاً على هذا المخرج الوحيد : الكفاح المسلح . ولقد نما هذا الكفاح في ظل الارتجال الذي لا معدى عنه ، وتحسس الطريق في الظلام ، وافتقاد الخبرة . في

عام ١٩٥٩ اضطررنا الى محاربة فئات دون قيادة سياسية أخــذت تتسلح على هامش الحزب ، وحتى في داخله . وفعلنا كل شيء من اجل حل هذه الفئات – اذ كانت تمثل خطر الانسياق الى المغامرة – ومن اجل احلال غيرها محلها ، ولكن هذه المرة بقيادة مسؤولة ورقابة صارمة . على أنّ كل كفاح مسلح يمكن في بداياته ان يكون موضع سخريــة : ففي عام ١٩٥٨ لم يكن هناك شيوعي واحد يعرف استخدام قنبلة يدوية ، وكان هناك عدد ضئيل فحسب يحسن استخدام المدفع الرشاش (اذ ان الخدمة العسكرية اجبارية نظرياً فحسب) . لذلك كان علينا ان نتعــلم كل شيء . الشيوعيون الأوروبيون خبراء بحرب العصابات ، اما نحن فلا : اننا لا نزال نتعلم . ولكننا ذات يوم نلقي نظرة على ما اجتزناه من الطريق فنرى ان خط رجعتنا قد قُطع . اصبح التّراجع مستحيلاً ، ولم يعد هنالك من وهم نخادع أنفسنا به : فاما النصر واما الفناء » .

وفي عام ١٩٦١ ، في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الفنزويلي، كان « بومبيجو ماركيز » يلخص المكتسبات النظرية والعلمية التي انتهت اليها مناقشات الأعوام الماضية ، فميز بين سلطتين : السلطة الشكلية ، وهي جهاز الديمقراطية التمثيلية الحديثة العهد ؛ والسلطة الفعلية التي تقبض على ناحيتها الطبقات المسيطرة : سلطة أجهزة القمع . وهذا التحليل لم يكن ينبغي له أبــداً أن يجعل الحزب يغالي في تقدير مزايا النضال البرلماني والشرعي ، الذي استمر حتى النهاية ، في تشرين الأول ١٩٦٣. ولكن كيف السبيل الى التصدي للسلطة الفعلية ، إذا كان الجيش بــين أيدي الطبقة المسيطرة ، إلا بواسطة جيش آخر ؟ بالقياس الى الخطّ المتعصب في عدائه للعسكريين دون تمييز ، والذي أُخذ به حتى ذلك الحين، كان التجديد الذي يلفت النظر هو ممــارسة نشاط ضخم في قلب الجيش ، عقائدي وعملي ، بغية توجيه وقيادة حركة تمرد فيه كان تنظيمها جارياً على أية حــال : فتمرد « كاروبانو » في أيار ١٩٦٢ وتمرد « بويرتو

كابيليو » في تموز ١٩٦٢ لم يكونا نتيجة لأي قرار خارجي ، شيوعي أو غير شيوعي . كانا عسكريين فحسب . وكل ما فعلته القوى الثورية هو انها حاولت اعطاء هذه الحركة محتوى أكثر اتساقاً داخلياً وأكثر تنظيماً .

ولكن ، حتى اذا ما قام انقسام داخلي فشطر الجيش بين ثوري ورجعي ، لا يستطاع الاعتماد على الجيش وحده ليقضي على نفسه بوصفه جيشاً للطبقة المسيطرة وليعود فيبعث نفسه جيشاً شعبياً . والمسألة التي تطرح نفسها دائماً هي ، اذن ، أن تكون لنا الوسائل المتفقة مع غايتنا — غاية الاستيلاء على السلطة السياسية — : أي ان ننشىء جيشاً شعبياً . وكيف ننشىء جيشاً الا عن طريق القتال ؟

المحاولات الأولى في « فالكون »

شباط ١٩٦٢ : عشرون رجلاً مسلحاً ، أكثرهم من سكان المدينة ، يصعدون الى « فالكون » ، يقودهم اثنان : « دوغلاس برافو » و « تيودورو بيتكوف » . وبعد قليل ، يضطر « بيتكوف » — وهو دكتور في الاقتصاد وقائد سابق للشبيبة الشيوعية — أن ينزل من جديد الى كراكاس ليحضر سراً احدى جلسات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفنزويلي وليقدم تقريراً عن نمو حركة العصابات في الوسط . ولكنه يحاول أن يغتنم الفرصة للاعداد لتهريب أخيه « لوبين » ، وهو زعيم شيوعي آخر كان اذ ذاك في السجن ، فيرتكب غلطة طيش ؛ اذ يتصل بزوجة أخيه جاهلاً ان الشرطة تراقبها . وتكون نتيجة ذلك أن يُعتقل . أما الذين ظلوا في « فالكون » فافتقادهم التنظيم والتجربة ينتهي بهم الى الفشل . ذلك ان هؤلاء الرجال يعيشون خفية في الجبل ، في الخفاء حتى عن الفلاحين أنفسهم ، توقّياً من الأخطار ، ومتابعة لما اكتسبوه

من عادات الاختفاء في المدينة . وهكذا يقيمون حول أنفسهم جداراً من العزلة ، في قلب الجبل ، بدلاً من أن يحيطوا أنفسهم بالجماهير. وبنتيجة ذلك يجوعون ويفتقدون المعلومات عما يجري في الخارج. ويقول «دوغلاس» : هذه الأخطاء — التي يسهل الآن انتقادها — لم تُصحَّح بفضل التشاور والنقاش ، بل لأن الرجال المسلحين وجدوا أنفسهم أمام مفاجأة : لقد هاجمهم الجيش ، واذ ذاك اضطروا الى التفرق هرباً من العدو، رافضين في الوقت نفسه الاتصال بالفلاحين ، ومع ذلك وجدوا هؤلاء الفلاحين يرحبون بهم ، ويؤوونهم في المخابىء ، ويطعمونهم، ويتفهمون قضيتهم. واكتشفوا انه ما كان لهم أن يحذروا التفرق . ولكن عصابة «فالكون» ، في أيار ١٩٦٢ ، كانت قد أصبحت سبعة رجال فحسب . أما الآخرون فقد قُتلوا أو سُجنوا أو استولى عليها اليأس . ومن هؤلاء السبعة الباقين ولدت « جبهة فالكون » .

أما بعد ذلك فتاريخ حركة المقاومة كان تاريخ نمو : عددياً، وتنظيماً، وتسلحاً ، وأرضاً « محررة » . وقد ساعد هذا النمو على أن يكتسب الجميع الصلابة ، بدءاً بالمحاربين أنفسهم: كان درساً لهم أنهم استطاعوا النجاة والبقاء ، وأن مئات من الرجال انضموا اليهم . وضاعف ثقتهم بأنفسهم أنهم نجوا على رغم الأخطاء والمصاعب . واكتسب الشيوعيون منهم أفكاراً جديدة حين وجدوا أنفسهم للمرة الأولى يواجهون عنصرين لم يكونوا يعرفونهما من قبل : الفلاحين — الذين لم يكن للحزب بينهم تقريباً وجود — والحرب ، فأخذوا يفكرون في اطار الكفاح الثوري ، لا في اطار الكفاح الاقتصادي والبرلماني والنقابي فحسب ، كما كانوا يفعلون من قبل . كما اكتسبوا في الوقت نفسه تدريباً عسكرياً حقيقياً . وكذلك استيقظت فئة الفلاحين الفقراء في « فالكون » ،وهي «الراديكالية» التي كانت تجهل أنها « راديكالية » (جهلاً بلغ منه أنها عام ١٩٥٨ صوتت الى جانب « بيتانكور » أو « فيليابا ») . وفي كراكاس أيضاً،

ظهر الاتجاه الى الصلابة « الراديكاليـة » في قلب الحزب : كان بعض الزعماء ، ولا سيما بـين القدامى ، لا يزالون في شك من أمر مصير المقاومة المسلحة وأمر ضرورتهـا ، فإذا ما تحقق من نجاح يدفعهم الى اعطاء النور الأخضر . ولا حاجة الى أن نضيف أن القمع ، على الجانب الآخر ، كان يزداد ضراوة ، وان « بيتانكور » ذهب يطلب النجدة من « كنيدي » ، وان « الاليغاركية » (٤٠٠٠٠ من الوسطاء ومالكي الأراضي الواسعة – الذين أغناهم الاصلاح الزراعي ، اذ اشترت الحكومة منهم الأراضي بأسعار خيالية – والصناعيين ورجال المال الذين يقومون بالوساطة للشركات الأجنبية) شعرت فجأة بالخطر يهددها كطبقة فعبأت كل منظماتها الضاغطة : « اتحادات الغرف » و « التجمع الصناعي الفينزويلي » وغيرهما ، على هدف واحد ، « التفاهم الوطني » . يعني وقف الكفاح المسلح .

« مسيرة النصر »

ما هي آمال الاحتمالات العسكرية التي تنفتح أمام المقاومة المسلحة في جبهة « فالكون » ؟ على هذا السؤال أجابني « دوغلاس » :

– في وسعنا ، كما فعل « مـاو » في الصين ، أن نميز بين ثلاث مراحل تجتازها حرب التحرير الوطنية في بلد مثل بلدنا . المرحلة الأولى ، مرحلة الـدفاع الستراتيجي والتكتيكي من جانب القوى الثورية ، هي الأقسى والأوجب خفاءً والأشد حسماً ؛ إذ أن النواة الأولى للمقاومة المسلحة تنمو وهي أشد ما تكون بعداً عن توازن القوى . وهذه المرحلة بالنسبة الينا ، انتهت في تموز ١٩٦٣ ، بعد الأشهر الستة التي قام الجيش خلالها بحصار المنطقة . كانت سنّة عملنـا اذ ذاك : اجتناب المعركة ، والتبعثر أمام العدو ، وخلق الفراغ من حوله . وقد أتاح لنا هـذا أن

نقوم بعمل جماهيري ضخم بين الفـلاحين ، بينما كان الجيش يضرب الهواء ، وكانت الحكومـة تضخم بعض انتصاراتها الصغيرة الأولى ، كتهديم معسكر مثـلاً ، أو الاستيلاء على بعض الأسلحة ، أو تهديم المدرسة التي كنا بنيناها (مع كل مكتبتها التي كان يتعلم فيها الفلاحون والمحاربون الأميّون) ولكن قـذف القنابل والقصف بمدافع الهاون لا يحققان أية نتيجة ، باستثناء تدريبنا على مواجهة وسائل التخريب الضخمة . وعبثاً أعلن « بيتانكور » إبادة « عصابات المدنيين المسلحين والمنحرفين وقطاع الطريق » ؛ فبعد خمسة عشر يوماً كنا نبدأ ما نسميه « مسيرة النصر » التي تفتتح « المرحلة الثانية » : مرحلة الهجوم التكتيكي والدفاع الستراتيجي . يجب ألاّ ننسى أبداً أننا نظل دائماً في إطار الدفاع ، الذي يفرضه ميزان القوى ، ولا شيء ينبغي له أن يخدعنا عن ذلك . ولكن ، في تموز ١٩٦٣ ، حين كان الناس يظنون أن رجال العصابات قد أُبيدوا (الى درجة أخذ معها بعض الفلاحين يهربون من مناطقهم وقد أيأسهم اختفاء المحاربين) ، عـاد هؤلاء الى الظهور وقد تضاعف عددهم ، وأخذوا ينزلون الى السهول ، أحياناً على ظهور الخيل ، ويحتلون مجموعة كبيرة من التجمعات . و « احتلال القرية » هو العملية النموذجية لهذه المرحلة من الهجوم التكتيكي : عملية خاطفة تتطلب أبلغ درجات التحضير دقة ، وذات هدف سياسي أولاً . خلالها نحتل قرية ما لبعض الوقت ، بنزع سلاح الجنود وفصائل الحرس الوطني وشلّ حركتهـا ، فيتجمع السكان في الساحة ، وفي هذا الاجتماع يقوم قائـد الفصيل المسؤول عن العملية بشرح معنى كفاحنا وأهدافه . هذه العمليات مثمرة الى حد بعيد ، إذ أنها تصيب السكان بصدمة عاطفية حين يستطيعون أخيراً أن يروا «الثوار»[1]

---

[1] الواقع أن كثيراً من الفلاحين الذين التقيت بهم في حركة المقاومة ، وهم في الأغلب من منطقة « فالكون » ذاتهـا ، قـد انضموا إلى فصائل المقاومة بعد أن دخل المحاربون قريتهم ، فرافقوهم في الصعود إلى الجبل .

بأعينهم . والإعداد للعملية يشمل تحديد طرق المواصلات التي تربط بين القرية وبين أقرب مناطق السكن المجاورة لهـا ، وتقدير أقل فترة من الزمن يحتاج اليها شرطيٌ ما الوصول الى هذه المنطقة القريبة لو أنه استطاع الافلات من رقابتنا؛ وحينئذ يكون ضعف هذه الفترة (للذهاب والاياب)، مطروحة منه ساعة كهامش للأمان ، هو ما يحدد الزمن الأقصى الذي نستطيع خلاله احتلال القرية والبقاء فيها . كذلك يقتضي إعداد الخطة وضع قائمة بكل وسائل النقل (كالعربات والشاحنات) التي توجد في القرية ، وتحديد مواقع وسائل الاتصال الهاتفية والبرقية ، وعدد مواضع جنود الحامية، واكتشاف المنازل الخاصة التي يمكن أن توجد فيها أسلحة؛ كمقر حزب « التحالف الديمقراطي » وبيوت زعمائه المحليين وأعضائه (إذ أن هذا الحزب الحكومي يملك كميات من الأسلحة وشرطة خاصة به ، هي « السيتوبول ») . ومتى تم هـذا كله تحاصر القرية بعض الوقت ، ثم تظهر بعض عناصرها فجأة في مخفر الشرطة وفي مقر الحرس الوطني ، فنستولي عـلى سلاحهما دون دماء إذا أمكن (إذ لا نسمح باطلاق الرصاص إلا في حالة الدفاع عن النفس) ؛ ونحتل مقر « مختار القرية » ، والبريد ، ونقطع الخطوط البرقية ، ونضع حرسنا فوراً على الطرق المؤدية الى القرية . وكثيراً ما يحدث أن يستقبلنا أهل القريـة بترحيب نضطر معه الى المكوث الى ما بعد الوقت المحدد . هكذا، مثلاً حدث يوم ٢٤ تموز ١٩٦٣ ، حين قام فصيل يضم ٥٤ رجلاً باحتلال « بويبلو نويفو » . فبدلاً من البقاء مدى الساعتين المقررتين مكث رجالنا خمس ساعات ، إذ عرض السكان أن يقوموا هم أنفسهم بحراسة الطرق وأن يساعدونا في مهمة حفظ الأمن . واستخدم هذا الوقت الاضافي لمزيد من الحديث مع الفلاحين في مؤتمرهم الشعبي . كل هذا يجري في إطار حيطة استراتيجية لا سبيل الى إعادة النظر فيها إلا بقرار من هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة للتحرر الوطني : وهي الاستفادة الى أقصى الحدود

من تفوقنا الراهن الفعلي من حيث معرفتنا بالأرض وسرعة انسحابنا وتبعثرنا وعزل الطوابير العدوة الصاعدة نحو الجبل وتركيز قوانا سريعاً للهجوم عليها . وعلى أية حال ، في كل مرة لا نكون فيها تجاه أجهزة القمع الرسمية – أي الحرس الوطني ، وقوى المديرية العامة للشرطة – بل أمام المجندين العاديين ، لا نصطدم معهم عسكرياً إلا اذا جاءوا في طلبنا ؛ ذلك لأن هؤلاء ، في حقيقة الأمر ، وفي منظار المستقبل، هم حلفاؤنا. وفي هذا الاطار الاستراتيجي ، كل فصيل يتمتع بحرية تكتيكية كاملة، وفقاً لظروف المنطقة التي ينشط فيها . وهذا يخلق لدينا ضباطاً أفضلَ نوعية بكثير من ضباط الجيش النظامي . يضاف الى ذلك أن ذلك القسم المفروز من الجيش لمقاتلتنا يخسر معنوياته خلال هذه المرحلة : فلقد أعلن بعض الضباط في صراحة أنهم يرفضون قيادة طوابير القمع . وفي ايلول ، في « كورد » ، تمردت احدى حاميات المجندين إعراباً عن تضامنها مع واحد من هؤلاء الضباط كانت القيادة العليا قد اتخذت بحقه بعض العقوبات . كما أن بعض الضباط الشيوعيين أو الوطنيين ينضمون الينا بسلاحهم ومتاعهم حين يرون أن جهاز المخابرات العسكرية يوشك أن يكتشفهم . وهذا التخلخل داخل الجيش قد اضطر الحكومة الى أن توجّه ضدنا قوى الشرطة وفرق الصاعقة (الكوماندوس) المكتملة السلاح والمدربة تدريباً عالياً على قتال قوى العصابات على يد البعثة العسكرية الأمريكية .

« وبالطبع ، يظل محتملاً باستمرار ان يُغيرَ علينا الجيش العدو ، وان لم تتجاوز غارته حدود التحصينات والمعسكرات المتطرفة . يضاف الى هذا ان القوى الثورية لم تنشىء بعد مؤسسات سياسية وادارية ، كالقضاء وجباية الضرائب والاصلاح الزراعي ، هذه المؤسسات التي كانت قائمة في « السييرا مايسترا » خلال الأشهر الأخيرة من الثورة الكوبية. ولكن المقارنة مستحيلة بين الحالتين ، اذ ان « فالكون » أوسع كثيراً من

« السييرا مايسترا » ، وأقل منها سكاناً ، ولا يشكل مثلها قلعة طبيعية. بل هو منطقة «مجمدة» ، يستطيع جيش التحرير الوطني فيها أن يقضي عسكرياً على القوى المعادية أياً كان مبلغ الوسائـــل التي تستخدمها من الضخامة ، كما ان أي محارب يفد اليها من المدينة يصبح نهائياً في منجى من أن تطاله يد قوى القمع : منطقة هي دار الأمان للمحاربين . أما تحرير هذه المنطقة تحريراً كاملاً فهو الآن جزء من جدول أعمالنا » .

ولكن ، ماذا عن المرحلة الأخيرة ، مرحلة الهجوم الستراتيجي ؟ أليس لها من موعد تقريبي ؟

على هذا السؤال يتفق جواب كل قادة المقاومة السرية الذين التقيت بهم :

– لا ينبغي لأحد أن ينساق الى الأوهام . اننا نُعدّ أنفسنا لحرب طويلة ، عسيرة ، تمتد على بضع سنوات .

ذلك لأنهم جميعاً يعرفون ان الأمبريالية ، بعد كوبا ، ستقاتل هنا حتى النهاية ، ولو اضطرت الى التدخل المباشر . وبالتالي فان الهجوم النهائي هو، عملياً ، مسيرة النصر التي لا تتوقف الا عند بلوغ الهدف ، عند « كراكاس » ، وهو اذن الهجوم وجهاً لوجه على الجيش النظامي أو – في أحسن الأحوال – على القسم الذي يظل منه عنيداً في مقاومته للثورة .

ويضيف « دوغلاس » :

– ان موعد هجومنا الستراتيجي سيتوقف على وضع سياسي عام ، وعلى أن نكون قد استطعنا « التوازن » مع قوى العدو . توازن سياسي بالطبع ، مرتبط بظروف المرحلة ، لا توازن عسكري . فمن الطبيعي اننا لن نستطيع في أي حين أن نمتلك مثل العدد الذي يمتلكه العدو من رجال ودبابات وطائرات ومدافع هاون . ولكن العدو يفتقد سلاحاً رئيسياً هو مشاركة الجماهير ، والجماهير هي التي ستحسم الموقف آخر الأمر .

ويرى « دوغلاس » ان « الطريق الفالكوني » الى النصر – وهذا ينطبق بدرجة أعلى على المقاومة في « لارا » – لا يتألف من سلسلة من الانتصارات الباهرة ، بل يقوم على تمهيد الطريق ليوم النصر . فالمقاومة صَبورٌ عنيدة ، كأنها بقعة زيت . وهي عنيدة لأنها بمجرد أن تتمكن في موضع ما ، يكفيها أن تمتد لتكون الظروف التي تواجهها دائماً أكثر مواتاة : قضية جغرافية فحسب .

« احذروا غدر العدو الطبقي ! »

كانت البداية هي المرحلة الأشق . ولقد كانت كذلك لأن المرسى الأول لحركة المقاومة كان في قلب الكتلة الجبلية ، وبالذات في أعلى مرتفعاتها ، حيث لا يسكن أحد ولا تُزرع أرض ، وبالتالي لا مصدر للتموُّن ، وحيث لم يُشَقَّ أي طريق في قلب الغابات المتلبدة . هناك في البداية استقر المحاربون ، وبعدهم القيادة . ولم يكن هنالك سبيل آخر ، اذ لا بد من أن يكون المنطلق أقل الظروف ملاءمة . وكان المهم هو الصمود ، أطول فترة ممكنة ، الى أن تمت أولى الاتصالات مع « المنطقة رقم ٢ » : منطقة «الكونوكوس» ، هذا الاسم الذي يطلقونه على قطع صغيرة من الأرض لا تكاد تُمسكها المخدرات الصخرية ، لا تنبت فيها الحبوب بقدر ما تنبت الحجارة وجذور الأشجار ، وفيها يستطيعون أن يحصلوا على الموز بالدرجة الأولى ، ثم على الذرة وقصب السكر وعلى بعض الخضروات . والفلاحون الذين اضطروا أن يقصدوا مرتفعات الجبل ليجدوا أرضاً يزرعونها لا يعيشون في حقولهم هذه ، بل في منطقة أكثر انخفاضاً هي « المنطقة رقم ٣ » ، منطقة القرى الجبلية التي يصعدون منها بضع مرات في الأسبوع ليعملوا في «الكولوكوس» . وخلاص المحاربين يغدو مضموناً بمجرد أن يبلغوا منطقة « الكونوكوس»

هذه ، ولو كانت رقع الأرض فيها قليلة نادرة . فمن الذرة التي تنتجها يصنعون رِقاقَ « الآريبا » التي تؤلف أساس التغذية في البلاد ، ومن القصب يحصلون على « البابيلون » ، أي على عسل السكر الأسود البالغ التكثيف والذي يعطي طاقة ممتازة على المشي الطويل، كما يمتصون القصب مباشرة فيحصلون على عصيره الذي يؤلف المرطِّب الوحيد في المنطقة . وهم كذلك يطبخون الموز بالماء كما تُطبخ الخضار .

وفلاحو « الكونوكوس » يضعون حقولهم الصغيرة تحت تصرُّف المحاربين ، لقاء قيام هؤلاء بمساعدتهم غالباً في الفلاحة أو في تنظيف رقع جديدة من الأرض . ولكن ، مع من يتعامل هؤلاء الفلاحون ؟ ان أغلبهم ، بصورة شبه غريزية، يفهمون معنى الكفاح المسلح ويسهمون به على صورة أو أخرى ، ولكن بعضهم يخشون الخطر حين يرون « متشرداً » في يده بندقية فيبادرون الى الفرار . على ان ثلاثة أشهر أو أربعة – كحد أقصى – تكفي لتحريرهم من الخوف ولتجعلهم يبادلونهم علاقات مستديمة . فالرجل ذو البندقية ، في أرض منعزلة كهذه ، هو في العادة إما « مختار » الضيعة أو شرطي في مهمة تأديبية ؛ أما هؤلاء فأناس يشترون منهم الطعام بالمال ، ويتحدثون اليهم ، ويساعدونهم ، ويشاطرونهم الدواء والغطاء ، واللحم اذا واتاهم الحظ في القنص، والنار في الأمسيات . وهؤلاء الفلاحون أنفسهم ينزلون الى المدينة فيسمعون الدعاية الرسمية في الاذاعة تقول ان رجال المقاومة مجرمون . واذ ذاك يتساءلون لِمَ تكذب الحكومة ؟ لِمَ يكذب « أكابر الناس » ؟ وهذا التساؤل يثير لديهم ردوداً دفاعية فاذا هم في جانب رجال المقاومة ، اولئك الذين يعدونهم باسترداد السهول من الشركات الأمريكية، وبمكافحة المُرابين ، وبالقضاء على وسطاء التجارة في المدينة . والمحاربون ، من جانبهم ، يبدأون بتبني هموم كل هذه الفئة البائسة من شعبهم وآمالها الخائبة ، ويغتبطون بكل هذه الثقة التي تُضفى عليهم وبكل هذا العون

اليومي الذي لولاه لما كانوا شيئاً ، فيشعر كل منهم انه ملزم شخصياً برد هذا الجميل . ولئن كان صحيحاً ان اولئك « الجبليــين » (في المناطق ١ و ٢ و ٣) لا يملكون بعد الوعي السياسي ، وكانوا – على رغم ما يقدمونه من عون ايجابي ، وعلى رغم انهم يُضحّون للمحاربين بجانب من محصولهم وينضمون أحياناً الى فصائلهم – يظلون في الأغلب على مواقفهم السياسية السابقة (فيظل كثيرون منهــم أعضاء في حزب « الاتحاد الراديكالي الديمقراطي » ، بل يظل بعضهم عضواً في « التحالف الديمقراطي » أو في الحزب المسيحي) ، وذلك بتأثير التقاليد العائلية ، كأنما يعيشون على صعيدين مزدوجين ؛ لئن هذا كله صحيحاً فان شرخاً متزايد الاتساع بدأ يفصل بين القيادات العليا المركزية للأحزاب السياسية ، هذه القيادات التي ظلت حبيسة الأحقاد والعصبيات القديمة وأسيرة الثورية اللفظية التي يقابلها احتراف طويل العهد للممارسة الانتهازية ، وبين التنظيمات المحلية لهذه الأحزاب وأعضائها معها . ان هذا الشرخ[1] لم يتجسد بعد ، أو لم يتجسد دائماً ، في انقسامات علنية واستقالات جماعيــة ، ولكن الوحدة الشعبية تتحقق في الجبل وفي أحياء كراكاس من حول الكفــاح الثوري ، دون أي انتظار لصدور « توجيهات » قيادات أحزاب المعارضة

---

١ في البداية ، لم ينج الحزب الشيوعي من هـــذا التباعد بين الجماهير وبين قيادتها السياسية . فلقد كان « الدفــاع الذاتي » يتخطى مراحله التنظيمية الأولى عملياً ، في سنة ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ، حين لم يكن الحزب قــد اتخذ بعد قراراً صريحاً بتشجيعه . بل لقد ظل الحزب الشيوعي حتى تشرين الأول سنة ١٩٦٣ ، حين منع من تقديم المرشحين ومن عقد الاجتماعات العامة ، لايزال يحتفظ بتمثيله النيابي ، هــذا بينما كانت أكثرية مناضلي الأحياء تعرف أنهــا لم تعد إلا فئة خارجة على القانون تلاحقها الشرطة ، ومحرومة من أي عون قضائي . ولذلك ، حين حل « بيتانكور » الحزب الشيوعي في تشرين الأول سنة ١٩٦٣ ووضع في السجون عدداً من نوابه ، سمعت في كوخ في ضواحي « كراكاس » عــدداً من المناضلين الشباب من أعضاء الحزب يعلنون غضبهم ودهشتهم من أن يكون أولئك القادة قد انتظروا حتى تم التقاطهم على هذه الصورة العزلاء ، ذات صباح ، من منازلهم ...

المشروعة بتأييد وحدة القاعدة ، بينما تفضّل هذه القيـادات ان تغض الطرف عن عدم انضباط مناضليها . وفي « فالكون » كشف الكفـاح المسلح عن انه أداة وشيجة للوحدة ؛ والشيوعيون لا يؤلفون الا أقلية من رجاله المحاربين ومن مؤيديه الفاعلين ، وهـذا هو النصر الأساسي الذي حققته « القوى المسلحة للتحرر الوطني » ، بل هذا هو البينة على ان هذا الجيش قد استطاع مع الحزب الشيوعي ، في بعض الظروف ، ان يسيرا في طليعة الشعب . ولئن كان الحزب المغامر هو ذلك الحزب الذي يقطع ما بينه وبين الجماهير فان تجربة « فالكون » تثبت ان الحزب الشيوعي وجيش القوى الثورية الفنزويلية يستحقان بالضبط نقيض هذه الصفة .

وبقدر ما تتّسع أبعاد العمل العسكري الذي تقوم به قوى المقاومة ، ينمو انطلاقـاً من أولئك الفلاحين إشعاعها السياسي ، وتتقاصر فترة الخبوُّ الثوري لدى الجماهير القروية . فإذا ما بلغت حركة المقاومة المنطقة التي يلتقي عندهـا الجبل بالسهل ، منطقة « القرى الكبيرة » المفتوحة للسوق الرأسمالية ولطرق المواصلات المتجهة نحو العالم الخارجي، التقت هذه الحركة بجماهير عمالية أكثر كثافة وأفضل معلومات وأوعى تربية سياسية. فهناك توجد النقابات ، والمراكز المحلية للأحزاب ، هذه الخلايا الثورية. وعلى قدر ما تزداد حركة المقاومة تقدماً نحو السهل تزداد الأرض التي تتقدم عليها مواتاة ، أياً كانت المقاومة التي تواجهها بهـا أجهزة القمع المجنونة . وأخيراً يتم الاتصال بين هذه الحركة وبين الفصائل الحَضَرية لجيش التحرير ، الناشطة في المدن ، قريباً من المراكز الصناعية .

وعصابات الكفاح المسلح في « فالكون » — شأنها في ذلك شأن قوى الكفاح المسلح على الصعيد الوطني كله — قد تمت لها إعادة طرح قضية القيادة . فهناك يجري الآن نقل حقيقي للسلطات ، و « مختارو » القرى

والمسؤولون المحليون في الأحزاب التقليدية يفقدون سلطتهم المزمنة على الشعب . وبعد الآن لا وجود للزعامات الموروثة ، ولا للزعامات الطائفية. والنضال وحده هو الذي يمنح حق الزعامة .

على أن أبطأ الناس في اعتياد هذا الانتقال الذي تشهده مراكز المسؤلية هم القادة الجدد أنفسهم : ذلك أنه ليس من اليسير على فلاح فتى ، أمّي ، في السادسة عشرة من عمره ، أو على زنجي يكبره بعشرة أعوام ولكنه خارج من كوخ حقير ، أن يفهما كيف يتجه اليهما قرويو المناطق المجاورة ليتلقّوا منهما التعليمات ، بوصفهما رئيسين في المنطقة أو مفوضين سياسيين بقرار من « القوى المسلحة للتحرر الوطني » .

حدث ذات يوم ، في المعسكر ، بعد غداء استثنائي (إذ كان يمتاز عن مألوف الأرز والسردين والقهوة بقرد اصطيد في اليوم السابق وببضع حبات من « الجوكا » قدمها أحد الفلاحين) أن نهض « بارلوفنتو » — وهو محارب قروي أسود في الثلاثين من عمره — متجهاً الى سريره المعلق ليضم فيه طعامه، متسائلاً بصوت مرتفع متى سيحين له أن يلقي السلاح لينعم كل يوم بمثل هذه الوجبة الشهية . وضحك الجميع لهذا التساؤل الهازل ، وأخذوا يتبارون في الحديث عن ملذات الحياة السلمية . وإذ ذاك وقف « دوغلاس » في وسط حلقتهم ، خطيباً ومداعباً في وقت واحد ، ليدلي برأيه في الموضوع ، دون أن يتوقف أي من الآخرين عن الضحك . قال :

— الثورة هي الماء الذي ينبجس من الأرض . وهناك سادة من « الأكابر » لا يرون لهم أن يبلّوا بالماء أقدامهم : سياسيون يساريون محترمون جداً ، كما يقال ، يودون لو استطاعوا وقف هذا السيل بأية وسيلة . والانتخابات وسيلة صالحة . ولولا أن نجاح «ليوني» فيها مؤكد[1]

---

[1] حديث « دوغلاس » هذا يعود إلى ما قبل الانتخابات . ولكن الظروف التي كانت ستجري فيها هذه الانتخابات كانت لا تدع لدى أحد مجالا للشك في أن « ليوني » سينتصر فيها .

لفاز بها واحدٌ من هؤلاء . ولو حدث ذلك ، يا « بارلوفنتو » ، لرأيته يقبل عليك ، ويربت على كتفك بابتسامة عريضة ، ويقول لك : «الآن تستطيع أن تنعم بالطمأنينة ، أيها الأسود الصغير . لم تعد في حاجة الى سلاحك ما دمت أنا في السلطة . فتعال ، كن لطيفاً وأعد إلينا بندقيتك وعُد الى الراحة في منزلك » . وهذا بالذات أسوأ ما يمكن أن تنتهي اليه الثورة : التسوية . وهؤلاء الزعماء ليسوا أكثر من « بالونات منفّسة» يخافون دائماً على زعامتهم . ولكن علينا ألا ننسى أن الزعماء الحقيقيين الآن في « فالكون » هم أنت يا « بوليفار »[1] ، وأنت يا «نيغرو برافو»[2] وأنتِ يا « أورورا » . فيكم أنتم يثق الشعب ، ومعكم أنتم عقد ميثاقه. ذلك لأن أصدقاءنا القرويين يعرفون أنهم ، حين يريدون استرداد أراضي السهول المنبسطة الخيّرة ، فلن يستطيعوا الاتكال في ذلك على السياسيين ، بل عليكم أنتم . ان السلطة الوحيدة للفقراء في هــذا البلد هي في أن يكونوا مسلّحين ومنظّمين . فحين دخل « فيديل » مدينة هافانا ، لم يحل دخوله بين أمثال « بريو سوكاراس » و « اوروتيا » وغيرهمـا وبين أن يضعوا أيديهم على الوزارات والصحف والمعامل . وكذلك حدث هنا عام ١٩٥٨ ، بعد فرار « بيريز خيمينيز » . ولكن الفرق هو أن الثكنات ، في كوبا ، كـانت في أيدي رجـال « السييرا » ، أيدي المساكين الفقراء أمثالنا . ولذلك اضطر الأغنياء أن يرتحلوا الى «ميامي» حين أزفت ساعة المعركة الأخيرة ، ساعة الثورة الحقيقية . ولماذا انتصر

---

١ فتى في السابعة عشرة ، من أسرة فقيرة في كراكاس ، كان قـد التحق بالمقاومة قبـل شهرين . وقد قتل رجال الشرطة أمه الحامل أمام عينيه ، وكانت قـد جاءت إلى السجن تستفسر عن مصيره .

٢ أي « الزنجي الكاسر » : اسم مستعار لثروي من « فالكون » هو أحد قدماء حركةالمقاومة (سنة ونصف السنة) . وهو في السادسة والعشرين من عمره ، دخل الحركة أمياً فتعلم فيها القراءة . أما حزبه فهو « الاتحاد الراديكالي الديمقراطي » .

«فيديل» لأنه لم يلقِ السلاح .

وقريباً من « دوغلاس » ، ذكر أحدهم اسم « ساندينو » . كان المتكلم « ماوريسيو » ، أحد الطلاب القلائل الذين التقيت بهم في هذا المعسكر ، وهو مذيع راديو « القوات المسلحة للتحرر الوطني » ، التي اقيمت مؤخراً في مكان ما من الجبل . ولم يكن هناك من يعرف قصة « ساندينو » ، بطل نيكاراغوا ، ولذلك رواها «ماوريسيو» : حدّثهم بحكاية « الجيش الصغير المجنون » وبالفخ الذي وقع فيه « ساندينو » حين دعاه « سوموزا » الى « مأدبة المصالحة الوطنية » ، دعوة غمروه معها بالابتسامات وبالضمانات ، فقبل ، وجاء الى الموعد بغير سلاح وبغير حماية ، فاذا « سوموزا » يأمر بقتله أثناء خروجه . واذ ذاك أشار آخر منهم الى «زاباتا» ، وروى حكايته بدوره . وعاد «دوغلاس» يقول :

ــ لا ، لا ينبغي لنا أبداً أن نطمئنّ الى العدو الطبقي ، فهذه غفلة باهظة الثمن. فاذا ما أتت الى السلطة يوماً حكومة تسوية فانهم سيكررون أمامنا الجمل المألوفة، وسيفتحون لنا أذرعتهم ويسألوننا في دهشة كاذبة : « ولكن ، لمَ الاحتفاظ بالسلاح ؟ » . لمَ ؟ لأن الشعب في حاجة اليه . هذا كل شيء. ولو اننا ألقينا السلاح لكان السجن نصيب محاربي « فالكون » ، نصيبنا جميعاً يا رفاق ! أما الذين نمثلهم هنا فسيكون نصيبهم العصا ، كالعادة .

وأضاف « دوغلاس » في لهجة ساخرة :

ــ أذكر اننا ، بعد ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٨[1] ، كنا حوالي مئة من الشيوعيين المسلحين بالمسدسات في شوارع « كراكاس » . اذ ذاك

---

١ يوم سقوط الدكتاتور « بيريز خيمينيز » وفراره . (المترجم)

كانوا يعتبروننا أنداداً جديرين بالمفاوضة ، وكانوا يدعمون « غوستافو ماتشادو » (الأمين العام للحزب) الى قصر الرئاسة . ثم وضعنا المسدسات جانباً لأن رؤيتنا للموقف لم تكن رؤية واضحة . ومنذ ذلك الحين أصبح باب القصر مغلقاً في وجه « غوستافو » .

الضباط الثوريون

ذات يوم ، في « فالكون » ، نصب رجال المقاومة كميناً لفصيل من الجنود كان قد توغل في الغابة ، فوجد الجنود أنفسهم أسرى في حصار كامل . ولكن رجال المقاومة لم يطلقوا عليهم رصاصة واحدة ، بل اكتفى قائدهم بأن هتف بالجنود من خلال العوسج : « ماذا جئتم تفعلون هنا يا اخواننا القرويين ؟ انكم تعرضون حياتكم للموت ، فهل تدرون لماذا ؟ لا لشيء الا خدمة لعصابة الضباط العظام الذين يتبرطعون الآن في نادي القوات المسلحة في كراكاس ويبذرون أموال الشعب » . ثم انسحب رجال المقاومة . وفي اليوم التالي ذهب جنود هذا الفصيل نفسه يتحدثون الى ضابط يقود كتيبة أخرى وسألوه : « سيدي، كيف يمكن أن يكون هؤلاء الناس أشراراً وقطّاع طريق ، وهم لم يمسّونا بأذى ؟ » وكانوا يعرفون — معرفة غامضة — ان هذا الضابط يختلف عن الآخرين ، فنشأت بينهم وبينه هذه المكاشفة غير المألوفة .

كان هذا الضابط يتعاطف مع الشيوعيين منذ بضع سنوات ، وكان منذ شهرين يقاتل رجال المقاومة ، ولكنه بعد خمسة عشر يوماً كان هو نفسه يلتحم بهم . ذلك لأن حديثه مع اولئك الجنود لم يَرُقْ للشرطة العسكرية السرية ، فخشي أن ينتهي به الأمر الى السجن الى جانب الكثيرين من الضباط اليساريين « المخربين » المعتقلين ، ولذلك اتصل بتنظيم عصابات «كورد» ، وحمل معه رشيشه الذي لا يفارقه، ونصوص

الدروس التي كان يتلقاها ايام المدرسة العسكرية ، وكمية من الذخيرة. واذا هو ذات صباح ، بكامل ثيابه العسكرية، في معسكر لرجال المقاومة، ذهب اليه بعد أن كتب لزملاء قرعته رسالة يشرح لهم دواعي قراره ، حتى لا يتهموه بالهرب .

ولكنه ليس الضابط الوحيد : ففي « القوات المسلحة للتحرر الوطني » ضباط كثيرون آخرون من الجيش النظامي . وبعضهم الآن في السجن ، اعتقلوا بعد معركتي « بويرتو كابيليو » و « كاروبانو » ، وبعضهم الآخر ينشطون سراً في المدن وتفتش عنهم الشرطة ، وبعضهم كذلك يعمل الآن في داخل الجيش . أما « توليو » ، الضابط الذي أتحدث عنه ، فهو بعد موقفه العلني لم يعد في حاجة الى كتمان شيء من أمره. وهو الضابط النظامي الوحيد الذي قابلته في معسكر المقاومة (اذ انني لم أستطع الالتقاء بالمقدّم « مانويت ») . ولقد كان خلال مُقامي هناك يعاون « دوغلاس » في شؤون القيادة . وبما اننا كنـا نحن الثلاثة ننام في كهف صخري واحد ، فقد كان لدينا متسع من الوقت للتباحث في كل المشكلات التي يواجهها العسكريون في الوقت الحاضر .

و « توليو » في الرابعة والعشرين . وهو قد قضى أربـــع سنوات طالباً في الكلية الحربية ، حيث نشّأوه على الطريقة البروسية ، ثم سنتين في الثكنة . وكانت اسرته هي التي دفعته الى السلك العسكري كمخرج وحيد من البؤس ، بعد أن قضى طفولته في واحد من أحياء « كراكاس » الفقيرة ، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من صغار الضباط. ثم كان نصف مرتبه الشهري يكفيه لإعالة اسرته ، فكان هذا الرخاء أهم الأسباب التي نأتْ به عن الالتحاق بعصابات المقاومة المسلحة . وهو حين التحق بها أخيراً ضحّى أيضاً ، والى الأبد ، بحياة القصور التي ينعم بها الضباط في الثكنة : الغرفة الخاصة ، والهواء المكيف ، والعربـــة ، والنساء ،

والدكتاتورية المطلقة على الجنود الذين يقومون بخدمتهم .

قال لي « توليو » :

– انني لم أهرب من الجندية ، ولم أخن أية رسالة ، بل لا أزال وأنوي أن أظل ضابطاً. كل ما في الأمر هو أني تركت جيش استعراضات لأدخل جيشاً آخر، جيش قتال . ولولا « القوات المسلحة للتحرر الوطني» لبقيتُ حيث أنا في الجيش البورجوازي .

وهذه هي حال كثيرين من الضباط بدأوا الآن فقط يكتشفون سبيلاً يظلون معه ضباطاً ، بحكم ميولهم وتربيتهم وتقاليدهم العسكرية، ويستطيعون معه في الوقت نفسه أن يعملوا من أجل الثورة . فمن المؤكد أنــه كان في الجيش ، قبل ثلاث سنوات ، ضباط ديمقراطيون ، ولكنهم كانوا لا يجرؤون على الظهور . كانت الحياة العسكرية تقطع بين هؤلاء الضباط وبين العالم الخارجي ، فيغدو كل شيء ثانوياً لديهم بالقياس الى التضامن الفئوي وإلى زمالة الكلية الحربية وحتى الى مجرد الزمالة في الثكنة. ولكن مع ولادة « القوات المسلحة للتحرير الوطني » انفتح أمام العسكريين أفق جديد ، لا يزال أمامه المزيد من احتمالات الاتساع ، هو أمل الإقلاع عن التآمر، هذه الوسيلة القاصرة دائماً عن النجوع[1] بسبب الرقابة الدقيقة التي تفرضها الشرطة السرية (الشرطة الوحيدة الناجعة في فنزويلا) وبسبب عادة الثرثرة بين رفاق القرعة الواحدة، وأمل الانتقال الصريح إلى صفوف جيش مقاتل .

---

١ قبل أيام من محاولة انقلاب « كابورانو » (أيار ١٩٦٢) ، كانت خطط التمرد قد وصلت إلى أيدي الحكومة ، فعمدت هذه إلى نقل كل ضباط الثكنات التي كان يفترض أن تعلن عصيانها في كل البلاد في يوم واحد . أما عصيان « بويرتو كابيليو » (تموز ١٩٦٢) فلم يكن في الواقع إلا موقف شرف التزم به رماة البحرية والضباط الذين عرفوا أن أمرهم قد اكتشف ، وأن محاولتهم فاشلة دون ريب ، ولكنهم أبوا أن يلقوا سلاحهم وأن ينتظروا السجن أو النفي ، فانطلقوا إلى عمليتهم الانتحارية بشجاعة لا تصدق .

قال لي « توليو » وهو يضحك :

ـ على أية حال ، ليس هناك ما يمنع أحدنا من أن يكون ديمقراطياً وأن يحب الحياة العسكرية في الوقت نفسه . وغداً عندما تبنى الاشتراكية، ستكون « الميليشيا الشعبيــة الفنزويلية » في حاجة حتماً الى المدربين ، أليس كذلك ؟

ولا يمكن القول إن حياة معسكر المقاومة كانت في البداية يسيرة على « توليو » ، هو الذي كان قد اعتاد الحياة الصحية النظيفة والانضباط الصارم والتسلسل العسكري الواضح الحدود وغير ذلك من ظروف الحياة، وقد مرّ « توليو » ببعض العناء قبل أن يتعود الصحبة « البوهيمية » في المخيمات . ولكنه سرعان ما فهم أن هذا لم يكن جيشاً كالجيوش الأخرى، وان هؤلاء الفتيان القرويين الحفاة الأقدام وهؤلاء المراهقين الدائمي الثرثرة من أبناء العمال لم يكونوا عــلى استعداد لقضاء وقتهم وهم في وضع الانتباه والتحية .

ودخول حركة المقاومة لا يحتاج بالطبع الى اجتياز امتحان في الماركسية، فكل من يريد الكفاح من أجل الثورة يستطيع أن يجد فيها مكاناً لنفسه. ومع ذلك فإن بضعة أشهر من المطالعة النظرية ومن ممارسة العمل الجماهيري تكفي لتحويل الضباط غير الشيوعيين ، كالمقدم « مانويت » وغيره، الى ماركسيين مؤمنين .

ولقد كانت القيادة العامة للقوات المسلحة للتحرير الوطني قد كلفت « توليو » بمهمة تحويل عصابات المقاومة الى جيش نظامي . وهذا معناه، أولاً ، فرض الانضباط . ولذلك يقوم « دوغلاس » أو « توليو » كل مساء بعد العشاء ، حوالي الساعة السادسة ، والشمس في المغيب ، بجمع أعضاء العصابة الموجودين في المعسكر في الساحة المركزية الصغــيرة التي أطلق عليها اسم « الميدان الأحمر » . ويقف الجميع في وضع الانتباه ،

فينشدون السلام الوطني ثم نشيد المقاومة ، وبعد ذلك يقوم ضابط اليوم (إذ يسمى كل يوم مسؤول عن المعسكر) بتلاوة الأمر اليومي على المقاتلين وقد أرخوا سلاحهم . وهذا الأمر اليومي يتضمن توزيع المهمات لليوم التالي : دور الحراسة (اثنان في النهار ، كل منهما مدة ست ساعات ، وبضعة أفراد في الليل) ، ومهمة الماء (الذي يأتي من بركة طينية قريبة ، ولكنّ في قعرها ديداناً وأفاعي وسراطين) ، ومهمة الحطب ، ومهمة الطبخ ، ومهمة العمل الجماهيري (الاتصال المنتظم مع الفلاحين) ، ومهمات الاتصال مع المعسكر الآخر ، والاتصال مع المركز اللاسلكي ، والهبوط الى السهل لملاقاة أعضاء جهاز « البريد والاعلام والتموين » ، وأخيراً مهمة التمرين العسكري للملتحقين الجدد. وإنه لمنظر مدهش ، منظر هذه الدائرة من الرجال الأجلاف ذوي البشرة الوسخة ، الذين أنهكهم التعب أو البرد في قلب الغابة ، وهم يطيعون الأوامر ويؤدون التحية ويقفون في وضع الانتباه كأنهم في استعراض عسكري . وصحيح أن فلاحي المنطقة الفتيان لا يحملون كل هذه المظاهر محمل الجد بل ينقادون لها دونما اقتناع ، ولكن هذه الطقوس لم تلبث مع مرور الأيام أن كشفت عن مهمتها : مهمة وضع حد للالتباس في توزيع الأعمال بين المحاربين ، والقضاء على ظاهرات النزوع العفوي الى الفوضى والمبادرة الفردية وعدم الانتظام ، هذه الظاهرات الناشئة عن طبيعة الظروف المادية .

وها قد وصل اليوم محاربان جديدان ، هما فتيان من «كراكاس» : عامل من حيّ «٢٣ كانون الثاني» وتلميذ في احدى المدارس المهنية . وفي المساء كالعادة ، يجتمع المعسكر كله لاستقبالها : ينشد الجميع السلام الوطني ونشيد المقاومة واقفين ، ثم يجلسون ؛ وإذ ذاك ينهض «تيري» ، قائد الفصيل وأقدم رجاله (وهو أحد مؤسسي حركة المقاومة المسلحة) ، ليلقي كلمة الترحيب باسم الفصيل الذي ينضم اليه القادمان الجديدان ،

ويحلل آفاق المعركة بكلمات بسيطة ، لا بلاغة فيها :

– من الممكن أن نكون في كراكاس في العام القادم ، ١٩٦٤ ، بعد بضعة أشهر ، بين نسائنا وأولادنا حول مائدة عامرة . ومن الممكن أيضاً أن نظل في الجبل حتى ١٩٦٥ أو ١٩٦٨ ... ولعل هذا أكثر احتمالاً ... ولا ريب ان الحل الأول سيكون لنا جميعاً حلماً حلواً ومصدر غبطة ، ولكننا نعلم ان الثورة العميقة البعيدة المرمى تحتاج منا أن نقاتل سنوات . ليس بيننا من يسعده ان يقاسي هنا الجوع والبرد والتعب ، ولكن الحرب القصيرة لا تأتي الا بثمرة هزيلة ، ونحن هنا نعمل لخلق « فنزويلا » جديدة كل الجدة .

ثم يختتم « تيري » خطابه بالحديث عن الأخطار القريبة، طبقاً لآخر المعلومات : فالجيش يعد هجوماً عاماً ، ويجب أن نتوقع أن يضربنا بالقنابل والصواريخ و «النابالم» . أما التعليمات فهي خفض صوت أجهزة « الترانزستور » ، وعدم الحديث بصوت مرتفع في الطرقات، والحديث ليلاً في المعسكر بصوت خفيض ، واطفاء مصابيح الجيب عندما يسمع صوت مرور طائرة .

ثم يقف القادمان الجديدان ، وقد غلبهما التأثر ، ليردا التحية ، فيقولان انهما يؤلفان جزءاً من فريق يضم خمسين رجلاً قادمين من كراكاس ، ولكن الآخرين لم يستطيعوا العبور . ويبدو أحدهما أكثر ثقة بنفسه فيقول وهو يؤكد كلماته بنبرة قاسية : « لقد شبعنا دفناً لموتاكم ، ونريد أن يأتي دور الحكومة بدفن موتاها هي أيضاً . انها هي التي بدأت الحرب » .

ويقول أيضاً :

« لقد بكينا كثيراً ، ونحن نعرف كيف نبكي ، ولكن علينا أيضاً أن ننتقم » .

وغداً مع الفجر ، في الساعة السادسة ، يبدأ المحاربان الجديدان تدريبهما .

الذين لم ينتظروا الغد

ان محاربي « القوات المسلحة للتحرر الوطني » ، ولا سيما محاربي الجبال ، هم أول من يعلم ان الحرب التي بدأوها حرب طويلة الأمد ، قاسية منهكة ، بتراجعاتها ومسيراتها الطويلة وتسوياتها الموقتة . وهـذه الحقيقة تؤلف دون ريب خيبـة لأولئك الذين كوّنوا ، في الخارج ، صورة سحرية خارقة للثورة في أمريكا الجنوبية . بل ان بعض الثوريين الفنزويليين ، ولا سيما الأكثر فتوّة ، قـد انساقوا هم أيضاً في لحظات معينة الى مثل هذا الحلم السحري ، ولو انه اتخذ لديهم شكـلاً أحفى بالتحوّطات وأدنى الى الواقعية . ولكن هذه الأحلام تبدو الآن من تراث الماضي ، وهذه الحرب الثورية ستكون من طول المـدى بقدر ما يملك العدو من القوة والحذر : فان ٨٠٪ من الدولارات الأمريكية المستثمرة بصورة أو أخرى في أمريكا الجنوبية هي مستثمرة في فنزويلا ؛ والبعثة العسكرية الأمريكية في كراكاس تتمتع بحلفاء أقوياء : برجوازية تجارية كلية السلطان مرتبطة عضوياً بسوق أمريكا الشمالية ، وحـزب تخلى عن عقيدته القومية،هو في اتجاه محتوم نحو الانحطاط ولكن جهازه البيروقراطي الذي يستخدم كل وسائل السلطة ما يزال قومياً ، وزعماء عجائز لمعارضة يسارية مشروعة ، أصبحت انتهازية منذ عهد بعيد

ان أية تسوية سياسية عابرة ، وأية « مشروعية » موقتة تضفى على الحزب الشيوعي أو على « الحركة الراديكالية المستقلة » ، وأية هدنة في الصراع ، لا يمكن أن تخفي هذه الحقيقة الجليـة : وهي انه ليس في فنزويلا من طريق سلمي ممكن للانتقال الى الاشتراكية في الظروف الراهنة.

وهذا أمر لم يقرره ثوار فنزويــلا ولا السيد « بيتانكور » ولا السيــد « ليوني » ، بل قررته طبيعة الدولة الرأسمالية نصف الاستعمارية ذاتها .

وهذا ما يدفع عدداً من الفنزويليين الى ان يتساءلوا : اذن لماذا المقاومة المسلحة في الريف ؟ لماذا عصابات « فالكون » ؟

أما الجواب فهو ان التجربة قد أثبتت ان أي عصيان شعبي عفوي ومتناثر لن يملك قط من الصلابـة ما يستطيـــع معه تحطيم جهاز الدولة المتجانس المكتمل التسلح . وربما كان صحيحاً ان العصيان الشعبي كاد أن يبلغ نقطة التحطيم هذه في ايام الغليـــان التي تلت ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٨ ، وفي مظاهرات كراكاس عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ ، وبصورة خاصة اثناء اضراب عمال النقل في كانون الثاني ١٩٦٢ . ولكن الأمل كان في كل مرة يتكشف عن وهم مخادع . وفي كل مرة كان العصيان يفتقر الى عموده الفقري : الى الجيش الشعبي النظامي . وأين يستطاع بناء مثل هذا الجيش ؟ في الريف طبعاً ، لا في المدينة .

و « دوغلاس » يعبر عن رأيه في هــــذا الموضوع بأسلوب بسيط : « العمل المسلح في كراكاس مهما بلغ من الصعوبة — وسواءٌ أكان كميناً لدورية أم هجوماً على سجن أم عملية تخريب أم سرقـة مستودع سلاح أم احتلال حي من الأحياء ، الخ ... — يحتاج الى ساعة أو ساعتين ، وفي أقصى الحدود إلى ليلة . وبعد ذلك يستطيع المقاتل أن يذهب لتناول قدح من الشراب قبل أن يعود الى منزله أو يقصّ الحكاية على خطيبته . وهذه بالطبع صورة كاريكاتورية ، فأنا لا أنتقص من شجاعة المقاتلين في المدينة ومن صلابتهم ، بل أريد الحديث عن الظروف المادية فحسب . أما هنا في الجبل فأي عمل هو أولاً مسيرةُ يومين ذهاباً في اتجاه الهدف ومسيرة يوم أو يومين رجوعاً منه ، مع علبة سردين فحسب أحياناً لليوم بطوله . وبعد ذلك يأتي العمل نفسه . أي أن المهم في التربيـة الثوريـة

ليس العملية المسلحة ذاتها فحسب ، سواء أكانت احتلال قرية أم مهاجمة نقطة مراقبة على الطريق ، بل هو بالقدر ذاته – وقبل العملية وبعدها – الصبر على الجوع والعطش والعياء . وهذا كله أقل بريقاً وأمجاداً ، ولكنه أكثر عمقاً واستمراراً : انه نوع من الانضباط الطبقي يحقق وحدة الجيش وتلاحمه » .

وهناك أسباب أخرى لأفضلية المقاومة الريفية على الكفاح الحَضَري. فلو كان لديك ألف رجل في كراكاس لاضطروا الى الانقسام خمسين أو مئة جماعة ، أما الألف المسلحون في الجبل فقد يستطيعون التركز في موضع واحد واذ ذاك يؤلفون قوة للمواجهة وتجانساً في المناورة أعلى بمراحل. وشكلا الكفاح الريفي والحَضَري يجب أن يسيرا معاً على أية حال وهذا ما تفعله « القوات المسلحة للتحرر الوطني » ، ولكن من المهم أن يعرف أي من هذين الشكلين يجب أن تكون له اليد العليا في مراحل النضال المتتابعة .

ففي المرحلة الأولى يكون للكفاح في المدينة أولوية على المقاومة في الجبل . ان كراكاس هي التي بدأت الثورة ، وفيها سقط الشهداء الأوائل ، بل كان قتلاها هم الأكثر عدداً . كراكاس هي التي قامت بالمظاهرات والاضرابات وبالفتن في الأحياء وبالنضال الطلابي حول الجامعة المركزية وفي داخلها وبتخريب المؤسسات الامبريالية . ولكن ماذا بعد ذلك ؟ بعد ذلك قد يحدث أن « تراوح » الحركة في مكانها، وأن تصاب القوى الثورية بالعياء ، وأن يظهر للناس أن الخسائر (من معتقلين وقتلى) أعلى بكثير جداً مما تحقق من أهداف . حينئذ تحتل المقاومة الريفية مكان الأولوية الذي كان للنشاط في مراكز المدن . ففي الريف يمكن أن تتكون تدريجياً ، وبصورة تكاد تكون مكتومة ، تحت الأرض، نواةٌ لا سبيل الى تحطيمها من الثوريين المكتملي التسليح ، مادياً ومعنوياً على السواء ، يمارسون التدرب بصورة مستمرة دون أن تطولهم يد القمع :

نواة يمكن ، حـين تؤون ساعة الحسم ، أن تتجمع من حولهـا قوى الشعب الحيّـة . صحيح أن الهدف يظل الاستيلاء على السلطة ، وان السلطة مستقرة في كراكاس وفيها وحدها تؤخذ . ولكن ، في أمريكا الجنوبية ، متّى حدث أن استطاعت القوى الشعبية الاستيلاء عـلى السلطة والاحتفاظ بها دون أن تدعمها من قريب أو بعيد أداةٌ للمعركـة ؟ إن أداة المعركة هذه هي التّي يتم بناؤها الآن ، هي هـذا الجيش الشعبي الذي تمّ ولادتـه في « فالكون » . وهي خير الضمانات للثورة . ومن أجل هـذا تستحق منا الثورة الفنزويلية الاعجاب وتقتضي منـا التضامن والدعم . ذلك لأنها ، من غير أن تعلن للناس أن موعدها غـداً ، لم تنتظر الغد لتعد نفسها للمعركة ، في صميم الألم والشجاعة واليقين بالنصر النهائي .

- ٢ -

دور المثقفين

(١٩٦٦)

ما هو هذا الحق الإلهي الذى يستطيع العامل الذهني ان يدّعي الامتياز به على العامل اليدوي لينعزل بنفسه عن كفاح كل العاملين ضد الاستغلال؟ أيكون للمثقف جنّة الخُلد وللمناضل الشيوعي العرَقُ العاقر والدنيا الفانية ؟ ان هذا التمييز الذي مكّنت له الاقطاعية باسم القضاء والقدر، فقسمت الكون بين عبد ومولى ، وعلماني وديني ، وأرض وسماء ، تمد الرأسمالية في عمره بالتقسيم الطبقي ، ولكن أي ثوري لا يستطيع قبوله . فتنظيم الثقافة والنهوض بها وانماؤها مهمة سياسية تعود الى الحزب،وتنظيم الحزب ، تنظيم الطليعة الماركسية اللينينية مهمة فكرية ، مهمة مثقفين ؛ وكلتاهما ينبغي ان تسيرا جنباً الى جنب . وفصل إحداهما عن الأخرى يقود الى مجتمع متاحف فارغة وسجون يملؤها الشيوعيون والثوريون ،

مثقفين وغير مثقفين . وهل من سبيل الى وجود ثقافة حقيقية حين تكون الفاشية والطبقات المالكة والأرهاط العسكرية في السلطة ؟ ان كتابة « رأس المال » لم تمنع ماركس من أن يكون مناضلاً سياسياً ومن أن ينظم « الأممية الأولى » يوماً بعد يوم . والنظر بازدراء الى الالتزام السياسي ، من ذروة لا أدري أية مرتفعات ، هو ما يسمى « التَّفيْقُه البرجوازي » في لغة السياسة ، و « السفسطة المنافقة » في لغة الأخلاق. بل هو آخر الأمر خيانة .

وأنا اذ أعرض لموضوع العلاقة بين المثقف والحزب ، لا اشير الى أي تعارض غيبي مفترض ، بل الى وضع تاريخي مرحلي ، انتقالي ، هو وضع ما بعد الحرب في بعض البلدان الأوروبية (وهو وضع لا يزال بحاجة الى التحليل والدراسة) . فأولئك الذين وضعوا على تنمية الثقافة قيوداً من تعليمات وأولويات سياسية قد انتهوا الى الحط من شأن الاستقلال النسبي الذي تمنحه النظرية الماركسية اللينينية للابداع الذهني ، في داخل البُنى الاجتماعية ، وبالتالي الى تعريض الماركسية اللينينية لخطر التخثر والركود . وهو خطر هاجمه « فيديل كاسترو » ، كما أشارت اليه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في معرض تناولها علاقة الايديولوجية بالثقافة . ولأقُلْ على الهامش ان مثقفاً بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، يجمع الدقة العلمية الى الثراء الطبيعي ، مثقفاً أغنى الماركسية اللينينية باضافات أكثر من سواه خلال السنوات الأخيرة ، وأدين له أنا شخصياً بالكثير شأن كل تلاميذه — وهو لويس آلتوسر — هو منذ أكثر من عشرين سنة عضو مناضل في الحزب الشيوعي الفرنسي .

وما يمكن أن نضيفه ، هو أن الممارسة النضالية لا تقف عند صورة واحدة . فأنت تكون مناضلاً في بلد رأسمالي اذا وزعت منشوراً في الشارع ، وإذا جمعت المال من أجل الحزب ، وبصورة خاصة إذا

أعددت نفسك للعصيان المسلح . ولكنك تكون مناضلاً أيضاً اذا كافحت العدو الطبقي كفاحاً ايديولوجياً بعملك الذهني أو بابداعك الفني ، لتنتزع من الطبقة المسيطرة امتياز احتكارها للجمال . فتلك وسائل مختلفة ينبغي لها ، على قدر المستطاع ، أن تتناسق . فاذا لم تخط دائماً نفس الخطى فلا أقل من أنها تتجه الى غرض واحد ، هو القيام بالثورة ، وعلى كل الجبهات . وإدراك عدم وجود تناقض بين هذه الوسائل ، وتنظيم تعاونها العملي : تلك هي مسؤولية المثقف الصادق الشعور بالروح الحزبية ، والذي تحدث عنه لينين .

وأخيراً ، ما هي عبرة الثورة الكوبية ؟ إن واحداً من دروسها هو أن تنشئة الانسان الجديد ليس فيها فاضل ومفضول ، لا تعرف أحداً يعلو على أحد . فالعامل في كوبا لا يملك امتياز العمل فحسب ، بل امتياز الدراسة أيضاً . والمثقف لا ينعم بامتياز الدراسة فحسب ، بل أيضاً بامتياز الإسهام في العمل المنتج . وحين يقف الاثنان لرد العدوان العسكري لا تميز الرصاصة الامبريالية بين الشاعر وبين قاطع قصب السكر . وكل ما يعيق المثقف عن الالتزام الشخصي بتاريخ عصره ، هذا التاريخ الذي تصنعه الطلائع المنظمة — المناضلة مع كل العاملين كتفاً الى كتف — يضيق مدى تماسه مع الحياة ويوهي من طاقته المبدعة ويؤخر قيام الاشتراكية .

وإذا لم تكن هناك مهمة أكثر إنسانية وأكثر ثورية من مهمة القيام — هنا ومنذ الآن — ببناء أخلاق سلوكية وحياة يومية شيوعيتين ، أخلاق وحياة لا يعود فيها متخصصون ، بعضهم يحترفون الفكر وبعضهم يحترفون العمل السياسي ، بعضهم مثقفون وبعضهم مناضلون ، فانه لعديم الانتاج بقدر ما هو مدعاة للسخرية أن نضفي القدسية اليوم على ما نريد غداً تحطيمه .

-٣-

حوار مع طلاب «هافانا»

(١٩٦٦)

قبل كل شيء ، أيها الرفاق ، ينبغي أن أقول لكم انني لم أهيء محاضرة ولا جئتكم بحديث مكتوب . أولاً لأني لا أشعر اني مؤهل حقاً للتكلم معكم عن أمريكا اللاتينية ، وثانياً لأني لم أكن اظن ان عليّ ان أفرد اليوم بحديث خاص . وتجاه هذا القصور آمل ان توافقوا على ان نتبادل الآراء بشأن مؤتمر القارات الثلاث ، أو — اذا شئتم — أن نطرح مشكلات تتصل به ، مشكلات تتناول الطابع القاريّ للكفاح الثوري في أمريكا اللاتينية . وفي هذا المجال ، من الواضح ان الرجل الذي حدد لنا ، أو لي انا على الأقل ، خطاً فكرياً وواقعياً ، هو « القومندان تشي غيفارا » ، الذي عرضت كتاباته كلها الأفكار الجوهرية التي أتاحت لي بلوغ ما أتبناه الآن من مواقف . بصيغة اخرى ، لأقُلْ

اني شخصياً ما كنت بقادر على أي عمل لولا اني بدأت أولاً بقراءة مؤلفات « تشي » النظرية . وأخص بالذكر نقطة أثارها « تشي » بجرأة في مقالته عن « حرب العصابات كمنهج » ، وهي الجانب القاريّ من الكفاح المسلح في أمريكا اللاتينيـــة . ففي ظني ان مقالته هذه تعود الى ١٩٦٢ أو ١٩٦٣ ، والوضع الراهن هو بداية ما كان « تشي » فيها قد رسم خطوطه العريضة . ولكننا نستطيع الحديث عن كـــل هذا فيما بعد . أما الآن فلنبدأ حديثنا بأسئلة تطرحونها عليّ . فمن كانت لديهم قضايا يثيرونها او اسئلة يطرحونها ففي وسعهم ان يبادروا الى ذلك .

١ ـ ما هو الخطر الذي يمثله نجاح « الديمقراطيـــة المسيحية » على الحركة الثورية في امريكا اللاتينية ؟ وما هو الوضع الراهن في الشيلي ؟ وفي هذا الوضع ماذا كان موقف ـ او تصحيح موقف ـ الحزب الشيوعي والقوى الثورية الشيلية ؟

ج ـ الإجابة الموفقة على هذا السؤال تقتضي ان يكون المرء شيلياً ، وتقتضي بوجه خاص ان يكون المرء قد عاش طويلاً في الشيلي . وأنا قد زرت الشيلي قبل وصول الديمقراطيين المسيحيين الى السلطة بوقت قصير ، أي قبل ما يقارب العامين ، فلا أستطيع ان اعطيكم الا انطباعات اصبحت قديمة .

من المؤكد أن الديمقراطية المسيحية هي اليوم أقوى التيارات السياسية غير الثورية في أمريكا اللاتينية . ومن المؤكد أنها تؤلف بالنسبة للرجعية حلاً بديلاً ، تعويضياً ، بعد الخيانة الفعلية لما يمكن أن يسمى الاشتراكية الديمقراطية في أمريكا اللاتينية .

إن هذا هو ما يحـــدث الآن وما حدث في الشيلي ، وهو أيضاً ما

يحتمل أن يحدث في فنزويلا . فلا ريب في أن حركة « الكوباي[1] » في فنزويلا ستكسب مزيداً من القوة لأنها ذات واجهة ثورية ، أعني : لأن مواقفها « ديماغوجية » جداً ولأنها في الوقت نفسه تحارب التيار السياسي الفنزويلي الأكثر رجعية صارخة ، وهو « حزب العمل الديمقراطي » . و « الكوباي » ، التي تنتقد الآن ما تتخذه حكومة « العمل الديمقراطي » من اجراءات بالغة الرجعيـــة ، كانت هي نفسها في كل حين تستغل السلطة لتضمن نفسها بوصفها حزباً كل ما يتمتع به جهاز السلطـــة من موارد قوة . وهذه اللعبة المزدوجة تتيح لها أن تخدع بعض الناس .

أما مشكلة الشيلي فان في كوبا الآن رجلاً يستطيع أن يتحدث عنها حديث العالم الخبير ، وهو السيد « أليندي »[2] . فلا بد أن « أليندي » يعي جيداً هذه المشكلة لأنه هو نفسه ذهب ضحية التهوين من شأنها . وأتصور — وإن كنت لا أعلم شيئاً من ذلك — أنه قام دون ريب بنقد ذاتي لنفسه على هذه الخطيئة .

وأظنّ أن أشكال الصراع في الشيلي تتميز بصور خاصة . وربما كان الشيلي ، بين بلدان أمريكا اللاتينية ، البلد الوحيد الذي يستطيع اعتبار نفسه متميزاً حقاً . وبالمقابل فان خطيئته الأساسية ربما كانت في أنه يعتبر نفسه ذا تميز نوعي كلي ، يعتبر نفسه امتداداً لأوروبا الغربية في أمريكا اللاتينية . ولكنه لم يقع في هذه الخطيئة إلا لأنها كانت ذات أساس في الواقع . وعلى أية حال فأنا لا أعتقد أن حكومة « فراي » قد انتهت

---

١ الـ « كوباي » (C. O. P. E. I.) هو « الحزب الاجتماعي المسيحي » في فنزويلا ، وترجع هذه الحروف الأولى إلى الاسم الذي كان اتخذه يوم نشوئه ، بوصفه « اللجنة التنظيمية للدعوة للانتخابات الفورية » . (المترجم)

٢ « أليندي » ، في انتخابات الشيلي عام ١٩٦٤ ، كان مرشح الشيوعيين والاشتراكيين ضد « فراي » الديمقراطي المسيحي الذي فاز بالرئاسة . (المترجم)

من اختيار طريق محدد . بل هي في ظني لا تزال عند مفترق الطريق، وسيكون عليها أن تختار : إما مع الرجعية وإما مع الشعب . ولذلك من المحتمل الآن أن يستمر بعض الالتباس ، وان كان لن يدوم طويلاً . ولست أستطيع أن أزيدكم رأياً في هذا الشأن ، إذ أن هذا كان يقتضي أن أشهد بنفسي التطور السياسي منذ استلم « فراي » السلطة .

٢ — ما هو في نظرك ، تجاه الظروف الراهنة لستراتيجية النضال في أمريكا اللاتينية ، الدور الذي يجب أن يلعبه المعسكر الاشتراكي ؟

ج— الدور الأول هو أن يفهم حقاً ما يجري في أمريكا اللاتينية. والثاني هو أن يساعد الحركة الثورية مساعدة كلية . والثالث هو أن يهيء في السوق العالمية ظروفاً تسمح ، متى حصل بلد ما على الاستقلال ، بأن تستطيع حركته الثورية الاستمرار في البقاء اقتصادياً . وهذا يعني أنه ينبغي تقسيم سؤالك الى فقرات : قبل استلام السلطة السياسية وبعده .

من الواضح ان المعسكر الاشتراكي ينقسم الآن الى قطاعين ، بينهما حملات واتهامات متبادلة ، يصعب الحديث عنها حين يكون المرء فرنسياً لا يحمل أية مسؤولية في المعسكر الاشتراكي . على ان هناك — فيما أظن — تطوراً انفتحت ابوابه فيما يتعلق بالمسار الثوري . ولقد لاحظ كثيرون في مؤتمر القارات الثلاث شيئاً اشبه باتجاه جديد للمعسكر الاشتراكي تجاه الحركة الثورية . فالاتحاد السوفياتي كما تعلمون كان حتى عهد قريب ، لنقل : حتى سقوط خروتشيف ، وأخذاً بتقليد تاريخي، وثيق الارتباط بالحركة العمالية الأوروبية بالدرجة الأول ، وبالتالي كان متزايد التأييد لفكرة الانتقال السلمي الى الاشتراكية ، اي لنظرية الطرق البرلمانية، هذه النظرية التي تناسب الحركة الأوروبية ولكنها تتجاهل الظروف الفعلية للنضال في ما نسميه العالم الثالث . اما الآن فيبدو ان هذه المرحلة تكاد

تتخطى وان الاتحاد السوفياتي يدرك ما يجري في امريكا اللاتينية ، بعد ان كان الكفاح المسلح ــ الذي هو صيغة الكفاح الأساسيــة في امريكا اللاتينية ، او على الأقل في البلدان المتخلفة منها ــ ذا سمعة بالغة السوء في اوروبا الغربية . كانوا يسمونه « مغامرة » ، او « انقلابية » ، او « تروتسكية » . ولا اظن ان هـذه الآراء كانت رسمية ، ولكن كان المجال مفتوحاً للقول بها أمام أعضاء أحزاب عديدة .

أما النقطة الثانية فما أحسب انها تثير مشكلة . فالجميع يتفقون على القول بأن تأييد حركات التحرر الوطني لا يجوز ان يكون له طابع القسر. ومن الجلي الآن ان كل العون الذي يمكن منحه لحركات التحرر سيكون مبنياً على الحاجات الخاصة بهذه الحركات ، التي ستكون مطلقة الحرية في استخدام هذه الموارد .

وأما النقطة الثالثة فقــد عرض لها « القومندان غيفارا » في مؤتمر الجزائر . ولكن المشكلة موضع نقاش كثير . إنهـا مشكلة من مشاكل السوق العالمية ، مشكلة أسعــار المواد الأولية التي تحددها الآن القوى الرأسمالية . والهدف هو أن يستطاع ، في داخل السوق العالمية ، إقامـة سوق تضــامن ودعم للبلدان التي كانت الأسعار البالغة الانخفاض التي تفرضها الدول الرأسمالية شديدة الخطر عليها . وهذا الهدف يطرح أسئلة لا تخلو الاجابة عليها من عناء ، لأنها لا تزال موضع نقاش . ولكني لا أعتقد ان هناك مشكلة اساسية لا تكون عرضة للنقاش .

٣ ــ بالنظر لما للنظرية الثورية من أهمية كبرى ، وللنمو الذي حازته في هذا المجال بعض الأحزاب (الشيوعية) الأوروبية، ولا سيما الفرنسي والايطالي ، بالاضافة الى ما تراكم لديها من خبرة ، ما هو العون الذي تعتقد ان هذه الأحزاب تستطيع تقديمه لحركات التحرر في هذا المجال؟

ج ــ هذا في رأيي سؤال ممتاز لأن في وسع هذين الحزبين، الايطالي

والفرنسي ، وعليها ، بوصفهما حزبي جماهير وكوادر معاً ، أن يقدما عوناً كبيراً لحركات التحرر على هذا الصعيد . فلا سبيل الى أن تكون هنالك ممارسة ثورية ، كما تعلمون ، من غير نظرية ثورية. وفي أمريكا اللاتينية بوجه خاص ، بعد الثورة الكوبية ، لم يعد في المستطاع تطوير ممارسة ثورية من غير أن يبذل جهد كبير لفهم « الأمبريالية » وفهم الوضع الوطني في كل بلد . وهناك أسباب تحتاج الى دراسة ، من أجلها نرى حركات التحرر تهوّن من شأن العمل النظري ، أي من شأن ما يمكن أن نسميه الممارسة النظرية . وهذا التهوين ليس مقصوداً ولا هو صريح ، بل هو ثمرة حاجة تاريخية ملحة هي الكفاح المسلح ، وثمرة الافتقار التاريخي للكوادر . والأحزاب الأوروبية تستطيع تزويد حركات التحرر لا بالكوادر فحسب ، بل أيضاً بوفرة من المعلومات التاريخية والاقتصادية والنظرية . والخطر الكبير هو في السعي الى التعويض عن النظرية المفتقدة ببعض الثرثرة الثورية . فمن الصحيح دون ريب انه يوجد أو يمكن أن يوجد بعض التماثل في اللغة الثورية على صعيد استعمال الصيغ وتكرارها . ولكن الصيغ تظل على حالها بينما التاريخ في تغيّر . الصيغ تكرر نتائج جهد نظري جرى في العشرينات من هذا القرن ، مع انه ينبغي أن يعاد النظر في هذا الجهد على ضوء ظروف البلدان المتخلفة اليوم . ووراء هذا التكرار يكمن خطر نشوء لغة من طراز أخلاقي تزعم الحلول في مكان لغة المعرفة الحقة ، اللغة العلمية . فلن يقضي على الأمبريالية ان نتحدث عنها بالسوء أو أن نُلحق كلمة « الأمبريالية » بكل ما نشاء من نعوت. بل المطلوب هو أن نضع الآن نظرية للامبريالية الأمريكية الشمالية ، أن نعرف العناصر التي تتألف منها، والأساليب التي تعبّر عن نفسها بها ، ووزنها في اقتصاد كل من بلدان أمريكا اللاتينية، وأن نعرف ما هي استراتيجيتها وما هو تكتيكها . وفي هذا يبدو لي ان للأمبريالية امتيازاً كبيراً على الشعوب،ويبدو بصورة خاصة ان الأمبريالية

تدرك ببصيرة نظرية واضحة تكتيك الثورة في أمريكا اللاتينية واستراتيجيتها. فالثورة الكوبية قد دفعت الزعماء الأمريكيين الى كثير من التفكير ، وأظن انهم انتهوا من هذا التفكير الى ان من الواجب وقف أية حركة ديمقراطية برجوازية قبل أن يتاح لها النمو ، أعني : عدم السماح لأية حركة اصلاحية بالانطلاق لأنهم يعرفون انها آخر الأمر ستنتهي الى حركة ثورية حقيقية وانه سيكون أعسر جداً اذ ذاك أن يحطموها . وهذا في رأيي أحد التفسيرات التي قد تكون صائبة لغزو « سان دومينغو ». ففي الماضي ، عام ١٩٦٠ مثلاً ، كان في وسع « خوان بوش » أن يدخل « سان دومينغو » دون أية صعوبة ، ولكنه — بعد ان انتهت الأمبريالية الى ذلك الرأي الصائب — لم يستطع استلام السلطة ، وسارعت الولايات المتحدة الى غزو « سان دومينغو » قبل أن تنمو فيها حركة ديمقراطية .

والامبريالية ، اذ تستخدم وسائل عنف من هذا النوع ، تدلل على ادراكها للطرق الموضوعية المؤدية الى الاستيلاء على السلطة في أمريكا اللاتينية . وهذا تبرهن عليه وقائع عديدة ، مثل تعاظم تنسيق سياسات القمع في أمريكا اللاتينية ، وإنشاء ما يمكن أن يسمى قيادة موحدة سياسية وعسكرية تحوّل « منظمة الدول الأمريكية » الى أداة سيطرة عسكرية عن طريق تنظيم قوى السلام الأمريكية المشتركة ، هذا التنظيم الذي يراد تحقيقه الآن . وكذلك الرجعية في أمريكا اللاتينية ، فهي قد بلغت درجة من التنظيم والتمركز تفرض بالضرورة على ثورة الشعوب درجةً تماثلها ترابطاً وتضامناً ومركزية .

والامبريالية اليوم — وأنا لا أزال أتابع الجواب على سؤالك — قد تقدمت شوطاً بعيداً في مجال التنظيم . وهذا الجانب من المشكلة مرتبطٌ بالجهد النظري بمقدار ما يؤدي التهوين من شأن النظرية الثورية، بصورة آلية ، الى التهوين من شأن التنظيم ، إنهما ظاهرتان دائمتا الترابط .

ومن هنا فإن الخبرة التي تستطيع الأحزاب الأوروبية القديمة إضافتها

هي التجربة التالية : ان أوروبا الغربية قد عرفت هي الأخرى أزمة ثورية بالغة العمق حوالي العام ١٩٢٠ ، هي الأزمـــة التي جاءت مباشرةً في أعقاب الثورة البلشفية . وكان كل الناس يعتقدون أن تلك الأزمة نهائية لا سبيل إلى تخطيهـــا ، وان أوروبا لن تخرج من تلك الأزمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية معاً . ولكن لينين أكّد عـام ١٩٢٠ ، في خطابه أمام المؤتمر الثاني للأممية الثالثة ، أنه ليست هناك من أزمـة لا تستطيع البرجوازية تخطّيها ، أي : لا توجد ظروف موضوعيـة تصبح الرجعية معها في درب مسدود . فكل شيء يتوقف ــ فقط ــ على درجة تنظيم الطبقات المستغلة ووعيها . ولهـــذا السبب كان لينين باستمرار يعارض أولئك الشيوعيين والاشتراكيين الذين كانوا يقولون،عامي ١٩٢٠ و١٩٢٤ : « ان الأزمة الثورية هي من الحدّة بحيث لا بد في أية حال من نشوب ثورة » . على هذا الزعم كان لينين يجيب دائماً : « ليس هناك شيء يدعى أزمة ثورية في ذاته . لا تقوم الأزمة الثورية إلا إذا كان للطبقات المستغلة قيادة وتنظيم ، وإلا إذا كانت تقوم بجهد نظري وعملي» . وهذا هو الذي حدث في الواقع : حال القصور العقائدي والتنظيمي دون قيام الاشتراكية في أوروبا بعد عام ١٩٢٠ ، بينما نجحت الفاشية ، من جانبها في تثبيت أقدامها . وهكذا لم تؤدِّ الأزمة الثوريـــة إلى ثورة ، بل إلى رجعية أكثر ضراوة . وهذا النوع من التجارب هو الذي يمكن أن يفيد الآن في أمريكا اللاتينية . واليوم تُنشَر في أوروبا دراسات كثيرة حول الأزمة الأوروبية التي امتدت من ١٩٢٠ الى ١٩٣٣ . وحركات أمريكا اللاتينية قد تستطيع أن تجد فيها بعض النفع .

٤ ــ في مقـــالك : « أمريكا اللاتينية ــ بعض قضايا الستراتيجية الثورية » ، قلت ان بعض الحركات الثورية قد أخفقت لأنهـــا قلدت النموذج الكوبي . فإذا اتفقنا على أن حرب العصابات هي الآن الصيغة

الأساسية للكفاح ، وان التجربة الكوبية قد تمَّتْ على هذا الأساس، فهل تتفضل بايضاح بعض الجوانب الغامضة في هذا القول ؟

ج – إن القول بأن حرب العصابات هي الصيغة الأساسية للكفاح في كل أمريكا المتخلفة قول تتزايد الدلائل على صحته كل يوم . أما ما عنيته في ذلك المقال فهو أن تلك الفئات كانت تحسب أنها ستستطيع بلوغ النجاح بمثل السرعة التي انتصرت بها الثورة الكوبية ، وأيضاً : بمثل العفوية التي قامت بها الثورة الكوبية عام ١٩٥٧ . وهذا موقف يتأدى عن التهوين من شأن الامبريالية . على أن تلك المحاولات قد أخذت ، في الوقت نفسه ، بالخط الأساسي للثورة . وما ينبغي الآن هو العودة الى تجربة الفشل الأخيرة ، لاستخدامها في تمييز جانبها السلبي من جانبها الايجابي بحيث يُستطاع استئناف الكفاح من جديد بصورة أفضل . وهذا ما يجري الآن في « البيرو » ، حيث رأينا « الحركة اليسارية الثورية » (M. I. R.) – بعد ما يمكن أن نسميه فَشَلَين : فشل محاولة « هوغو بلانكو » وفشل محاولة عصابة أخرى في « بويرتو مالدونادو » عام ١٩٦١ على ما أظن – تنجح في استخلاص العبرة من هاتين التجربتين الفاشلتين وتختط لنفسها اتجاهاً أكثر صلابة . وهذا النهج في تصحيح الأخطاء نجده أيضاً في فنزويلا ، وفي كولومبيا مع بعض الفوارق . فنظرية «البؤرة» ، كما عرّفها « تشي غيفارا » لا تتلاءم تماماً مع الواقع في كولومبيا ، حيث لم تكن هناك حاجة لإقامة أية بؤرة ، لأن بؤر الكفاح كانت موجودة سلفاً في الريف ، وهي تلك التي اشتهرت باسم « الجمهوريات المستقلة » . ومع ذلك فان الحزب الشيوعي الكولومبي قد حلل أسباب فشل عدد من الحركات كانت حاولت إنشاء بعض البؤر عام ١٩٦١ في « سنتاندير » و « فيتشادا » فلم يكتب لها بقاء ، باستثناء واحدة رسخت أقدامها ولا تزال تتابع نموها ، وهي الحركة التي يقودها « غايتيان » على نحو قريب من النموذج الكوبي ، في مقاطعة « سنتاندير » . وهي

تسمى « جيش التحرير » وتزداد يوماً فيوماً قوة .

كل هذه التجارب تحمل الدليل على أن طريق الكفاح الوحيد هو الكفاح المسلّح في الريف تسانده حركة جماهيرية في المدينة . أي أن الصيغة الأساسية تظل في الريف لأن الكفاح الريفي هو الوحيد الذي ييسّر إنشاء جيش للتحرير ، جيش لا يمكن أن ينشأ في المدينة لأسباب تكنيكية وسياسية .

أنا إذن لا أضع قيمة النموذج الكوبي في العصيان موضع شك.ففي « فنزويلا » مثلاً أخفق الكفاح المسلح في المدن ، لأسباب عديدة ، وفي وسعنا القول ان هذا الاخفاق جاء دليلاً جديداً على أن الريف يجب أن يكون ميدان العصابات الرئيسي . كل ما أردت قوله هو أنه لا يجب أن يطبّق النموذج الكوبي بصورة آلية ، بل يجب أن تؤخذ في الحسبان أولاً ظروف البلد الخاصة ، وثانياً ما حصل من تبدل في علاقات القوى مع الامبريالية في أمريكا اللاتينية بعد الثورة .

٥ ـ ما هو « التكتيك » الذي يجب أن تتبعه الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية تجاه الكنيسة الكاثوليكية ؟

ج ـ لا أملك ان أعطيكم جواباً عاماً ، ولا أن أقول لكم ما ينبغي أن تفعله هذه الحركة أو تلك. كل ما أستطيعه هو وصف ما تفعله الحركات ، وهذا شيء آخر ، لأن لكل بلد ظروفه الخاصة . وأظن انه يجب أولاً أن نتحدث عن الأب « كاميلو توريس » : فانه لنصرٌ للحركة الثورية الكولومبية أن يكون راهب مثل « كاميلو توريس » قد التحق على هذه الصورة الكلية بصفوف الثورة . وهذا أيضاً دليل على انه لا ينبغي انتهاج سياسة معادية للكاثوليكيين في هذه المرحلة من النضال ، بل ولا في السنوات التي تليها. فالكاثوليكيون يجب أن يلعبوا دوراً ثورياً كالآخرين، بل ربما أكثر من الآخرين بسبب المناقب الأخلاقية التي يمكن أن يمتاز

بها الكاثوليكي المناضل . والأب « كاميلو توريس » قد التحق بالبؤرة الثورية في « سنتاندير » ، التحق بجيش التحرير الذي حدثتكم عنه قبل قليل، ومن المؤكد انه جرّ معه فئة كبيرة من الكاثوليكيين، والاجتماعات التي كان يعقدها كانت دائماً زاخرة بالحاضرين ، ومنذ موت «خورخي الياسر غايتان » (وهو غير القائد الحالي «غايتان») لم تشهد كولومبيا مظاهرات في مثل ضخامة تلك المظاهرات التي استطاع الأب « كاميلو توريس » حشدها في « مادلين » و «بوغوتا» وأماكن أخرى مختلفة ، على رأس جبهة « الوحدة الثورية الكولومبية » . وهذا أمر بالغ الأهمية لأن كولومبيا هي البلد الذي تتمتع فيه الكنيسة الكاثوليكية بأعلى مكانة وأوسع سلطة . ففي فنزويلا ليس للكنيسة بالطبع مثل هذا التأثير العميق، كما انها في البيرو وبوليفيا والاكوادور لم تستطع أن تمد نفوذها بعيداً في الوسط الريفي . ولذلك ربما كانت كولومبيا هي البلد الوحيد في أمريكا اللاتينية، الذي كان لا بد فيه من أخذ الكاثوليكيين بعين الاعتبار وانتهاج سياسة تحالف معهم . وقد تم انتهاج هذه السياسة بنجاح بالغ المدى . ففي الجبهة المعادية للاستعمار ، كما قال « فيديل » عدة مرات ، هناك متسع للجميع. ولا يجوز أن يفرض على هذه الجبهة أي اتجاه عقائدي متعصب.

٦ ـ ألا تعتقد ان هناك تناقضاً في كون الطلاب (وبصورة عامة اولئك الذين يأتون من أوساط المثقفين) هم الذين يقودون الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية، وفي كون هذه الحركة في الوقت نفسه تعاني من قصور شديد على الصعيد النظري ، ومن تقصير بالغ في مجال تعميق الايديولوجية الثورية ؟

ج ـ هذا تناقض لم يخطر لي التفكير فيه من قبل. صحيح ان الطلاب هم الآن على رأس الكفاح المعادي للاستعمار في أمريكا اللاتينية ؛ ولكن يمكن أن نقول أيضاً ان المثقف في فنزويلا أو البيرو ، حين يلتحق

بالكفاح المسلح ، قد ينسى بعد قليل من الوقت منشأه الفكري . وهو ربما يفعل ذلك لأن وجوده في الطليعة يفرض عليه كثيراً من المهـام العاجلة . ونستطيع هنا أن نذكر مثال « لويس دي لابوينتي أوسيدا » : فهذا رجل لا يمكن اتهامه بأنه نسي جهد التعمق الايديولوجي ، ولكنه لا يملك الوقت اللازم للقيام بهذا الجهد . هناك اذن تناقض فعلاً ، لأن هاتين الظاهرتين تتحققان في الواقع .

وهناك تهوين ظاهر من شأن النظرية الثورية ، أي من شأن النقـد الذاتي وتحليل العدو والبيئة الواقعية ، كما فعل ذلك رجال مثل لينـين وماوتسي تونغ خلال كل الثورة السوفياتية وكل حرب التحرير الصينية. فبعد اخفاق ثورة ١٩٠٥ قام لينين بنقد علني وتحليل علني لأسباب هذا الاخفاق ، وهو قد قام بذلك كعمل جماهيري ، كعمل يستهدف ايصال ذلك النقد الذاتي الى الجماهير ، ولعل هذا هو الذي جعل فشل ١٩٠٥ لا يتكرر مرة أخرى عام ١٩١٧ . ان هذا أمر بالغ الأهمية .

٧ — في الظروف الراهنة في أمريكا اللاتينية ، أي الطبقـات ، في رأيك ، هي تلك التي تؤلف الطليعة الثورية ؟

ج — هذا سؤال آخر عسير الجواب، لأنه يتناول مسألة مجردة تظهر في الوقائع ظهور المسائل المحسوسة ، أي المتغيرة تبعاً لتغـير البلدان . فمن الواضح ان نشوء البؤرة الثورية هو عملياً التقاء الفلاح الفقير مع من يمكن أن نسميه المثقف الثوري ، وان هذا الالتقاء يتيح انطلاق الشرارة التي بفضلها تنطرح القضايا على صعيد أوسع . وصعوبة تحديد الطبقة الطليعية تنشأ عن ضرورة التمييز بين مرحلة مكافحة الأمبريالية ومرحلة تصوّر مجتمع مغاير للمجتمـع الرأسمالي . وأنا أظن ، بكثير من الاخلاص ، وبقدر ما نستطيع القول بوجود طبقات محددة في أمريكا اللاتينية ، ان الطبقة الطليعية اليوم هي طبقة الفلاحين الفقراء المجتمعة تحت القيادة الواعية

المتمثلة في الوسط الطلابي . هذا لا يعني اننا لا نجد عمالاً في عصابات فنزويلا أو البيرو ، بل يعني انهم برغم وجود عدد منهم لا يمثلون بعد القوة الرئيسية . لماذا ؟ لأسباب تاريخية مختلفة : ضعف الطبقة العاملة عددياً ، وتحوّلها الى البيروقراطية ، وتحولها واقعاً الى الارستقراطية في البلدان التي بلغت فيها نسبياً بعض النمو ، وكونها مقيمة في المدينة بينما المعركة الأساسية تدور في الريف . وكل هذه الأسباب المتنوعة تجعل من الفلاحين القوة الرئيسية ،لا قوة الطليعة بمعنى القيادة أو الايديولوجية. وهذه نقطة هامة ، لأنها تعني ان في وسعهم ان يصبحوا قوة الطليعة اذا رافقت اجتماعهم قيادة ثقافية . وأنا اذ أقول قيادة ثقافية أكرر — في ميدان الفلاحين — ما جرى في تاريخ الحركة العمالية . فأنتم بالطبع تعرفون ان واحدة من الأطروحات الأساسية في اللينينية هي ان الماركسية قد استُوردت من الخارج وان الواجب يقضي بمتابعة استيرادها . فما من حركة عمالية تستطيع أن تولّد عفوياً نظرية الرأسمالية ونظرية الحزب والطليعة الثورية . ولقد كان لينين يكرر دائماً ان الماركسية عملياً خلقها مثقفون ثوريون وانها استوردت الى المنظمات العمالية بواسطة المثقفين أنفسهم. وما اضطر لينين الى محاربته هو الروح الاصلاحية ، أي الاتجاه العمالي الى العفوية ، القاضي بترك الطبقة العمالية تباشر معاركها الاقتصادية الطراز دون أن تستطيع هذه المعارك من تلقاء ذاتها أن تنتقل الى المرحلة الايجابية نحو السياسة . هذا اللقاء بين المثقفين والفلاحين في أمريكا اللاتينية ليس اذن أبداً بالظاهرة الأصيلة الجديدة،ولا هو استثناء من قاعدة نمو الحركة الثورية .

٨ — ماذا كان أثر انقسام المعسكر الاشتراكي على نمو الكفاح في أمريكا اللاتينية ؟

ج — هذه قضية هامة جداً؛فانقسام المعسكر الاشتراكي قد أدّى الى

إضعاف حركات التحرر في العالم لأنه انعكس على كفاح ما نسميه « العالم الثالث » . كثيرة هي الأحزاب الشيوعية التي انقسمت على نفسها، ولكن هذه الانقسامات لا تجد تفسيرها دائماً في السياسة الدولية . وفي أماكن عديدة من أمريكا اللاتينية ، أرى أن هذا الانقسام قد وجد ما يبرره أو يمكن أن نجد ما يفسّره في بعض ما تم ارتكابه من أخطاء . أعني أن انقسام بعض الأحزاب الشيوعية قابل للتفسير بغير ما حاجة الى اعتباره انعكاساً آلياً للنزاع بين الصين والاتحاد السوفياتي ، إذا لاحظنا أن هذا النزاع قد تواقت عرضاً مع مشكلات داخلية محلية محضة . فمشكلة الاختيار بين خط بكين وخط موسكو هي دون ريب مشكلة موهومة ، زائفة الطرح . واذا كان الواجب يقضي بالكفاح كفاحاً كامل الاستقلال ، فلا يجوز اضعاف الجبهة المعادية للاستعمار بنزعات ايديولوجية . وما يجب فهمه هو كيف أن هـذه المشكلة الموهومة يمكن برغم ذلك أن تنطرح كمشكلة حقيقية : ففي رأيي أن هذا الالتباس يعود الى افتقار أمريكا اللاتينية للوعي القارّي . أعني – بشكل لا يخلو من تبسيط – أن عدم وجود مركز ثوري أمريكي لاتيني فحسب قد أدى بصورة شبه آليّة الى ارتباط حركات التحرر أو الحركات العمالية بأحد ذينك المركزين المعترف بهما : إما موسكو وإما بكين . ولكن متى نما الوعي القاري ، متى أصبح الكفاح يتمتع بتنسيق وبوجدان أمريكيين لاتينيين فحسب، بفضل الثورة الكوبية، وبقدر ما يتم ذلك ، فان مركز الجاذبية سينتقل بالضرورة نحو داخل القارة ، فلا يعود من الضروري الذهاب الى الخارج بحثاً عن نقاط استناد . فآثار انقسام المعسكر الاشتراكي قد انعكست على حركة أمريكا اللاتينية لأن هذه الحركة لم تكن قد وعت بعد أنها حركة أصيلة، ولكن بقدر ما تتأكد نظرة قارّية صرفة ، أعني : بقدر ما يغدو في مستطاع كل حركة وطنية أن تعتمد على عون الحركة المجاورة في مجموع القارة ، ستجد كل حركة خطاً صادق الاستقلال .

على أني أود أن أضيف أن كون مشكلة الخيار بين موسكو وبكين مشكلة كاذبة لا يعود فقط الى ضرورة تحديد خط يتناسب مع الظروف الواقعية في كل بلد . بل إن هناك شيئاً آخر . لننطلق من كون التاريخ يتكرر دائماً مرتين ، وسأحدثكم بكل صراحة عن بعض القضـــايا . إن وضع حركات التحرر الأمريكية اللاتينية التي يمكن القول بأنها تأخـذ بالاتجاه الصيني يمثل كفاحاً على جبهتين : جبهة الامبريالية وجبهة المراجعـــة . وهذه الحركات ترى أن كفاحها المزدوج هذا كفاح واحـد فحسب ، قائلة إن الانتصار على الامبريالية يقتضي الانتصار أولاً عـلى المراجعة ، وأن هذا يؤدي الى النتيجة التالية : ليس هناك إلا معركة واحدة ، ضد المراجعة وضد الامبريالية معاً ، وكلتاهما نفس العدو . « فالقول بعـدم التمييز بين المعركتين ، القول بأنهما معركة واحدة ، يؤدي الى استنتاج أن هناك عدواً ذا وجهين ، ولكن ليس هناك إلا عدو واحد . وهذا هو الرأي الذي قيل به في الأممية الثالثة بعد المؤتمر السادس عام ١٩٢٨ ؛ وقيل به أيضاً عام ١٩٢٩ في الجمعية العمومية العاشرة للأممية الثالثة التي انتهت الى المواقف التالية : الاشتراكية الديمقراطية تعادل الاشتراكية الفاشية ، وللانتصار على الفاشية الأوروبية يجب التغلب أولاً على الاتجاه الاصلاحي لدى الاشتراكيين الديمقراطيين . هذا هو السبب الـــذي من أجله كان على الشيوعيين في ألمانيا ، بين ١٩٢٩ و ١٩٣٣ ، أن يحاربوا على جبهتين ضد الاشتراكيين وضد الفاشيين . لماذا ؟ لأنه كانت في بلدان أوروبـا الغربية ، بفعل عوامل تاريخية ، تيارات اشتراكية ديمقراطية تقود الكثرة الكبرى من الطبقة العاملة . أي أن القوى الثورية في قلب الطبقات العاملة كانت تضم اشتراكيين ، اشتراكيين ديمقراطيين ، أعـداء للشيوعيين . وفي ألمانيا كانت السياسة « التكتيكية » للاشتراكية الديمقراطية هي التحالف مع الديمقراطية البورجوازية ضد الفاشيـــة ، فكان « تكتيك » الشيوعيين الألمان أن يحاربوا القيـــادة الاشتراكية الديمقراطية التي كانت تريد من

العمال أن يتحالفوا مع الديمقراطية البورجوازية بدلاً من أن ينضموا إلى الثورة . وظل الأمر كذلك الى أن استولى هتلر أخيراً على السلطة مستفيداً من انقسام الطبقة العاملة ، إذ كانت المعارك بين « الميليشيا » الشيوعية و « الميليشيا » الاشتراكية لا تقل عن المعارك بين هاتين الفئتين وبين الحرس النازي . أي أن هذا الانقسام في الجبهة المعادية للفاشية هو الذي أتاح لهتلر أن يستولي على السلطة . ولذلك رأينا المؤتمر السابع للأممية الثالثة مدفوعاً الى أن يغيّر خطّه السياسي رأساً على عقب ، فيستعيض عن القول بتعادل الاشتراكية الديمقراطية والاشتراكية الفاشية بتبني خط الجبهة الشعبية مع الاشتراكية . وصحيح أن هناك علاقة بين هذا وبين ما يجري في أمريكا اللاتينية ، ولكن هناك تغايراً تاماً بين الموقفين التاريخيين. ففي أمريكا اللاتينية لا يوجد اليوم تيار تاريخي مماثل للاشتراكية الديمقراطية الأوروبية . بل ليست هناك طبقات عمالية متميزة ، وبالتالي فان الصراع ضد ما يسميه الصينيون « الاصلاحية » لا يبدو صراعاً أساسياً حقاً ، والاتجاه الصيني في أمريكا اللاتينية لا يقوم على أسس تاريخية . ولماذا هذا التوكيد على الخطر الاصلاحي أو الاشتراكي الديمقراطي إذا كانت الاشتراكية الديمقراطية في أمريكا اللاتينية قد كشفت القناع عن وجهها؟ إنه لم يعد هناك ، في الوقائع ، أي مجال للخلط داخل المعسكر الثوري بين الثوريين وبين الاشتراكيين الديمقراطيين . كل الناس يعرفون أن « بيتانكور » و « مونيوز مارين » و « هاجا دو لا توري » ، أولئك الذين كانوا كبار الاشتراكيين الديمقراطيين ، هم حلفاء الامبريالية ، والجميع متفقون على أن الكفاح ضد الامبريالية هو صراع موت وحياة. بالطبع ، من الممكن أن نشهد في المعسكر الثوري خلافاً حول أساليب النضال ، ولكن هناك اتفاقاً مبدئياً . وهذا الاتفاق نستطيع تلخيصه في الصيغة التالية : في أوروبا الغربية عام ١٩٢٨ كان المعسكر الثوري يضم أصدقاء كاذبين هم الاشتراكيون الديمقراطيون . كانوا يسمون أنفسهم

ماركسيين ويزعمون أنهم ثوريون ، وكان من المعقول حقاً أن يراد كشف القناع عن وجوههم . أمـــا اليوم في أمريكا اللاتينية فلا نجد أصدقاء كاذبين ، بل نجد الأصدقاء في جانب والأعداء في جانب آخر . وحتى لو كان هناك أصدقاء كاذبون فهم بلا أية أهمية تاريخية وبلا أي تأثير على الجماهير يبرر أن نجعل للكفاح ضدهم أية أولوية . وبسبب من هذا الفارق التاريخي ، أعتقد أن قضية الجبهة المزدوجة ، قضية المعركة الواحدة ضد العدوين ــ المراجعة والامبريالية ــ لا تطرح نفسها في أمريكا اللاتينية. هذا على الأقل هو تحليلي الشخصي ، وفي وسعكم ألا توافقوا عليـــه ، ولكني انتهيت اليه آخذاً في اعتباري التماثل بين ما يمكن أن يسمى الخط الصيني وبين الخط الذي جنحت له الأممية الثالثة بين ١٩٢٨ و ١٩٣٤ . وهذا التماثل يسمح لنا باستخلاص ما هناك من تغاير .

٩ ــ الى أي مدى كان لموقف كوبا تجاه هذا النزاع انعكاس على الأوضاع في امريكا اللاتينية ؟

ج ــ هنا أيضاً سيكون علينا أن نقنع بوصف الوقائع. فمن الملاحظ منذ بعض الوقت ان الثورة الكوبية قد نجحت في تحرير الحركات العمالية أو الشيوعية الأمريكية اللاتينية من ذلك الارتباط اللامركزي بأوروبا . وقد أصبح واقعاً لا ينكر انه ما من حركة تحررية في أمريكا اللاتينية عميقة الجذور في الجماهير وصادقة في المعركة التي تخوضها اتخذت حتى الآن موقفاً من النزاع الصيني السوفياتي . وأصبح مبدأ الاستقلال، مبدأ الحياد في المعسكر الاشتراكي ، مبدأ مكتسباً معترفاً به ، بل أصبح هو نفسه معيار القوة الحقيقية التي تمثلها أية حركة . وفي هذا المجال تأثرت حركة التحرر في فنزويلا بالثورة الكوبية ، فلم تنحز « قوات التحرر الوطني » الى أي من الجانبين المتنازعين بـــل انتهجت خطاً كامـــل الاستقلال . وكولومبيا في الوضع نفسه . وفي كل البلدان التي نما فيها الكفاح نجد

ان الموقف الذي يفرض نفسه هو – بطبيعة الأمور – ذلك الذي تمثل كوبا اليوم قدوة له . وأنا اذن أعتقد ان التأثير الرائع للثورة الكوبية قد حقق النجاح ، وان في المستطاع تلخيص هذا النهج كما يلي : على كل حركة أن تختار طريقها الخاص وفقاً لظروفها الخاصة .

١٠ – ما هو موقف الأوروبيين الشباب ، الذين يفهمون كل الفهم الوضع الثوري في أمريكا اللاتينية كما تعلم ، تجاه الحال الراهنة للقوى الثورية في بلدانهم ذاتها ؟

ج–أظنك تريد أن تقول ان الشباب الأوروبيين لا يستطيعون أو لا ينبغي لهم ان يحملوا السلاح . وليس في هذا تناقض على ما أرى . فكل شاب اوروبي ، مثلي أنا ، برغم كونه شاباً وبرغم كونه اوروبياً ، تكونت ذاته بتأثير تقليد تاريخي مختلف ، انما يعكس الظروف الواقعية للبلد الذي يعيش فيه . وصحيح ان هناك ضيقاً ظاهراً لدى الشبيبة الأوروبية (وأعني هنا الشبيبة الايطالية والشبيبة الفرنسية)،قلقاً يتجلى في طرازين سلوكيين : لدى اولئك الذين يناضلون في الداخل ولدى اولئك الذين يناضلون في الخارج . فمناضلو الداخل يحاولون ان يشنوا معركة ذات طابع ايديولوجي وتنظيمي ضد الاتجاه السلمي . وأنتم تعلمون ان الحزبين الفرنسي والايطالي يشهدان باستمرار خلافات بين خط الشباب الشيوعي او الثوري وبين خط الحزب نفسه . وبالتالي فان ذلك القلق يعبر عن نفسه في هذه المعارك التي قد تؤدي بدورها الى تناقضات ، كما حدث في فرنسا قبل عامين . وهناك في الجانب المقابل اولئك الذين – دون ان يخونوا بيئتهم – ذهبوا يكافحون في البلدان التي تستعمرها فرنسا : فكثيرون مثلاً هم الفرنسيون الذين ناضلوا الى جانب الجزائريين او أنشأوا في داخل فرنسا تنظيماً سرياً يضم جزائريين وفرنسيين ليدعموا حركة التحرر . وهؤلاء المناضلون بالغو الكثرة ، ولا سيما في صفوف الشباب .

١١ — هل يعنى المثقفون الفرنسيون الشبان بفهم وتحليل الحركات الثورية في « العالم الثالث » بصورة عامة ؟ ام ان علينا اعتبارك حالة استثنائية ؟

ج — نعم: أظن ان مثقفين شباناً كثيرين في فرنسا، من اولئك الذين اتيح لهم ان يقوموا بدراسات عليا ، يعملون الآن من أجل الثورة . وأنا لا املك التحدث باسمهم ، ولكن مقالتي التي نشرت هنا كانت قد نشرت قبل في فرنسا في «الدفاتر الماركسية اللينينية »، وفي هذه «الدفاتر» تجدون دراسات كثيرة اخرى من النوع ذاته ،، واكثر عمقاً بمراحل من تلك التي وضعتها أنا . وهناك تيار جلي ، لست الا واحداً من روافده الكثيرة ، يقوم ببحوث على الصعيد الاقتصادي والفلسفي والعلمي. وهناك دراسات ممتازة كتبها شبان فرنسيون ، اقتصاديون وفلاسفة ، حول الأمبريالية ، والسوق العالمية ، وبناء الاشتراكية، وتاريخ الحركة العمالية ، وحرب فييتنام . بل لنذكر ، بصورة خاصة ، ان أفضل تحليل للواقع الجزائري قد تم بالتعاون بين جزائريين وفرنسيين . وهذا دليل على ان الشباب يستطيعون ان يتعاونوا ، في تواضع ، على دراسات لا يمكن ، لأسباب اخرى ، ان تتم في نفس البلد الذي يدور فيه الكفاح . وفي المستطاع الوصول الى شكل ما من اشكال التضامن المحسوس، الى صيغة تنظيمية لهذا التضامن ، فتتألف في باريس او روما مثلاً فرقٌ للدراسة تبعث اليكم بنصوص تبادلونها عليها بمثلها .

١٢ — كيف يمكن التوفيق بين المهمات التي تقوم بها « لجنة قارّية» وبين الظروف الخاصة بكل بلد ؟

ج — ليس هنالك من تناقض بين أن تنشأ في أمريكا اللاتينية لجنة للتضامن أو التنسيق ، أو مكتب للمعلومات ، أو ما شئتَ من الأسماء المشابهة ، وبين قانون التطور المتفاوت . ان من الجلي أن ثورة أمريكا اللاتينية

ستكون ثورية قارية . من الجلي مثلاً ، لو أن « اليانكيين » غزوا فنزويلا ، أن الرد الوحيد الممكن على هذا الغزو سيكون تحركاً على جبهات أخرى . وكذلك لا بد لحركة التحرر البوليفية من أن تنعكس على التحرر تجاه الولايات المتحدة . ولست أعني بذلك أن تحرر البرازيل مثلاً سيؤدي بصورة آلية الى تحرر بوليفيا في العام التالي . لا . ما أعنيه هو أن علاقة تأثير متبادلة ستقوم بالضرورة بين مسارات التحرك في البلدان المختلفة . ولكي يتم هذا التبادل، حتى مع مراعاة تفاوت التطور، ينبغي قيام تنسيق قاري يستطيع البدء قبل كل شيء بمهمة رئيسية هي تبادل المعلومات . إن أول انطباع يشعر به المرء حين يتجول في أمريكا اللاتينية هو افتقاد المعلومات عن حركات التحرر بين البلدان المتجاورة . فاذا ما قامت لجنة تضامن أمريكية لاتينية فان عليها أن تقوم بتنظيم تبادل المعلومات الموضوعية .

إنه لأكثر أهمية أن يعرف الفنزويلي ما يجري في كولومبيا من أن يعرف ما يجري في سيام أو في افريقيا الجنوبية ، مع أن جهل بلدان أمريكا اللاتينية لأبناء بعضها بعضاً يكاد الآن يماثل جهل أمريكا اللاتينية لما يجري في القارات الأخرى . إن أي بناء إنما يشاد ابتداء من أسفله لا من أعلاه ، وبالأسلوب نفسه اعتبر أنه يجب إنشاء منظمة قارية قبل إنشاء منظمة للقارات الثلاث : أمران ليس بينهما تناقض ، وكان في المستطاع حقاً أن يوفق بينهما . ولكن يبدو أن هذا لم يستطع ، برغم أني أعتقد أن كل الوفود الأمريكية اللاتينية مقتنعة بأن إنشاء تنظيم قاري هو أمر بالغ الضرورة .

٣ — الى أي مدى تأثرت أوروبا الغربية بالجدل العقائدي القائم الآن في قلب الحركة الماركسية ، وعلى وجه الخصوص بالنزاع الصيني السوفياتي ؟

ج– إن هذا النزاع كان ولا يزال موضع نقاش كثير ،ومع ذلك لا يستطاع اعطاء جواب عام على هذا السؤال . ولكن هناك ظاهرة تكاد تكون قاعدة : هي ان الحديث عن هذا النزاع في بلد ما يتزايد بقدر ما تكون حركة التحرر في هذا البلد أقل من سواها مواجهة عملية لمهات الكفاح . ففي اوروبا نشهد تضخماً نظرياً يأتـــي تعويضاً عن الانكماش العملي ، ولذلك كان طبيعياً أن يكثر فيها الجـــدل حول هذه القضايا ذات السمة الايديولوجية . أما على صعيد المنظمات فليس هنالك انقسام ذو شأن . ولم ينشق أي حزب شيوعـــي اوروبـي على نفسه ، باستثناء الحزب البلجيكي ذي القاعدة الهزيلة . على اننا برغم هذا نشهد قلقـــاً كبيراً بين أعضاء هذه الأحزاب ، كما ان المواقف الصينية تجتذب الشبيبة الى حد بعيد ، وان كان ذلك التأثر الشديد بالمشكلة وهذا العطف على الآراء الصينية لم يتحولا الى أي انشقاق .



فهرست

القسم الأول : المحاكمة ـ الوثائق الكاملة

القسم الثاني : لقاءات ثورية في امريكا الجنوبية

هذا الكتاب

كان كتاب « ثورة في الثورة » إعادة صياغة نظرية للماركسية اللينينية على ضوء ظروف حركة التحرر في اميركا اللاتينية . أما هذا الكتاب الجديد، فهو التطبيق العملي لصراع الصيغة الجديدة التي أتى بها ريجي دوبريه ضد قوى الرجعية والامبريالية .

بمنظار هذا الصراع ، كانت محاكمة ريجي دوبريه إحدى اكثر القضايا تمثيلاً لطبيعة ثورة العالم الثالث ضد قوى التخلف . ولذلك كان لا بدّ ، إظهاراً لحقيقة معنى هذه المحاكمة ، من تقديم كامل نصوصها بما في ذلك تفاصيل قرار المحكمة العسكرية وأسبابه الموجبة التي تفضح أساليب الرجعية في الدفاع عن بقائها بالاحتماء وراء شكليات القوانين التي وضعتها ضماناً لسيطرتها .

وفي القسم الثاني من هذا الكتاب ، يطرح المؤلف قضايا أساسية تتعلق بالسمات النوعية الخاصة بحركات التحرر ، مما يحتاج العرب اليه كل الحاجة في مرحلة نضالهم الراهنة ، فيؤكد على حتمية البُعد القومي للثورة ضماناً لنجاحها ، وعلى ضرورة اتساع جبهة المعركة لكل الراغبين في النضال من اجل الحرية ، أياً كان موقفهم السياسي والطبقي ، كما يبرز الظروف الموضوعية التي تجعل الانتقال السلمي إلى الاشتراكية ممكناً في أوروبا ، بينما تفرض على البلدان النامية حتمية الكفاح المسلح . وأخيراً يشرح ضرورة استقلال الحركات التحررية عن أية قيادة خارجية وضرورة رفضها التحيّز ألى أي طرف من أطراف النزاع في المعسكر الاشتراكي .

الثمن ٢٠ ليرة و ما يعادلها .